
العربي
العرب تخترق
أدغال صباح
مع العدد

فكرة عظيمة اخرى .



في عام ١٩٣٧ [illegible]
[illegible] فيشر فكرة عظيمة .
[illegible]

[illegible]



فيشر

FISHER

العدد ٣٢٤ السنة الثامنة والعشرون نوفمبر ١٩٨٥

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهريا عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

Issue No. 324 Nov. 1985 P.O.Box 748
Kuwait. A Cultural Monthly Arabic Magazine in Colour Published by Ministry Of Information - State Of Kuwait

ص.ب ٧٤٨ [illegible] الكويت
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

الكويت ٢٥٠ فلسا	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٤ دراهم
العراق ٢٥٠ فلسا	الجزائر ٤ دينار	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٣٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٢٥٠ درهما
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسا	قطر ٥ ريالات	بريطانيا وباقي [illegible]
مصر ٢٥٠ مليما	لبنان ٣ ليرات	امريكا [illegible]
السودان ٥٠ قرشا	سوريا ٣ ليرات	امريكا [illegible] دولار

عزيزي القارئ

[illegible] الإرهاب الرسمي [illegible]

[illegible] الاستعماري يغتصب حقوق الشعب الفلسطيني [illegible] عام ١٩٤٨ [illegible] دولة إسرائيل [illegible] الإعلان الرسمي الأمريكي [illegible] فلسطين . وهو الإرهاب المنظم الذي استهدف [illegible] الشعب وسلب الأرض لصالح الفئة الصهيونية الباغية .

وإذا كان [illegible] الأمريكي في [illegible] منظمة التحرير الفلسطينية في تونس [illegible] الإجرامي [illegible] الأمريكي الذي يؤكد أنه سوف يعاقب الإرهابيين [illegible] توجهوا ، ولكن قوة [illegible]

وقد كان حقاً ما أعلنه الشيخ صباح الأحمد الجابر نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية الكويتي باسم العرب . بصفته رئيساً للمجموعة العربية في الأمم المتحدة بأن العدوان الوحشي هو حلقة في مسلسل عدواني ضد الشعب الفلسطيني . وأنه إرهاب دولي رسمي وعدوان صارخ على ميثاق الأمم المتحدة . وإن الغطرسة العربدة التي ينتشي بها هذا الكيان الإجرامي قد تولدت عن ظاهرتين لا تبشران بالخير أولاهما التشيع الذي يعتري الإدارة السياسية للأسرة الدولية . وثانيهما هيمنة بعض الدول التي ساهمت وتساهم في خلق هذا الكيان وتحويله إلى وحش مفترس وذلك بمده بأسباب القوة والغطرسة والتمرد . ثم تبرير جرائمه البشعة وأعماله الهمجية البربرية بمنطق أعرج دون أي اعتبار لسيادة الدول وحقوق الشعوب .

بقي أن يعي الحكام العرب هذا الدرس . وأن يدركوا أن قوتهم في اتحادهم لمواجهة الهجمة الاستعمارية الإرهابية . وأن يتناسوا خلافاتهم . وأن يقفوا صفاً واحداً في مواجهة إسرائيل ، ومن يقفون وراءها من دعاة الحرية ، ومنكري حقوق الدول والشعوب .

المحرر

بقلم الدكتور محمد الرميحي

□ هذا هو ما لا يعلمونه لك في معاهد إدارة الأعمال.
□ إدارة الشركات لا تعني التقيد بالأنظمة.. ولكن تعني الخروج المستمر عليها.
□ العين هي أفضل ساحة لاستقراء ما يخفيه الآخرون.
□ الفراسة تعني أن تستمع أكثر.. وتتكلم أقل.



أتصور أن أي قارئ سيجد نفسه مشدوداً لقراءة كتاب يحمل هذا العنوان المثير :

« ما لا يعلمونه لك في مدرسة هارفرد لإدارة الأعمال »* خصوصاً إذا كان هذا الكتاب قد أصبح أكثر الكتب مبيعاً على مدار حول كامل، خصوصاً أيضاً لأن الدراسة في أي مدرسة أو كلية عليا لإدارة الأعمال، لا تستطيع أن تصل إلى مستوى ما تحققه الدراسة في كلية هارفرد لإدارة الأعمال. والتي عرف عنها أنها من أفضل الكليات العالمية في هذا الفرع من الدراسات.

* MARK H. McCORMACK : What they Don't Teach you at Harvard Business School

إلا أن الكتاب لا تكمن إثارته وانتشاره السريع في عنوانه الغريب فحسب .. ولكنها تكمن فوق ذلك في فلسفته وحداثة أبحاثها .

وإذا كانت مادة الكتاب يمكن مناقشتها سواء بتأييدها أو التحفظ على بعض وقائعها أو رفض بعضها الآخر ، إلا أن فلسفتها قائمة وواضحة المعالم .. وهي فلسفة - برغم غموضها في الكتاب نفسه يمكن البحث عنها بين السطور - تقود في رأيي إلى فكرة يرددها المهتمون بالتعليم وتطويره في أركان العالم الأربعة .. وجوهرها في السؤال الحاسم : هل يحصل أبناؤنا في الكليات والجامعات والمدارس المتخصصة على علم يفيدهم في حياتهم العملية ، أم أن هناك فصلاً بين ما يتعلمه الطلاب والطالبات على مقاعد الدراسة - في معظم الدراسات - وبين ما يمارسونه في الواقع العملي الحقيقي ؟!

إن ذلك - في نظري - ما يجعل كتاباً كهذا الكتاب الذي بين أيدينا مثار جدل في فلسفته إن لم يكن في تفصيلات محتواه .

كاتب الكتاب هو « مارك إتش ماكورماك » أكاديمي متخصص في القانون ، درس في كلية هارفارد للإدارة الأعمال ثم انتقل إلى الأعمال الحرة فوفق فيها إلى درجة كبيرة .. ولذلك فإنه يصف كتابه هذا بأنه نتيجة لعلاقات طويلة مع مجموعة من شركات الأعمال في العالم ، ولندوات أفكاره في مجالس الإدارات واجتماعات المديرين في فنادق الدرجة الأولى ، ومن خلال الاحتكاك المباشر بجميع مستويات الإدارة ومختلف مشارب أصحابها الثقافية .

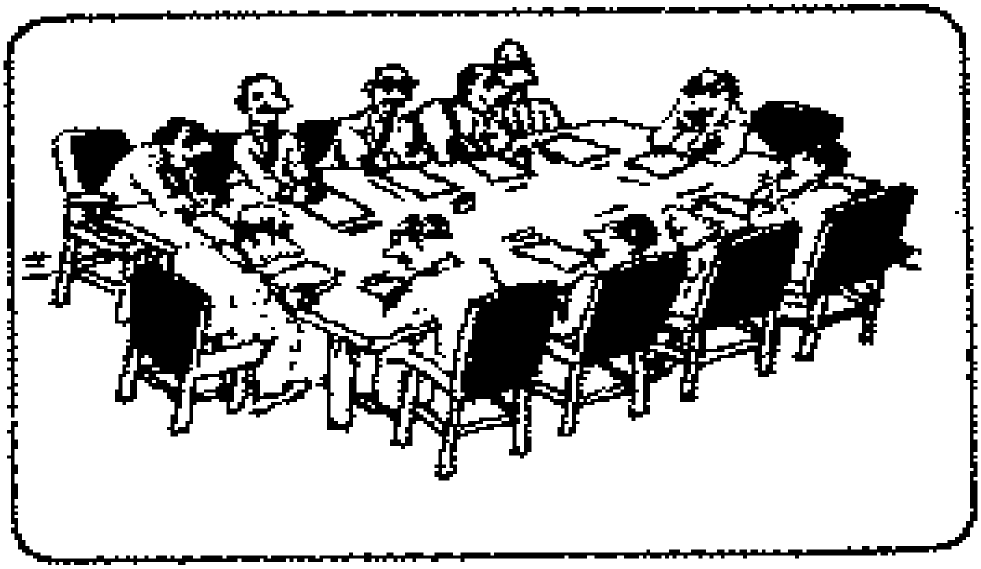
إن استخدام « ذكاء رجل الشارع » إن صح هذا التعبير ، أي استخدام الحدس والتوقعات والتصورات بشكل منظم للوصول إلى الغايات التي يستهدفها المشروع التجاري أو الصناعي الذي يتناوله التدبير ، هو أحدى القواعد الرئيسية التي يوصي بها الكتاب .

و « ذكاء رجل الشارع » يمكن استخدامه بنجاح في أعمال البيع والشراء والتفاوض ومحاولات التعامل مع الناس وفهمهم ، أي كيف تقرأ الناس قراءة صحيحة ، وكيف ... تخدم نتائج تلك القراءة للوصول إلى النتائج المرجوة ، إنها ... الأعمال والإنسان .

... ما يعلمه الكتاب : كيف تقرأ الناس ؟ وكيف تؤثر على قرا... ... تفاعل الجانبين معاً لتحقيق هدف ...

... ... وكسر الأنظمة والتفكير في مبادرات جديدة ... ذلك لا يتأتى في مدارس التجارة والأعمال لأن هذه المدارس مضطرة لأن تدرس ولأن تُدرّس الماضي .. وذلك ليس تفكيراً تقليدياً فقط ، ولكنه أيضاً معوق دون الابتكار .

هذه الفراغ بين العلم الأكاديمي في المدرسة أو الكلية ، وبين المعلومات التي تأتي من الخبرة اليومية ، يحتاج إلى جسر ، وإلى نوع جديد من التدريب ، حتى لا يكتشف الخريجون من الكليات الجامعية أنهم ضحايا لتدريبهم



لعبة المصير ... ليست سهلة في المنصب

الأكاديمي ، ويبدون أمام غيرهم أنهم يسيطرون ، وإنما هي استعداد عقلي للترقي في الفهم الخاطيء . وكلا الفئتين مدمر لأصحابهم ، ولحياتهم الشخصية على حد سواء .

لقد ثبت - كما يقول الكاتب - أن الحكم على رجل الأعمال بأنه سيكون ناجحاً في المستقبل - مديراً أو صاحب عمل خاص - بمجرد حصوله على شهادة في إدارة الأعمال مع توافر مستوى جيد من الذكاء - ثبت أن هذا الحكم ، حكم خاطيء ومتخلف في حقيقته ، ليس لأن الثقافة والدرجة العلمية شيء سيء ، ولكن لأنها ليست بديلاً عن الفهم الحقيقي للناس ، ولأن الناس ومشكلاتهم لا يمكن أن يصبحوا في قوالب جامدة ، من هنا تأتي لعبة الابتكار والمبادرة من واقع الفهم الحقيقي لطبائع الناس وشخصياتهم .

الدعوة إلى النظرة الواعية للناس وتصرفاتهم ، دراسة معمقة في إطار التعامل ، تفضي بنا إلى إدراك حقيقة مهمة هي أن الناس يختلفون في ارتباطاتهم مع الرئيس ، وفي تصرفاتهم مع المرؤوسين ، وهم في حالة البيع يختلفون عنهم في حالة الشراء ، لذا فإن أول ما يجب أن يعرفه رجل الأعمال هو كيف يعمق ملاحظته للناس ، النظر في عيونهم ، الطريقة التي يتصرفون بها عندما يسمعون سؤالاً معيناً خاصاً بموضوع المفاوضة أو المساومة مع الآخرين ، فهناك بعض التصرفات التي لا تبدو بسيطة ولا عفوية ، وعند ملاحظتها ملاحظة دقيقة يمكن أن نخرج بالكثير مما ينفع ويعجل بإتمام الصفقة التجارية .

إلا أن كثيراً من مديري الأعمال يفتقدون الإحساس تماماً بما يدور حولهم ، إما لأنهم مشغولون بالإصغاء إلى أنفسهم أكثر من استماعهم لأي شيء

آخر .. أو مشغولون بإنجاز الصفقة التي توجه جل تركيزهم إلى إتمامها دون ملاحظة ما يصدر من الشخص الآخر .

إتقان الفراسة في الناس يحتاج الصبر . والفراسة تعني أن تسمع أكثر وتتكلم أقل ، حتى تصل إلى فهم من حولك الفهم الصحيح . فالناس لا تنكشف شخصياتهم الحقيقية من الوهلة الأولى في اجتماع واحد أو اجتماعين .

صحيح أن السمات الأساسية للشخصية لا تتغير ، ولكنها تتوارى ولا تظهر على حقيقتها إلا بعد الاطمئنان إلى نوع من الثقة بين الجانبين .

☐ في إطار فهم الناس يقدم الكاتب مجموعة من النصائح العملية ، بعضها قد يكون جديدا ، والبعض الآخر لا يعدو أن يكون قراءة عملية من وجهة نظر رجل أعمال لحقائق علم النفس الاجتماعي المتداولة بين المختصين ، من هذه النصائح .

● استمع بجدية :

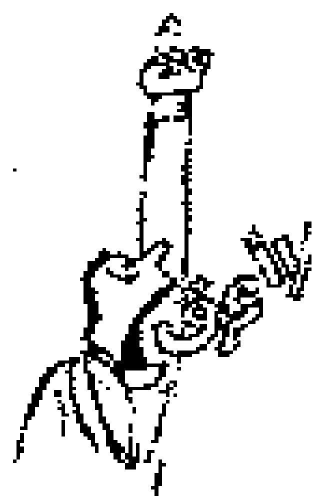
إن القدرة على الاستماع ليست موجودة لدى معظم الناس . وهي قدرة تعطي نتائج إيجابية وتمثل الطريق للفراسة وفهم الناس .

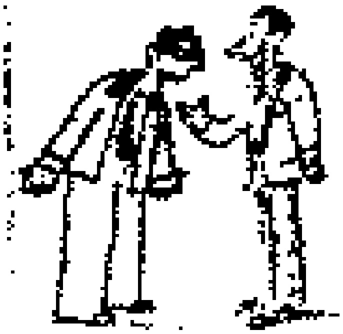
فالناس غالبا يستهويهم الحديث عن أنفسهم وعن أعمالهم ونجاحاتهم .

وتستطيع أن تتذكر كم مرة قاطعك صديق أو زميل عمل أو رئيس عندما كنت تتحدث معه في شيء .. فالقاطع يريد هو الحديث عن شيء يهمه ، في معظم الأوقات ، غالبا . لذلك فإن الاستماع بجدية يعطيك فرصة أفضل للبيع أو الشراء . وليس بالضرورة أن الاستماع في كل الأوقات أفضل من الحديث . الحقيقة أن كل موقف من مواقف الأعمال تعوزه المرونة المطلوبة إلى التصرف المنطقي المبتكر . ولكن الفرق أن هناك اختلافا جوهريا بين شخص يستمع إلى الآخرين ، وآخر لا يسعه إلا أن يستمع إلى نفسه فقط ! فلا بد من مراعاة التوازن والتناسب بين مساحات كلامك .

● لاحظ بجدية :

مقابلة الناس وجها لوجه أفضل من الحديث بالتليفون .. خصوصا إذا كنت بصدد إجراء معاملة مهمة . فالمقابلة تستطيع أن تعطيك فيها أفضل فرص لفهم من تقابلهم ، ليس فقط لاستيعاب ما يقولون عن أنفسهم ، ولكن لفهم لغات أخرى مثل الإشارات التي تصدر منهم عن وعي أو عن غير وعي ، والإيماءات التي يرسلونها أن تحصل منها على نتيجة معينة . والأكثر من ذلك لفهم لغة الجسم نفسها . كيف يجلس وكيف يقوم . ولكن عليك وأنت تقوم بالملاحظة الجدية ألا تستعجل الوصول إلى نتائج سريعة وحاسمة . فمن الصعب أن تفهم الناس في فترة قصيرة . وعليك أن تحسن قراءة أشياء موجودة في الشخص الذي تتحدث





معه ، وأفسح ساحة لاستقراء الملاحظة هي العين ، فالعين سوف تظهر لك ، أكثر من أي شيء آخر - حقيقة تفكير الشخص حتى لو كانت كل المؤشرات توحي باتجاه آخر ، فالعين هي المرآة ، وتذكر أن الناس تتواصل بالعين ليس في المجال العاطفي فقط ولكن أيضا في المجال العملي والتجاري ، وعندما تكون مع أكثر من شخص في شركة ، وفي اطار مفاوضات أو عقد صفقة ، فلا تنظر الى شفاههم وتسمع ما يقولونه فقط ، ولكن انظر الى عيونهم أيضا فسوف تقرأ فيها بالقليل أو الكثير عما لم يصرحوا به ، وفوق ذلك فسوف تعرف أيهم أكثر سلطة ، كما ستعرف موقفك في نفوسهم ، وهل كنت تزعجهم الى حد الملل ؟

● تحقق من الذات :

في المؤسسة - أية مؤسسة - لا يوجد ذات واحدة أو مجموعة من الأشخاص التي تستطيع أن تحدد مسار المؤسسة . فالذات الانسانية تموج بالعواطف والرغبات . والمؤسسة التي بها ألف موظف وعامل ، بها في الحقيقة ألف ذات ، كل واحد من هؤلاء يعطي تفسيرا خاصا للحقيقة كما يراها من وجهة نظره . هذه الخصوصية الانسانية هي التي تفسر في خلق المؤسسة أن هناك أشياء يجب أن توجد ولكن لا يكتب لها الوجود ، وأن هناك أشياء ما كان ينبغي أن تحدث ولكنها تحدث !

تلك هي الطبيعة البشرية والحقيقة المنطقية فهناك علاقة بين الرؤساء والمرؤوسين في المؤسسة ، هذه العلاقة لا يلزم بالضرورة أن تكون إيجابية ومتوالفة مع أهداف المؤسسة ، فهناك طموح وطموح مضاد ، وهناك اتجاه صحيح واتجاه خاطئ ، كما أن البشر يختلفون كأفراد في تصور الأمور وادراكها .

وهكذا فان النجاح الذي يتحقق للمؤسسة هو في تكوين ذات موحدة للعاملين ، وهذه عملية طويلة صعبة لها شروط متعددة .

● اهتم بالأشياء الصغيرة :

هناك مقولة قد تكون صحيحة تقول : « اذا ارتدت المرأة رداء سيئا فان نظرات الناس ستتجه الى الرداء نفسه ، في حين أن نظرات الناس ستنصب على المرأة نفسها اذا كان رداؤها بهيجا » .

لذلك فان خلق تصور وانطباع ايجابي عنك له جدواه في تيسير عملك وتطويره . والملابس هي في حقيقة الأمر تتعلق لها علاقة بالمجتمع ، فالمجتمعات الصناعية تتوقع منك نوعا معينا من الملابس يتوافق مع تكوينها ، والمجتمعات الأخرى الشرقية مثلا تتطلب شكلا آخر .. وهناك مثل آخر مشابه .. فان كان لديك سكرتير يتبرع بالمعلومات دون أن يطلب منه ذلك سيزعجك هذا تصرف

الانطباع .. وعندما يتحدث بالسوء عن أشخاص معينين فغالباً ما سيتصور الناس أنك على نفس الرأي. فالناس تحكم على الآخرين عما يلمسونه في معاملتهم للمتصلين بهم من صفات.

وعليك ألا تستخدم الصفات والاختصارات في تعريفك لنفسك، لأنه ليس من الضروري مهما كنت مشهوراً ومعروفاً أن يعرف كل الناس اسمك.. فلا بد من أن تعتاد على تقديم نفسك لأي جماعة جديدة فأكبر اسمك مجرداً من الألقاب.

ومن الأشياء الصغيرة الجديرة بالاهتمام أن تحرز بنفسك متابعة مكالماتك أو مراسلاتك. إن أكثر النتائج السلبية التي تنشأ حين يفتح مدير مكتبك أو سكرتيرتك رسالة موجهة إلى شخص ما في مظروف موجه إلى شخص آخر.. وقد تكون الرسالة شخصية ولكنها تكتب وكأنها منشور دعائي لمن يهمه الأمر. والأهم من ذلك ألا تتصرف بحيث يرى أن المرؤوسين مطلعون على خبايا رؤسائهم. فإن كان رئيسك متعاملاً معهما بأمانة في علاقاته التي تعود على العمل بشكل ايجابي كان ذلك جيداً. ولكن كثيرين يطلعون مرؤوسيهم على سلبياتهم. وتلك قضية خطيرة لا ينتبه لها الرئيس ولا المرؤوس. ولكنها غالبا تؤدي إلى تعطيل الأعمال وفشلها في وقت لاحق.

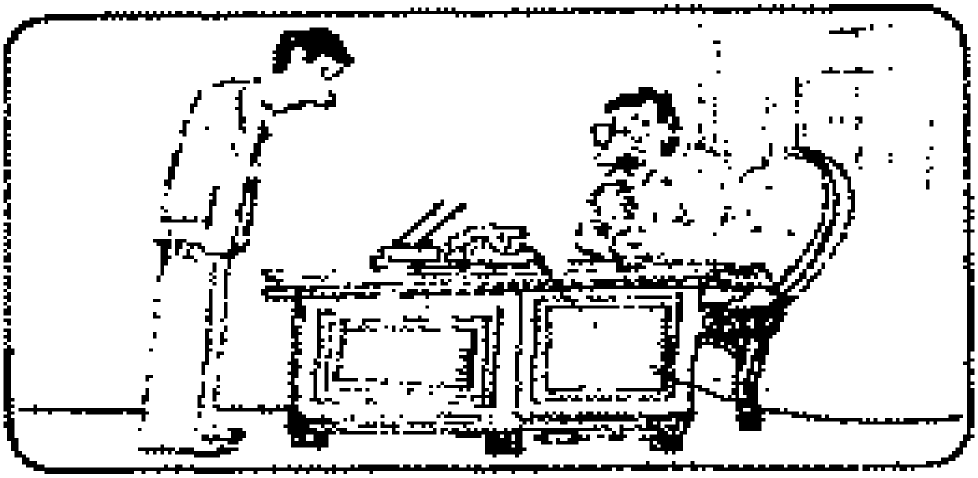
من الأشياء الصغيرة المهمة أن تعني ما تقوله. فالإسراف في الوعود دون تنفيذها - حتى لو كانت هذه الوعود بإجراء مكالمة هاتفية مع شخص معين - يعطي انطباعاً سلبياً عنك. استخدم كلمة « لا » إن كنت عاجزاً عنها ولا تعد بشيء تعرف أنك غير قادر على تحقيقه. فالناس تحب الوضوح وتتسامح في حالة عدم المقدرة أو عدم الرغبة. ولكنها لا تتسامح عن التسويف والاختلاق وإخلاف الوعد.

في نفس الوقت لا تكره الآخرين على أن ينجزوا لك شيئاً وعدوا به أو تحدثوا عنه في وقت حرج وتحت ظروف صعبة عليهم. فعندما تشعر الناس بفهمك لمواقفهم وتقديرك لظروفهم تنمو ثقتهم ورغبتهم في التعامل معك. وكن سمحاً مع الآخرين قاسيا على نفسك، تكسب الآخرين.

ومن الأشياء الصغيرة التي يجب أن تنتبه إليها كرجل أعمال ترتبط علاقاته بأنماط مختلفة من البشر، ألا تخلط المديح المستحق بالتملق الكاذب تجاه شخص ما تشعر أنك بحاجته. فمديح الناس بما ليس فيهم هو في حقيقة الأمر ذم. ورغم ضعف البشر واحتياجهم لسماع المديح إلا أنهم يكتشفون التملق. وإذا أرضاهم في الظاهر فإنهم يسخطون عليه في قرارة نفوسهم.

والملاحظة الأخيرة لها علاقة بتحفظ مهمة في عالم الأعمال وهي حفظ الأسرار.. وربما يسر البعض بأنك تفشي أسرار الآخرين لهم، ولكن ذلك في نفس الوقت يقلل من ثقتهم بك





□ في الأعمال التجارية - كما في الحياة - هناك تعبيرات صعبة ، وكثير من الناس يحرجون بتعبيرات خاطئة ظنا منهم أنهم بتركون انطباعا صحيحا في نفوس محدثيهم ، كما أنهم يتجنبون بعض التعبيرات ظنا منهم أنها تترك الانطباع الخاطيء . ويشير الكاتب إلى ثلاثة تعبيرات صعبة . .

« أنا لا أعرف »

مما يدعو إلى العجب أن الناس يتجنبون التعبير بالقول : « أنا لا أعرف » ، ويظنون أن استخدامهم هذا التعبير سيظهرهم للآخرين بأنهم غير أكفاء . والحقيقة أن استخدام تعبير « لا أعرف » يدل على ثقتك بنفسك . وليس مطلوبا من أحد أن يعرف كل شيء عن كل شيء . كما أن تعبير « لا أعرف » تعطيك الفرصة للتعلم . وهو يمنحك ثقة أكبر في تصرفك . فإن قلت لا أعرف في موضوع ما ثم جاء موضوع آخر وأعلنت بدلوك فيه . فأنت - لعلم محدثيك - لا شك تعرف عن المعرفة وإلا لقلت فيه أيضا ما سبق أن قلته في الموضوع الأول .

إن عدم مقدرة بعض الناس في التعبير بلفظ « لا أعرف » - حتى في الظروف الاجتماعية العامة - يعطيك انطباعا لا يخطيء عن شخصيتهم في أعماقهم فهم يحيطون بالموضوع مجال الحديث من أطرافه ويحاولون تغييره في أقرب وقت حتى يتجنبوا لفظ قولهم « أنا لا أعرف » .

« أحتاج إلى مساعدة »

من التعبيرات الأخرى التي يتجنبها الكثيرون تعبير « أحتاج إلى مساعدة » ، فهم يخافون من طلب المساعدة أو قبولها عندما تعرض . على أساس أن ذلك سوف يعني بشكل مباشر أو غير مباشر عدم قدرتهم على أداء أعمالهم . ولو فكروا قليلا لوجدوا أن أي تنظيم عمل لم يوضع إلا من أجل إعطاء المساعدات والحصول عليها . فغاية الشركات والمؤسسات هي وضع أهداف

وتحقيقها . وفي كثير من الأوقات فإن هذه الأهداف تتحقق من خلال المجموع بشكل أفضل مما يتحقق من خلال الفرد . فطلب المساعدة هو طريق آخر لزيادة التعلم والمعرفة وكذلك يضيف إلى خبرة المؤسسة خبرات جديدة . كما أنه يشير إلى رغبة في العمل مع الآخرين .

إن محاولات المساعدة والحفاظ عليها . سوف ينظر إليها من قبل الإدارة بشكل إيجابي . في هذا الإطار لا يجب أن ننسى الظاهرة الطبيعية النفسية وهي الذاتية والأنانية لدى الأفراد وليس في ذلك عيب . ولكن عندما تتعارض هذه الأنانية الفردية في القيام بالأعمال مع مصالح المؤسسة ككل . هنا يبرز العيب الرئيسي في عدم طلب المساعدة أو تقديمها للآخرين .

« أنا مخطئ »

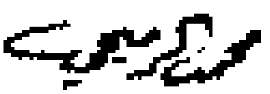
إذا لم ترتكب أخطاء فأنت لا تبذل جهدك الكافي . فالأخطاء هي نتيجة محاولات الوصول إلى الأفضل . وتجريب طرق جديدة في أعمالك . وهذا يعني أنك كثيراً ما سوف تقع في الخطأ . ومن المهم أن تكون مستعداً للاعتراف بأخطائك ولا تبحث عن مشجب تعلق عليه تلك الأخطاء . فالإداريون الجيدون قد يخطئون في كثير من الأوقات . ولكن لديهم الاستعداد للاعتراف بأخطائهم عندما يظهر ذلك ولا يجدون غضاضة في تحمل مسؤوليته .

الناس غير الواثقين من قدراتهم هم أقل الناس اعترافاً بأخطائهم . وهم يفشلون في التفريق بين الوقوع في الخطأ والاعتراف به . وهاتان - في الحقيقة - قضيتان منفصلتان . فإذا كان حصول الخطأ فيه شيء من السلبية إلا أن الاعتراف بهذا الخطأ كله إيجابي . الاعتراف بالخطأ وإصلاحه أو تجاوزه خير ألف مرة من إضاعة وقت الآخرين في محاولة تبريره . أو تغطيته أو إسقاط لومه على الآخرين .

● ● ●



على الرغم من أن نصائح الكتاب وتجارب الكاتب كثيرة ومتعددة . فهو يدعو في نهاية مؤلفه إلى تطويع هذه الأفكار لتلائم الجو العام الذي يجري فيه العمل وينمو سواء أكان تجارياً أم صناعياً أم خدمياً . وقيمة الكتاب - في نظري - رغم طرافته وتعدد مداخلاته - هي العودة إلى وضع العلاقات الإنسانية والقيم العليا من جديد موضع الصدارة . صحيح أن الكاتب يعترف بأن الأعمال والإدارة هي منافسة لا بد منها ولكنها يجب أن تكون منافسة منضبطة فيما أريد لها أن تنجح وتستمر . وفي رأيي أن هذا الكتاب يقرأ للتعلم مما نتصور أن تكون عليه أصول المعاملة في دنيا العمل والإدارة وضوابط العلاقة بين الأعمال والأشخاص .



سوق السلاح

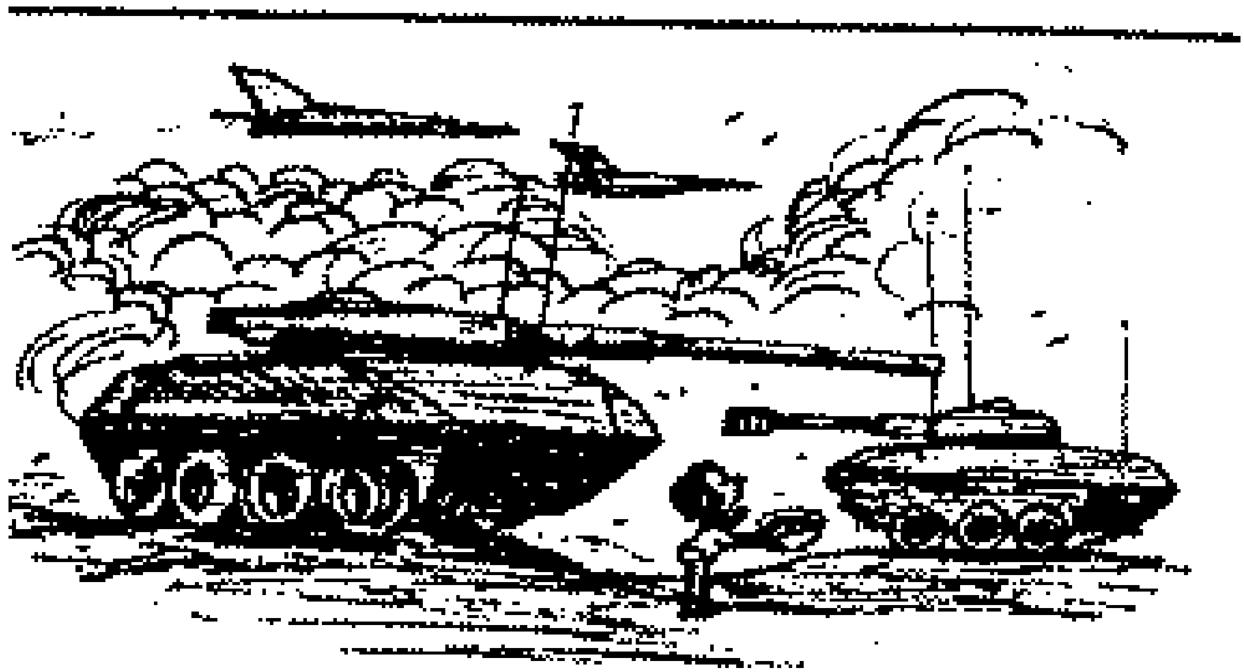
بقلم : أمين هويدي *

بدأت سوق السلاح ببداية اختراع البارود في القرن الرابع عشر ، وازدهرت سلع هذه السوق على مر الأيام حتى أصبحت في عصرنا الحالي ركنا هاما من أركان التجارة الدولية . فعن طريقها تقوم حكومات على أنقاض أنظمة أسقطت باستخدام القوة . وعن طريقها يمكن تشكيل السياسات الخارجية للدول وتوجيهها وجهة معينة . فليس هناك عامل مؤثر على طبيعة العلاقات بين الدول كالسلاح مهما قيل عن أهمية الوسائل الأخرى . وذلك هو ما يتناوله هذا المقال .

لم تعد تجارة الأسلحة مجرد تصرفات تجارية بالمعنى ، ولكنها تجارة تخدم سياسات معينة ، وتشكلها . فإذا كان الاستقطاب هو عنصر رئيسي في الاستراتيجية العالمية فإن تجارة السلاح أو على الأصح نقل السلاح هو أداة مناسبة Arms Transfer .

ولكي نبين الحجم الحقيقي للسلع المتداولة في هذه السوق العربية التي يتم فيها أكثر من [illegible] مليون

* مفكر وكاتب مهتم بالقضايا الاستراتيجية وقضايا الأمن القومي ، شغل منصبي وزير الحربية والمسؤول عن المخابرات العامة في مصر عقب نكسة ١٩٦٧ مباشرة ، عضو في عدد من اللجان الدولية المهتمة بالدراسات العسكرية .



دولار في العام أي بمعدل مليون دولار في الدقيقة . ماذا سوف يعنيه هذا بالنسبة لهذه الدول ؟ يقول رئيس الوفد الأمريكي لتحديد الأسلحة ونزع السلاح فيها :

● من بين كل ٩ دولارات تصرفها الحكومات ، ينفق دولار على التسليح .

● الصرف الذي تنفقه الحكومات على التسليح يفوق ما تنفقه لتعليم أولادها .

● لدى الدول النامية جندي من كل ٢٥٠ من السكان ، وطبيب واحد لكل ٣٧٠٠ من الأفراد .

● تمكن التكنولوجيا الحديثة من التعرف على قذيفة صاروخ أطلقت في دقائق معدودة ، والناس في بلاد آسيا وأفريقيا يسيرون يوماً كاملاً للحصول على الماء .

● تدفع الدول الغنية للتسليح ● مثل ما تدفعه في الإنتاج الزراعي من معونة التنمية الخاصة . وفي نفس الوقت الذي تتصاعد فيه النفقات العسكرية في الشرق ، نجد أن المشكلات الاجتماعية والاقتصادية للدول في أزمة حقيقية . ففي تقرير للأمم المتحدة في ٢٥/٤/١٩٨٢ نجد فيه النقاط الآتية :

ـ تزايد عدد الأفراد الذين يعانون من سوء التغذية إلى ٧٥٠ مليون ، وعدد الأميين إلى ٨٠٠ مليون ، ومن تنقصهم الرعاية الصحية إلى ١٥٠٠ مليون . وكل هذا قبل حالة الجفاف والجوع التي تضرب دول وسط أفريقيا الآن .

ـ انخفض معدل نمو الاقتصاد العالمي من ٥٪ إلى ٢,٣٪ وفي الوقت نفسه ارتفعت صادرات الأسلحة لتبلغ ٣٠٠ مليار دولار سنوياً في سوق القوة .

ـ وبالرغم من أن متوسط دخل الفرد من العالم الثالث لا يزيد عن ١/١٢ من متوسط دخل الفرد في الدول الصناعية ، فإن دول العالم الثالث تشتري ٧٥٪ من كل صادرات الدول الصناعية من الأسلحة خلال السنوات الأخيرة بمتوسط يصل إلى ١٩,٠٠٠ مليون دولار سنوياً .

نتائج إيجابية

من جانب آخر فإن تأثير صناعة السلاح وتجارته وتصديره له نتائج إيجابية على الدول المنتجة : إذ يعمل في هذه الصناعة ٥٠ مليون عامل ، و ٢٠٪ من مجموع المهندسين والعلماء ، ويقدم الشخص ...

العلماء والباحثين الذين يعملون في هذه المجالات بنصف علوم بأبحاث . كما تخصص ٣٠ مليار دولار للأبحاث العسكرية .

وبذلك أصبحت الصناعات الحربية صناعة رئيسية يعتمد عليها النظام الاقتصادي العالمي ، إذ أنها تحتاج إلى المواد الخام من الدول النامية ، مثل الألمنيوم والنحاس والنيكل والبلوتونيوم واليورانيوم . وفي نفس الوقت فهي تسعى لإيجاد أسواق للتوزيع لتغطية نفقات الإنتاج ولموازنة ميزان المدفوعات ، وبذلك زادت معدلات الإنتاج من عام ١٩٧٠ حتى عام ١٩٨٠ كالآتي :-

الولايات المتحدة ٤٠٠٪

الاتحاد السوفييتي ١٢٥٠٪

بريطانيا ٩٠٠٪

ألمانيا الغربية ٦٧٨٪

إيطاليا ٣٤٠٠٪

وبالتالي يمكن تحديد نسبة تصدير المصدرين الكبار في الأسلحة التقليدية عام ٨٥ كالآتي :

الولايات المتحدة ٣٩٪ والاتحاد السوفييتي ٣٤٪ وألمانيا الغربية وبريطانيا وفرنسا كل منها ٣٪ بينما في عام ١٩٧٤ نسبة الولايات المتحدة ٤٥٪ والاتحاد السوفييتي ٣١٪ وفرنسا ٦٪ وبريطانيا ٥٪ والصين ٣٪ .

وكانت التوزيعة الإقليمي لاستيراد الأسلحة التقليدية عام ١٩٦٤ كالآتي :-

شرق آسيا ٥٥٪ والشرق الأوسط ١٣٪ وجنوب آسيا ١١٪ وأمريكا اللاتينية ٤٪ وإفريقيا ٩٪ .

أما في عام ١٩٧٤ فكانت التوزيعة الإقليمي كالآتي :- الشرق الأوسط ٥٤٪ وشرق آسيا ٣٠٪ وجنوب آسيا ٤٪ وأمريكا اللاتينية ٦٪ وإفريقيا ٦٪ .

وحتى نتصور حجم التدفق من الأسلحة الذي يصب في منطقتنا ، علينا أن نتذكر أنه كانت لدى البلاد العربية في حرب ١٩٧٣ حوالي ٤٦٠٠ دبابة وهي ما تملكه دول الناتو إذ لديه ٧٠٠٠ دبابة ، وكانت لدى العرب ١٢٢٤ طائرة مقاتلة أي ما لدى الناتو إذ لديه ٣٠٠٠ طائرة . وقد قدرت قيمة الأسلحة المستوردة التي اشترتها البلدان العربية عام ١٩٨٠ بـ ٩٠٠٠ - ١١٠٠٠ مليون في مقابل ٣٠٠٠ لإسرائيل . وعدد المنصات الأخرى وصلت إلى ٢٢٨٨ في مقابل ١٠٧٠٠ لإسرائيل ، والطائرات ١٩١٤ للعرب في مقابل ٦٧٩ لإسرائيل عام ١٩٨٠ .

ولعلنا لاحظنا أن سوق السلاح يعتمد على حركة السلعة من المنبع وهي الدول الصناعية ، إلى المصب وهي الدول المستخدمة . والمنبع يطلق عليه « الدول المركزية أو القوى المركزية (Central Powers) والمصب تعني ما يعرف بالدول الهامشية (Perepherial) وكثير من كتابنا يغضب من لفظ « الهامشية » ولكنه لفظ علمي متعارف عليه لا يعني التقليل من الشأن بقدر ما يعني تعبيراً عن واقعها .

والحركة في ظاهرها كما نرى أمر طبيعي في السلع الأخرى كما يجري في السلع المتعلقة بشئون السلاح . ولكن الواقع غير ذلك تماما . فالحركة في مجال السياسة الدولية تصبح محكومة بعدة عوامل أهمها مصلحة القوتين الأعظم وسعيهما لتحقيق التفوق في توازن القوى الذي وصل إلى حد التعادل بين القوتين بحكم الرعب النووي . ولذلك انطلقت القوتان الأعظم إلى « الهامش » لكسب معركة التوازن هناك . وعلى الدول النامية - ونحن منها - أن تتحرك في ظل هذه الحقيقة . والحركة في المجال العسكري تحتاج إلى طاقة . والطاقة الذاتية تعطي الحركة مكانة أو مساحة محدودة . ذلك لأن الطاقة المتاحة هي التي تحدد المدى الذي يمكن للحركة أن تمضي فيه . وإذا كان المرغوب فيه أن تتجاوز المدى للطاقة المتيسرة أصبح لزاما تعويض هذا النقص من المصادر الخارجية ومن أهمها القوتين الأعظم .

ولكن الحصول على الطاقة في سوق السلاح ليس عملية سهلة كما يتخيل البعض ، أي بصفة شحنات من غير حساب . وتضع القوتان عدة شروط لإعطاء السلاح أيا كان نوعه أو كميته أو حجمه ، مهما توفرت قيمة شرائه . هذه العملية التجارية في ظاهرها لها قوانين تتدخل وتتحكم فيها .

القوانين المتحكمة في سوق السلاح

تقوم هذه القوانين على مصلحة الدول المنتجة في المنطقة . وهذه المصلحة هي التي تحدد طبيعة القرار

بالمراقبة أو الرفض .

والقانون الثاني هو «حجم المحقق لمصلحة الدول المنتجة من وراء ذلك في إطار سياستها العالمية . وهذا يوضح ويحدد حجم الشحنة المعطاة ونوعها ، وثم وضع الحجم المحقق لمصلحة الدولة المنتجة وحجم الشحنة المباعة أو الممنوحة في تحقيق ميزان ما رجحت احداهما الأخرى . فالولايات المتحدة مثلا ترى ان اسرائيل تحقق لها مصلحتها وكونها حليفة وتشق جبهة معاديت السير في المنطقة فتكون اسرائيل دولة حليفة مخلصة ..... باعطائها نوعا وحجما من الاسلحة الحربية يمكنها من ذلك .

والقانون الثالث هو عدم تجاوز الشحنة المعطاة للدولة من الدول الخط الذي يسمح لها بتجاوز الخط الأحمر وهو الخط الذي يهدد بتصادم القوتين الأعظم لصعوبة التحكم في مدى الحرب حينئذ بما يحقق والأمن المزعوم

وهنا نتوصل بحصيلة القانون : نوع السلاح وحجمه وبعده

والقانون الرابع في التعامل هو أن يتم التنفيذ بحيث يضمن الاعتماد على العلاقة المستمرة بين الدولة التي تعطي والدولة التي تأخذ ، وذلك بتحديد حجم الذخيرة المنقولة وحجم قطع الغيار ، وكمية أعمال الاصلاح التي يسمح بعملها خارج الدولة المانحة وكذلك فترات التوريد .

والقانون الخامس الذي يحكم هذا النوع العجيب من التعامل هو حصانة منع كشف ما في التكنولوجيا من وسائل التصنيع . وعلى ذلك فإن الدولة المانحة التي تعطي حربة لكل من نعطي إلا نعطي أو نبيع إلا من الأسلحة التي تحويها ابتكارات تقنية أخرى استحدثت في خطوط الانتاج . لأنه من يدري ؟ فقد يقع السلاح المعطى بطريقة أو أخرى في يد الجانب الآخر بطريق مباشر أو غير مباشر فيكتشف شيئاً كان من الضروري أن يبقى في طي الكتمان ليضمن جودة في الحرب التكنولوجية المدمرة .

من الأفراد إلى الحكومات

في ظل هذه القواعد يتم التعامل بصفقات حسابية دقيقة تجري فيها موازنات شاملة ، بين ما يعطى وبين ما ينبغي أن يكون . ويخطيء من يظن أنه قادر على إلغاء هذه القوانين ، فمن يريد أن يأخذ الكثير عليه أن يعطي الكثير ، والدفع ليس بالضرورة عملة نقدية ، ولكن هناك وسائل أخرى كثيرة ومتعددة يتم بها تغطية الحساب ، كالقواعد والتسهيلات والاستقطاب والتوافق الاستراتيجي .

والتعامل مع الشركات يخضع لنفس القوانين ، وكذلك مع الأفراد علما بأن تطورا خطيرا حدث في الحقبة هذه فقد بدأت تجارة السلاح أول ما بدأت بواسطة الأفراد ، وكان الأمر سهلا إذ كان على طريقة «خذ واستلم ، وسيروا عليك ...» وتعقدت الأمور أكثر حينما أصبح الأمر في يد الشركات الضخمة ، وانحصر دور الأفراد على القيام بأعمال السمسرة . أما الآن فهو من صميم أعمال الحكومات فهي التي تبيع أو تسمح بالبيع .

والمسألة في غاية التعقيد . ولكي نتصور مدى ذلك نضرب مثلا واحدا من الولايات المتحدة . هناك شركات عملاقة لانتاج الأسلحة وأهمها مثل شركة ، روكويل العالمية ، ولوكهيد ، ماكدونالد دوغلاس ، وصناعات ليتون ، وغرمن للطائرات ، وبوينغ ، وكلها شركات يسيطر عليها بنك امريكا The Bank of America . وبهذا الوضع يصبح هذا البنك قوة ضاغطة حتى على القرار في البيت الأبيض أكثر من بنوك روكفلر وميلون ومورجان ، ولكنه وفي نفس الوقت لا يمكنه التصرف لا هو ولا أحد من شركاته دون قرار من هناك . وأصبحت الأمور متشابكة بين جهات التمويل واصحاب القرار ، لذلك فإن البنوك وليس الشركات هي التاجر الرئيسي في سوق السلاح .

ويزداد الأمر تعقيدا حينما سحبت الموضوع إلى صورة تضخم هذه الشركات ، لتصبح متعددة الجنسية ، مكونة علاقاتها مع شركات وراء البحار . فشركة لوكهيد الأمريكية لها علاقة مع شركة مسر شميدت الألمانية Messer Shmidt وهذه الشركة بدورها لها علاقة مع شركة الفضاء البريطانية British Aerospace ، وكذلك شركة الطيران الايطالية Aeritalia وهذه الشركات الثلاث تشترك مع شركة داسو الفرنسية The Dassault في إنتاج الطائرة التورنيدو

وبهذا التعقيد أصبحت الدبلوماسية هي فن الابواب الامامية .

التمويل والعملة

وجانب معقد آخر يمكن أن نقف عنده للبحث عنه في عجالة وهو الجانب المتعلق بالتمويل . إن من العامل الحاسم في أي سوق هو « العملة » وهي التي تتحقق عن طريقها البيع والشراء . والعملة في سوق السلاح لا تكون بالضرورة عملة نقدية ، ولكن هناك أنواعا أخرى من العملات تسدد بها فواتير الحساب . ولكن سنقصر حديثنا في هذه الفقرة على « العملة النقدية » مركزين على « المنح الأمريكي » وهو المصدر الأساسي لأغلب البلدان العربية .

فمن يطلع على مخطط الميزانية للمعونات الأمنية الأمريكية لعام ١٩٨٥ والتي قدمتها الإدارة الأمريكية للكونجرس لمناقشته والتصديق عليه ، فإنه يرى أن المساعدة تتوزع على النحو الآتي :

١ - برنامج تمويل المبيعات العسكرية الأجنبية
٢ - صندوق الدعم الاقتصادي
٣ - برامج المساعدات العسكرية
٤ - قوة حفظ السلام

ومن يطلع على هذه الخطة يجد أن أرقامها تترجم حرفيا السياسة الخارجية الأمريكية وليس المصلحة الأمريكية أو العربية . فالولايات المتحدة الأمريكية لا تنفق لا سيمتها ، ودافع الضرائب الأمريكي لا يدفع ضرائبه لتنفيذ أي سياسة أخرى غير سياسة بلاده التي تقرع عليها أثناء عملية الانتخابات . وبناء على ذلك نجد أن أي بند من بنود الخطة قد صمم بدقة كي لا يخرج عن إطار تحقيق الهدف الذي وضع وهو تمكين الإدارة الأمريكية من تنفيذ سياستها في الشرق الأوسط مرتكزة على إسرائيل كقوة أساسية .

سياسة « العصا والجزرة »

وبملاحظة أن الولايات المتحدة الأمريكية تتبع في تصميمها في هذه البرامج سياسة « العصا والجزرة » ففي الوقت الذي تعطي تسهيلات حقيقية ، تقوم بوضع القيود التي لا يستطيع المتلقي أن يفك منها . وتتعامل إسرائيل مثلا على ما نقول :

يتسم التعامل بين الولايات المتحدة وإسرائيل بالمرونة الكاملة :

١ - تستفيد إسرائيل مما يسمى بالتدفق النقدي (Cash Flow Method) وفي هذه الطريقة يحدد المشتري عند التعاقد تواريخ تحويله وجداول الدفع التي يوزع فيها المبلغ المطلوب الحصول عليه من البرنامج على أكبر عدد ممكن من السنين . وبموجب هذا الاستثناء تجنب إسرائيل الخطط الأولى لخط المطلوب بموجب العقد ، وتستخدم باقي المبلغ المخصص في تعهدات جديدة . فإذا كان القرض على سبيل المثال يبلغ ١٠٠ مليون دولار ، واتفق في التعاقد على أن يكون الدفع على خمس دفعات سنوية كل منها ٢٠ مليون دولار ، فإسرائيل تجنب ٢٠ مليون دولار فقط قيمة الدفعة الأولى ، وتتعهد بالتزامات جديدة بالباقي وقدره ٨٠ مليون دولار ، على أن القانون الأمريكي يحتم تجنيب كامل مبلغ القرض حتى عملية التسديد .

وفي حالة مصر مثلا كانت المعونة موجهة إلى مشروعات محددة منذ بداية المعونة عام ١٩٧٥ وقد أدى ذلك إلى تراكم قسم كبير من هذه المعونة في الفترة من ٧٥ - ١٩٨٣ دون أن تستخدمه مصر بسبب اختلاف وجهات النظر بين الحكومة المصرية وبين الوكالة الدولية التابعة للحكومة الأمريكية حول كيفية تحديد الأولويات أكثر والنقاط التي تريد الوكالة توجيه المعونة إليها . وقد بلغت هذه المعونات غير المستخدمة ما يقرب من ٢,٤ بليون دولار كان يفترض حسب القانون الأمريكي أن تعود إلى الخزانة الأمريكية ، ولكن اتفق الطرفان على أن تبقى معلقة في ما يطلق عليه « أنبوب الأنابيب » حتى يتم الاتفاق على استخدامها . ولهذا ظلت تتوقف مصر أن تطالب بتغيير هذا النظام من توجيه المعونة إلى مشروعات محددة لكون توجيه المعونة إلى « قطاعات محددة » وفعلا منذ عام ١٩٨٤ بدأت المعونة تسير على أساس مزيج الطريقتين . وتطالب مصر الآن بمعاملتها بالمثل على طريقة « التدفق النقدي » كإسرائيل أو على الأقل مزيجا بين طريقة التوجيه إلى القطاعات وطريقة التدفق النقدي .

٢ ـ تعفيه الولايات المتحدة كثيرا من التنازلات عن أقساط القروض ، ففي ميزانية عام ١٩٨٣ تنازلت عن ٧٥٠ مليون دولار من أقساط القروض من المبيعات الحربية الأجنبية .

٣ ـ تعفيه الشركات الأمريكية عند شراء إسرائيل المعدات الحربية الأمريكية بقرض ، حصة من السلع أو الخدمات الإسرائيلية ، الأمر الذي يعتبر شيئا غريبا في مجال المبيعات العسكرية الدولية . ويعتبر نوعا من الدعم في عقود مبيعات المعدات الحربية الأجنبية ، أو دعما للقروض الأمريكية .

٤ ـ القروض الحربية الأجل ويطلق عليها [illegible] ، وتصل مدتها إلى [illegible] ذات استحقاقية تقترب من فوق عشر سنوات .

٥ ـ التغاضي عن المخالفات التي ترتكبها إسرائيل في حق القانون الأمريكي الذي يقضي بعدم استخدام الأسلحة الأمريكية إلا في الدفاع عن النفس ، والتغاضي عن الأمر أيضا ، والسماح لها بالتغاضي عن القوانين الأمريكية .

زيادة التحكم

هذا من ناحية الحرب ، أما من الناحية الأخرى [illegible] التي تصل إلى الجيش الأمريكي عن مبيعات إسرائيل صفقات إسرائيلية بأجزاء أمريكية تعرض للبيع ، إضافة إلى قيام إسرائيل بالتوقيع مع شركات أمريكية للمشاركة في الصفقات الانتاجية التي تحصل عليها ، وإنه يتيح للمصدرين الأمريكيين نفس الحقوق التي تتمتع بها إسرائيل حيث يستطيعون في الأسواق الإسرائيلية ، وتصل نسبته ٥٠٪ من كافة المشتريات الدفاعية من أمريكا .

ويلاحظ هنا أن مكانيزم المبيعات يهدف أولا وأخيرا إلى زيادة التحكم في المعونة العسكرية حتى لو كانت هذه المعونة هي إسرائيل .

هذا من ناحية الجانب الإسرائيلي ، أما من ناحية الجانب العربي فتحرص السياسة الأمريكية على :

● أن يكون التوازن لصالح إسرائيل في كل الظروف والأوقات .

● الإبقاء على « فجوة تكنولوجية » بين البلاد العربية وإسرائيل تعوض التفوق العربي العددي والكمي .

● ألا يؤدي أن يتفوق السلاح الأمريكي على السلاح السوفيتي في أي معركة .

● التقليل من أعباء المعونة .

● عوائد صفقات القروض العسكرية بحيث تستهلك الجزء الأكبر من المعونة الاقتصادية .

وبخصوص الناحية الأخرى ، فمن خلال النظر إلى حجم المعونة الاقتصادية التي تلقتها من الولايات المتحدة عام ١٩٨٣ نجد أن ٧٥٠ مليون دولار منها [illegible] ، ٤٠٠ مليون دولار منح نقدية و ٢٠٠ مليون دولار قروض [illegible] لاستخدامها في شراء الأسلحة ، وقد بلغت المعونة العسكرية لمصر ٤ مليار دولار منها [illegible] ، [illegible] مليون دولار [illegible] ، وهكذا فقد [illegible] [illegible] حصيلة [illegible] وتعتبر [illegible] الأمريكية [illegible] مليون دولار ، [illegible] مليون دولار فقط من معونة العام الماضي [illegible] ، [illegible] الاقتصادية [illegible] العسكرية [illegible] الولايات المتحدة .

من ذلك نرى أن السوق العربية لسلاح السوق المختلفة التي [illegible] الأسواق العربية ، [illegible] المتداولة فيها وطريقة التعامل بين البائع والمشتري وسماسرة السلاح والشركات التي تتفق عليها . كلها تتم بطريقة مختلفة [illegible] ذكرها من أن [illegible] [illegible] .

ويبقى السؤال المهم الذي يجب أن نفكر فيه : وهو كيف يمكننا نحن العرب أن نتحكم في هذه السوق المهمة العربية بالنسبة لنا ، أكبر من التجارة هنا في السياسة ؟ !

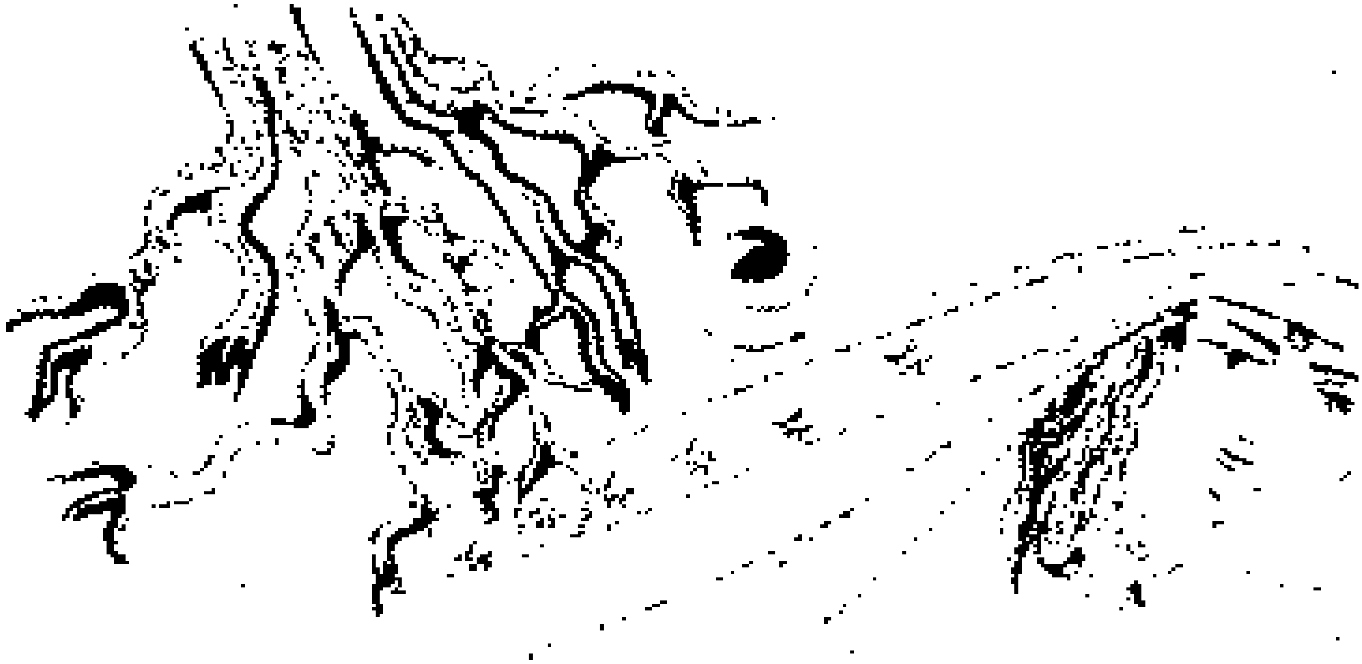
وفي كل مرة ومرات تأتي الإجابة عن طريقة صحيحة تفتح الطريق أمام المجتمعات الخائرة على الطريق السليم .

□

لقاء في المنامة

الشاعر محمد الفايز

سقاك الله من بيض الليالي
وضيع من جوانبك الرقاق
لأنك قد أتيت مع شطري
بما يأتي وجئت مع التصابي
وأخشى أن يفجرني سكوتي
فتورق أو ترتعش التلاقي
وأنت سنابل الشعل السواقي
تهيم من الجوانح والتراقي
وأنك قد عرفت بأي عشق
شربت وأنت بارقة البروق
دعتنا الليالي الأمس فجئنا
تسير على الأصابع والليالي
وليل لم يكن ليلاً ولكن
سنابك خارق وصدى التلاقي
عرجنا نقتفي شجرة غريبا
فتى أقصيته فرخ الفراق



وللأشجارِ لغاتٌ وفيها
مواسمُها المرحومُ بلا تلاقي
مسلكةٌ إلى لغتي حروفنا
وورقتُنا وشمةٌ كلُّ ورقِ

وكانت تقرأُ الأشجارُ كلٌّ
لهُ وطنٌ ولعبتهُ بحواشي

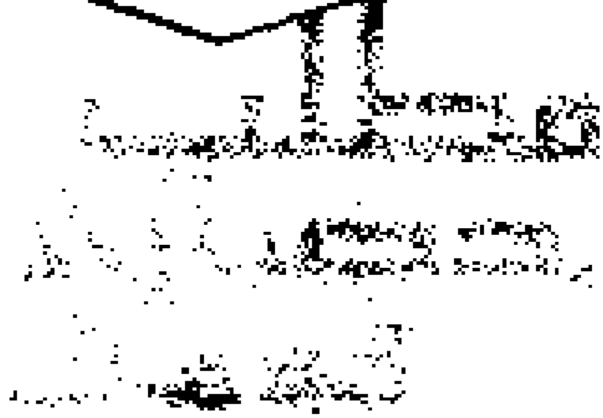
وكنتُ كتلك أقرأُ ما عليها
وأورقُ في مسامعِها الحدائقِ

كأنَّ بجسمِها شرياناتِ برقٍ
وإلّا طفتُ من حتهِ تُسرقِ

وواضحةٌ اغتراتك إذ تشتي
بها عشقٌ وظبيةُ العشاقِ

وما برحتْ ثيابي في عبيرٍ
أثرتُ في بواطنِه احتراقي

تجديد التربية



بقلم : د . عبدالله عبدالدايم

التجديد في ميدان التربية .. هو أساس التقدم الحضاري والنهوض القومي . وهو يستهدف بالضرورة إطلاق الطاقات الفكرية وتفجير الخلق والإبداع عند أبناء الوطن العربي .. والبحث لتحديد الأوجه المرجوة لهذا التجديد والسبيل إلى تحقيقها

لم تعد أي مجتمعة ، ولن نغرق في دروبا طرقه الأنثة ... في شعب البحث في ذلك الفضاء ، التي شاع وذاع في حنة التربية منذ بضع وعشرين سنة ، والتي ... بعض الكتب ... وفي مشاهدة طويلة لدراسة حية وتفصيلا ، والتي ذهب في آخر أشكاله إلى الفلسفة بتصور عصر تربية التعليم ، عصر التصنيع والتحرر ، وإلى الطاقة بصيغ

تربية حديثة تدخل في مرحلة من التجديد أو تقلبات تعليمية جديدة ، هدفها النهائي تعليم عدد أكبر من الصغار والكبار تعليما أفضل ، بغض الاستعدادات الذاتية والبشرية الخاصة .

إن أحسن فرصة أن نمضي مع رواد هذا الفكر التربوي حول التجديد ومرتجاته ودعاواه ومبرراته ، إلى استقراء الواقع العربي عامة والموقف العربي خاصة ، لنعرف هل ثمة في فلسفة التربية ...

ضروري لاحتضان ثمرة العصر، والحصول في رحابه، واللحاق بركب تقدمه.

التجديد التربوي في البلدان المتقدمة

ولنبدأ بالبلدان المتقدمة، فقد يخيل للقارىء أن ما نتحدث عنه من شأن التجديد ودوره في بناء التقدم الحضاري يصدق على البلدان النامية وحدها لا على البلدان المتقدمة. والأمر ليس كذلك، فالتقدم أولا نسبي دوما، والسباق للتقدم سباق لا ينتهي. وهو دوما أمامنا لا وراءنا والبلدان المتقدمة بعد ذلك مراتب ودرجات، والسباق بين من يرتقي أعلى السلم، وبين من يزحف في بداياته أو أواسطه سباق حاد، يتخذ حقا شكل الصراع القومي والحضاري. وحسبنا دليلا على ذلك أن نشير إشارة عابرة إلى مثالين حديثين من أمثلة كثيرة: أولهما الصراع الذي حدث بين المشروع الأوروبي (الذي تتزعمه فرنسا) حول صناعات الفضاء وأبحاثه (مشروع أوريكا) وبين المشروع الأمريكي في هذا المجال. والمثال الآخر هو ما جلبته لنا أمريكا في الآونة الأخيرة، من بيع كميات كبيرة من القمح للجزائر منافسة في ذلك فرنسا التي تعتبر سوق الجزائر سوقا تقليدية لها.

وكلا المثالين، والأمثلة أكثر من أن تحصى، يشيران إلى طبيعة الصراع وجوهره، ويضعاننا في صلب موضوعنا الأساسي موضوع التجديد التربوي. فحول الصراع هو مدى التقدم العلمي والتقني الذي يملكه كل طرف، ومدى قدرته على تحديث وسائل الانتاج تحديثا يزيد في انتاجية مشروعاته الصناعية والزراعية وسواها، ويضمن للقمح الممكن بيعه إلى الجزائر بأسعار مزاحمة لأسعار القمح الفرنسي، بسبب جودة القمح الأمريكي، وبسبب انخفاض كلفته نتيجة زيادة الانتاجية الزراعية، عن طريق تحديثها، واستخدام أرقى الأجهزة والوسائل التقنية فيها.

والسباق القومي بين الأمم يدور حول من يحرز السبق على أرض التحديث العلمي والتطوير التكنولوجي في وسائل الانتاج، وتحقيق المزيد من أتمتة الآلة، وتحريرها من تحكم العمل الانساني. ولا يتحقق ذلك إلا إذا تم تطوير سريع لأجهزة الانتاج ووسائله، واستخدام متزايد للأوتوماتية والبرمجة الالكترونية والعلوم الحديثة وسواها من التقنيات العلمية، التي تزيد في الانتاجية، وترفع من مستوى فعالية الادارة والتنظيم. والحديث عن التغيرات المرجوة وعما يجري بهذا الشأن في البلدان المتقدمة حديث يطول طولا يخرجه عن هذا المجال والذي نريد أن نخلص إليه من وراء هذا كله أن مثل هذا التحديث والتغيير لا يمكن أن يتم إلا بتجديد التربية بنى ومضامين وطرائق. ومن هنا نفسر اتجاه البلدان الأوروبية في سعيها من أجل تحديث وسائل الانتاج، لا بد أن يرافقه جهد مواز يتصل بإعداد القوى العاملة اللازمة لوسائل الانتاج الجديدة، وللقيم الاقتصادية والاجتماعية الجديدة بوجه عام. ومثل هذا الجهد لا تغني فيه الجهود الاصلاحية الجزئية، بل لا بد فيه من جهد تربوي تجديدي جذري.

البلدان العربية والتجديد التربوي

ولكن لا بد من الاعتراف هنا بأن تجربة البلدان المتقدمة، فهي على غناها ودروسها، لا تغني عن الحديث عن تجربتنا التربوية الخاصة. وحسبنا أن رأينا من خلال هذه اللمحة الموجزة الخاطفة كيف أن تجديد التربية في البلدان المتقدمة هو سبيل التجديد الحضاري القومي وهو السبيل الذي لا بد منه لتأكيد الوجود والهوية القومية في حلبة السباق الدولي. السباق الذي نحن مطالبون أن نخوضه أولا وقبل كل شيء.

أما في البلدان النامية عامة والبلدان العربية خاصة، فالصلة بين تجديد التربية وبناء الحضارة القومية صلة أعمق وأوضح. لقد قطعت معظم هذه البلدان شوطا واسعا في طريق تعميم التعليم وبالإضافة إلى فروع التعليم الابتدائي تضاعفت نسبة الملتحقين بالتعليم الثانوي بل العالي. ومع ذلك فقد ظلت هذه الجهود الضخمة التي استغرقت سنوات عديدة وأموالا يعجز المرء عن حصرها، ما تزال مقصرة تقصيرا فاضحا عن الشأو المطلوب، إذا نظرنا إليه من منظار حاجات اللحاق بالعصر، وبناء حضارة قومية في مستوى التقدم العالمي. ذلك أن الوقت الذي كان يظن المرء فيه أن التربية ضرب من مكافحة الأمية لا غير وقت قد مضى وانقضى. كما أنه ذهب إلى غير

وجهة ، فتلك هي رائد بعض الاتجاهات ، ان مجرد بناء المدارس وفتح أبوابها على مصراعيها لطالبيها ومرتاديها يؤدي الى التنمية المنشودة ، بأبعادها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية . وفي البلدان العربية بوجه خاص ، تحولت الكثير من المدارس الشامخة التي فتحت أبوابها للطارقين ، والجامعات المتكاثرة التي بلغ بعضها من العمر عتيا ، والتي خرجت أفواجا من بعدها أفواج ، لم يكن حصادها حتى الآن الا حصادا محدودا ، ولم تؤد الى تطوير البلدان العربية منزلة الدول التي ما تزال تعبر نحو مرحلة الثورة الصناعية الأولى ، الى عالم تجاوزها وتجاوز الثورة الصناعية التي تليها ، وانطلق يحث الخطا الى عالم ما فوق الصناعة والى الثورة العلمية التقنية .

ويكاد الشعور يسود بأن الطاقات الفكرية لأبناء الأمة العربية شأن طاقاتها المادية ، طاقات مغلولة ، لا تجد في نظم التربية ما يعمل على تفتيحها الى أقصى مدى ممكن ، والى تفجير الخلق والابداع فيها ، بل كثيرا ما تعمل النظم التربوية السائدة على كبتها ووأدها منذ طور مبكر .

ونستدرك فنقول : اننا لا نعني بذلك أن نحمل التربية وحدها أوزار التخلف العام ، فالتربية نظام فرعي من نظام كلي ، وهو النظام الاقتصادي والاجتماعي الشامل ، ولا بد من جهود متوازنة ومتوازية في التربية وفي سائر مقومات النظام الكلي . من هنا هذا الواقع [illegible] على أساس طرح مأزق التجديد التربوية في البلدان العربية وفي البلدان النامية ، بشكل أساسي . ذلك ان التربية تكاد تكون في معظم البلدان المؤسسة الثقافية والتنموية الوحيدة ، وليس من حولها الا القليل من المؤسسات والمواقع الأخرى ، التي تسهم في تطوير الفرد وتنميته في أثناء وجوده في المدرسة وبعد تخرجه منها . زد على ذلك أننا لا نستطيع أن نضع نظمنا في الجوانب الاقتصادية المختلفة وفي المؤسسات التابعة لها من صناعية وزراعية وتجارية وسواها ، الا بمقدار الجهد تقوم به المدرسة من أجل البناء التعليمي للشخصية المنشئة ، بدلا من تشويهها على العكس وتفتيحها تفتيحا متكاملا ، لأغراض التقدم الحضاري المنشود .

الأوجه المرجوة للتجديد التربوي الحضاري :

على ان التجديد التربوي المرجو في بلادنا ليس أي نوع من التجديد كما قلنا منذ البداية . انه التجديد الذي يتحلق حول مطلب أساسي ، مطلب اللحاق بركب التقدم العالمي من أجل بناء الحضارة العربية . ومن هنا لن نعرض عند الأوجه والاشكال المتكاثرة للتجديد ، وعند تجارب التجديد التي تم تجريبها هنا وهناك ، بل سنقصر حديثنا على الجوانب التي تحقق لنا الصلة بمطلبنا هذا ، دون أن ننكر شأن الجوانب الأخرى المختلفة من التجديد .

وفي هذا الاطار يبدو لنا ان التجديد التربوي المنشود في بلادنا العربية ينبغي ان يدور حول محاور خمسة : ربط المدرسة بعالم العمل ، وربط المدرسة بعالم العلم والتقنية ، وبث وسائل التثقيف والتعليم الذاتي ، أعني تعليم المرء نفسه بنفسه ، والتربية على الحياة الديمقراطية ، وتكوين ارادة للعمل المشترك في السعي نحو التكامل .

١ ـ أما ربط المدرسة بعالم العمل والانتاج فمطلب واضح الصلة بمستلزمات التقدم الحضاري ، وليس هنا لنطلب أهمية خاصة في المجتمع العربي الذي ورث زمنا طويلا مترافقا لتراث علمي . يحتقر العمل ويحتقر المهنة ويعتبر فيه المرء الحرفي محترما بأمره ويذكره بحبه للعمل وبغض التكبر . ووسائل التجديد وتقنياته في هذا الميدان كثيرة ومعروفة . لا مجال الى التفصيل فيها . وحسبنا ان نقول ان أهم هذه الوسائل ان نلجأ الى فرص عدة للعمل لدى الأطفال منذ مرحلة الاعداد . وان نعودهم على العمل وعلى حب العمل . وان نجعلهم برهة خاصة يدركون عن طريق الأساليب التربوية الملائمة ، جمال الابداع اليدوي ، وروعة العمل الفني ، وسرعة الخبرة المهنية ودقتها الاكتساب بالأصابع للحس ، والتجربة ، المعاني الحقة في اليد ، والذي يفوق المعاني التي في الرأس ، على حد قول فيلسوف . ونعني هنا وذلك ان توجيههم بعد ان يحصلوا على أبواب العمل في المرحلة الأولى من التعليم الثانوي ، نحو اهتماماتهم الخاصة ، بعد ان نكتشف عنها كشفا علميا سليما ، بحيث نوجههم بعد ذلك الى فروع الدراسة

وشرائحها المختلفة ، استمعوا إلى ما قدمه من تلك الفعاليات وإلى ما يشيرون إليه بطبيعتهم . ومعنى هذا وذاك ، لا بد من تعريفهم بحق عالم العمل ، واطلاعهم على مجرى الحياة في المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية المختلفة القائمة في البلد ، بل لا بد من إقامة ضروب من التعاون بين المدرسة وبين عالم العمل ، هذا لا سيما في المراحل المتقدمة من التعليم ، هذا إذا لم نأخذ ببعض الأفكار الهامة الحديثة الداعية للتناوب بين المدرسة والعمل ، أو بالتربية الراجعة المتكررة .

٢ ـ ويلحق بمطلب ربط المدرسة بعالم العمل ويكمله مطلب ربط المدرسة بعالم العلم ، عالم التقدم العلمي التقني في أدق صوره ومنجزاته . ولقد رأينا أن العلم غدا قوام العمل والإنتاج في أيامنا هذه ، وأنه والتقدم الحضاري صنوان لا يفترقان . ونعرف أيضا أمورا كثيرة حسبنا منها أن نؤكد أن التجديد المنشود في هذا السبيل لا يعني مجرد بث الروح العلمية ، أو مزيد العناية بمواد العلوم على أهمية ذلك ، بل يعني شيئا أوسع وأعمق وأكثر جذرية ، يعني بناء مناهج التعليم وطرائقه وبنيته ومشكلاته وكل ما فيه ، بناء جديدا انطلاقا من معطيات الثورة العلمية التقنية . لقد رأينا بعض سمات هذه الثورة ومن المهم أن نذكر هنا أنها تؤدي فيما تؤدي إليه إلى توليد علوم جديدة ، وإلى تقدم علوم عديدة بفضلها ، كما تؤدي إلى خلق مهن جديدة ، وإلى ضياع الحاجة إلى كثير من المهن التقليدية ، وأهم من هذا تغير العقلية التقليدية التي تنزع ويتزايد شأنها من خلال هذه الثورة : المعلومات المتصلة بالطاقة وبالطاقات الشمسية خاصة ، والمعلومات المتصلة بالأدوات التي يجتاح بها تقدم التكنولوجيا الميكانيكية ، والمعلومات المتصلة بالحاسبات الالكترونية ، فضلا عن الصناعات الفضائية ، وعلوم البيولوجيا الذرية ، والصناعات البيولوجية ، وعلم النفس . . . ولا شك أن هذه التغيرات الخطيرة في مجرى الحياة العلمية والتقنية الحديثة ، تستلزم من البلدان العربية والبلدان النامية عامة تجديدا تربويا جذريا في بنية التعليم ومناهجه وطرائقه .

٣ ـ ويرتبط بهذا كله القول بمطلب التعليم الذاتي . فلئن أدت الأعمال في آلية الآلة إلى ضرب من التسيير الذاتي لكثير من المؤسسات الصناعية تسييرا تقوم به الآلة بدلا من الإنسان ، فإن الدراسات الحديثة في علم النفس وفي التعلم ـ فضلا عن التطور التقني نفسه ـ تبين أن مثل هذا التسيير الذاتي للتربية ينبغي أن يحتل مكانة متعاظمة في التربية . إن أوضحنا فضلا أن نقيم مشكلات الإنسان على غير مبالغة . ونعني بالتسيير الذاتي هنا وسائل التعلم الذاتي ، أي تلك التي تسمح للمتعلم أن يعلم نفسه بنفسه . وقصتها قديمة : « من لم يعلم نفسه لم يعلمه معلم » ويتيح استخدام الحاسبات الالكترونية في التعليم إلى جانب التقنيات الحديثة الأخرى مجالا واسعا لمثل هذا التعلم الذاتي . وقد خطت بعض البلدان العربية خطوات في هذا المجال ، وهنالك جهود قائمة ، عربية وقطرية للإفادة من الحاسبات الالكترونية في التربية . على أن الآلات والأجهزة الحديثة ليست شرطا لازما للتعلم الذاتي ، كما أنها ليست شرطا لازما لتقدم سائر أساليب التربية ووسائلها . والآلة هي كونها عنصرا مساعدا ، ليست هي الأصل في تجديد الوسائل والأساليب ، سواء اتصلت بالتعلم الذاتي أو سواه . وهنالك وسائل تربوية عديدة لا تلجأ إلى الآلة تمكن الطالب من تعليم نفسه بنفسه ، ومن تعويده على أن يثقف ذاته .

٤ ـ وقد يبدو للوهلة الأولى أننا نقحم مطلب التربية الديمقراطية في عداد عناصر التجديد التربوي إقحاما فيه بعض الجسر . لا سيما أننا نتحدث عن التجديد التربوي في نطاق التقدم الحضاري ، ولا سيما التقدم العلمي التقني . وليس الأمر كذلك . فمثل هذا التقدم الحضاري لا يمكن أن يتحقق دون تربية ديمقراطية وثقافة ديمقراطية . والتقدم التقني لا يمكن أن ينبت في غير مناخ الحرية الفكرية والعلمية والاجتماعية . والتربية لا تستطيع أن تجدد نفسها وتتجاوز ذاتها أصلا إلا إذا كان المجال مفسوحا لنمو التفكير واطراد النمو . والإبداع ـ وهو أهم عناصر التجديد في كل ميدان ، وأهمها التجديد العلمي والتقني ، يعني في تعريف علماء النفس شيئا يتجاوز مجرد الذكاء ، والذكاء المقارب ، على حد قولهم ، إنه كما يقول أولئك الذين عملوا من روح الخلق والإبداع والابتكارية كما يقولون ، ذلك الذكاء المتباعد ، الذي لا يكتفي بحل المشكلات كالذكاء المقارب ، بل يخلق

دوريا جديدة، ويحلق في عوالم مبتكرة، ويشغل في أخرى مبادئ المألوف والمعروف. وتربية هذه الروح الإبداعية لها وسائلها العديدة، كما يعرفون، غير أن رأس وسائلها تنمية روح النقد الحر، والقدرة على الإتيان بالأفكار المبتكرة، والتعود التساؤل عن كل شيء، والاجتهاد الخروج من القوالب المألوفة وتجاوزها.

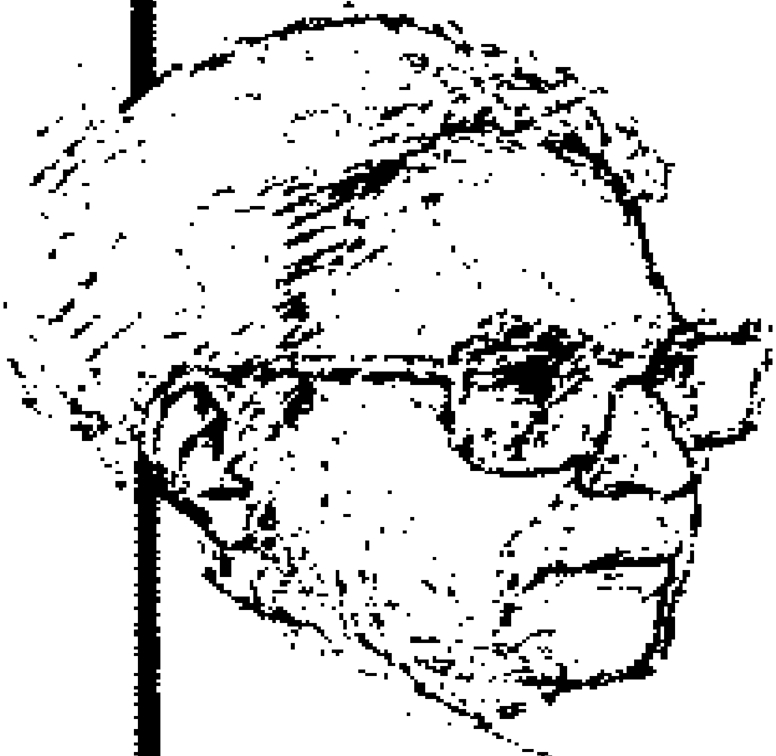
أما وسائل التربية الديمقراطية فقد أطال في الحديث عنها رواد التربية الحديثة: تنظيم العمل المدرسي في فرق، المكافأة الجماعية بدلاً من الفردية، تعليم الطالب بالنظر إلى ذاته لا بالقياس إلى سواه، النحن بدلاً من الأنا، الجمهوريات المدرسية، الصحافة المدرسية، الجمعيات المدرسية، المشروعات المشتركة الخ.... غير أن حركات التجديد التربوي تجاوزت هذا كله إلى المطالبة خصوصاً بالتسيير الذاتي للمدرسة، من قبل الطلاب والمعلمين والآباء مجتمعين، على نحو ما فعل أصحاب المدرسة المؤسسية بوجه خاص. وفي رأينا أن ما هو أهم من هذا كله وأبقى إشاعة روح النقد الحر في مناهج التعليم وطرائق التعلم من جهة، وتحقيق التفاعل والحوار الدائم بين المعلمين والطلاب، وكذلك بين الطلاب أنفسهم من جهة ثانية. وتتسع هذه الاهتمام [illegible] الطلاب طوال حياتهم المدرسية على تجربة في قوة الحق والحقيقة، وعلى قبول الحوار الحر حولها في الوقت نفسه، والخضوع لمنطق الشورى في كل أمر.

هـ ـ أما تكوين «رابطة العمل المشترك»، فهو يحتاج للطالب الذي يعيش للمحاور التجديدية جميعها أهدافها القومية والإنسانية. فالارتباط بين العمل والتدريس بالتعلم الذاتي والتربية على الديمقراطية أمور لا تكتسب كامل معناها، ولا تتخذ كامل مداها، إذا لم تسبقها رابطة مشتركة، تتوقف ذلك كله في خدمة الهدف القومي المشترك، وتتجسد في جبهة الجهود المتكاثرة المتلاقية، المتآلفة في الرغبة في بناء مجتمع قومي حضاري جديد. إن أي دعوة لا تملك الحرارة اللازمة لانطلاقها إلا إذا انبثقت من أهداف عليا تحركها. ودعوة التجديد التربوي لا تنطلق منطلقة خصبة إذا لم يوجهه انتظار دعاتها لحق قومي به يؤمنون، ولبنائه يعملون. والتجديد التربوي الذي يستهدف بوجه خاص بناء الحضارة القومية الجديدة بالأمة ونقصد على نحو ما أردنا في هذه الكلمة، يعمل في فراغ كبير إن لم يستند لجهود لإرساء البناء القومي المشترك والعمل الجماعي المتضامن المرصوص. وسائر محاور التجديد التي أشرنا إليها، العمل والتعلم والتعلم الذاتي والديمقراطية، تبقى جسداً بلا روح إن لم يكن رائدها في النهاية بناء حضارة، وتكوين أمة متماسكة يضم الجميع في أرجائها. إن سائر تلك المحاور مرهونة جامدة في ذاتها، لا تملك من قوة الاندفاع الذاتي ما يحركها ويحرضها. وهي تذهب وتضيء حين تتحول لمحاور أساسية لبناء قومي متين يعمل له الكل.

ولا شك أن المشروع الحضاري الموحد الذي تتم فيه إليه المحاور التربوية التجديدية التي أشرنا إليها، مشروع لا بد أن ينطلق من الارتباط بالتراث القومي أحد عناصره الأساسية. غير أننا لعلنا ندرك من خلال العرض الذي قدمناه أن الأصالة المنشودة في مشروعنا الحضاري المرتقب لا تقتصر على تحقيق الأصالة النابعة من الارتباط بالتراث، بل تتحقق أيضاً فيما أشرنا إليه [illegible] قواعد التربية [illegible] بالعمل والتعلم والثقافة [illegible] [illegible] [illegible].

[illegible] أولاً [illegible] [illegible] والتمسك [illegible] عن أرض الأمة وواقعها ومشكلاتها وضروراتها [illegible] البناء الذاتي الأصيل منخفضة. بل إنها [illegible] المتفرد حضارة لا بد أن تكون جديدة رغم أن جذورها في الماضي عميقة ضاربة. □

العدد الممتاز من العربي
أول يناير ١٩٨٦
مع هديتك السنوية



فرنان برودل

عاشق البحر المتوسط

بقلم : الدكتور أحمد أبو زيد

في مايو الماضي احتل المؤرخ الفرنسي فرنان برودل مكانه الجدير به منذ زمن طويل في الأكاديمية الفرنسية ، وبالرغم من تقلده مناصب رفيعة وحصوله على العديد من الشهادات والأوسمة والنياشين ، إلا أنه بقي على الدوام زاهدا في كل ذلك ، مخلصا لعشقه القديم ، للبحيرة الحضارية التي تسمى البحر المتوسط . . . .

استقبلت الأكاديمية الفرنسية في أواخر مايو الماضي (١٩٨٥) المؤرخ الفرنسي الشهير فرنان برودل . وفي خطاب الترحيب الذي ألقاه عضو الأكاديمية موريس دريون قال موجها الحديث إليه : « أرجو أن تسمح لي قبل كل شيء أن أعتب عليك ، لأنك انتظرت وقتا طويلا قبل أن تقرر الانضمام إلينا ».

ثم تساءل عما إذا كانت تلك رغبة لم أن طريقه كانت دائما مليئة بالنجاح وأيضا بالتشريف . ولقد لم يكن يرى أن دعوة الأكاديمية له كانت دعوة متعجلة . وطبقا لمذهب دقيق ، ولكنه يخفي وراءه أشياء كثيرة لها معناها . فخلال السنوات العشر الماضية كان أعضاء الأكاديمية يلحون على برودل أن يبدي رغبته في الترشيح للعضوية ، حتى يمكن انتخابه ، ولكنه لم يكن يستجيب لهذه الدعوات . لذا استجاب لدعوتهم لضرورة انتخابه الأكاديمية على الفور ، بعد أن

كان قد بلغ الثالثة والثمانين من عمره ، وبذلك لكي يملأ المكان الذي شغر بموت الكاتب أندريه شامسون .

وخرجت صحافة باريس ترحب بذلك الاختيار الذي طال انتظاره . ولم ينس البعض مع ذلك أن يقول إن بروديل كان يتردد في ترشيح نفسه ، لأن عضوية الأكاديمية لم تكن تضفي عليه مزيدا من الشهرة أو الشرف ، فهو أكثر شهرة من أغلب الأعضاء الذين انتخبوه ليجلس بينهم . فقد تخطت شهرته حدود فرنسا إلى بقية أنحاء العالم ، كما أن كتبه تعتبر من أكثر الأعمال الفرنسية ذيوعا وانتشارا في أوروبا وأمريكا ، ولا يكاد ينافسها في ذلك إلا بعض الكتابات التاريخية ، التي اعتنق أصحابها نظرته إلى التاريخ ، وتأثروا بأسلوبه ومنهجه وطريقة معالجته له ، كما هو الحال في رواية مونتايو التي كتبها إيمانويل لوروا لادوري الذي كان يعتبر من أقرب أتباعه إليه ، حتى غضب الأستاذ عليه ، وأبعده عن دائرته .

ويقال إن مكانة لادوري اهتزت اهتزازا شديدا بعد هذه القطيعة .

نكهة الكتابة

ولم يكتسب بروديل شهرته بحكم المشاركة في الحياة العامة ، أو اعتناق أحد المذاهب السياسية المتطرفة ، أو مساندة حركات التمرد على الأوضاع القائمة في فرنسا ، والدعوة إلى الانقضاض عليها وتغييرها ، أو الحضور في المظاهرات ، كما كان يفعل كثيرون غيره من كتاب فرنسا وفلاسفتها ومثقفيها ، من أمثال جان بول سارتر وسيمون دي بوفوار وميشيل فوكو وغيرهم . فهو على العكس من ذلك تماما أقرب إلى التحفظ والعزلة والابتعاد عن الأضواء والزهد في الحياة العامة . إنما ترجع هذه المكانة العالمية التي يتمتع بها إلى تمسكه الشديد بالقيم والمعايير العلمية الصارمة ، وأخذه نفسه بالدقة والحذق في العمل . فالكتابة الجيدة في نظره ليست هي الكتابة بالطريقة الأنيقة ، وإنما هي الكتابة الدقيقة الرصينة . ولذا لم يكن يبخل بوقت أو جهد في جمع المعلومات الكثيرة ، وتتبع مصادرها ، والتحقق من صحتها ثم تحليلها . وليس أدل على ذلك من أنه أمضى عشر سنوات كاملة في جمع المعلومات اللازمة لكتابه الأول عن « البحر المتوسط والعالم المتوسطي في عصر فيليب الثاني » ، وهو الكتاب الذي لفت الأنظار إليه وضمن لمؤلفه الشهرة واسعة تماما ، ولا يزال اسمه مرتبطا به حتى الآن .

كذلك فإن كتابه الضخم عن « الحضارة المادية : الاقتصاد والرأسمالية في القرن الخامس عشر حتى القرن الثامن عشر » ، الذي ظهر عام ١٩٦٧ في ثلاثة مجلدات ضخمة ، ظل يشغل فكره ويأخذ الكثير من جهده في جمع المادة اللازمة له طوال ثلاثين سنة . وكان في أثناء ذلك كله ينشر عشرات المقالات في أهم المجلات العلمية ، وقد جمع بعضها فيما بعد في كتاب بعنوان « كتابات في التاريخ » ظهر عام ١٩٦٩ . ولا يزال بروديل حتى الآن ورغم بلوغه الثالثة والثمانين يقبل على البحث والكتابة بنفس الهمة والحماسة والتفاني والصرامة .

وهو في هذا كله يصدر عن موقف فكري ومنهجي محدد ، ويعالج مادته التاريخية بأسلوب متميز ، يجمع بين الدقة والجزالة . وهذه كلها عناصر أساسية تضفي على كتاباته شخصية قوية متميزة ، بحيث نجد هناك من يرى أن لكتاباته « نكهة » فريدة وطابعا خاصا أقرب إلى أن يكون نوعا من « الماركة المسجلة » .

وكتاب « البحر المتوسط » الذي ارتبط به اسم فرنان بروديل له قصة طريفة ، تكشف لنا عن الكثير من جوانب شخصيته ، وطريقة تفكيره وأسلوب عمله . فحين أراد اختيار موضوع لرسالته للدكتوراه عرض على أستاذه لوسيان فيفر أن يكون عنوان الرسالة : « فيليب الثاني والبحر المتوسط » ، ولكن الأستاذ اقترح عليه تغيير العنوان إلى « البحر المتوسط وفيليب الثاني » بحيث يكون التركيز على تلك المنطقة الجغرافية والحضارية المهمة وليس على شخص الملك . وكان ذلك بداية اتجاه جديد ومدخل جديد في الدراسات التاريخية . وعكف بروديل على جمع المادة العلمية الغزيرة المتعلقة بالموضوع ، وقامت الحرب العالمية الثانية ، واشترك فيها ، ولكنه وقع في أيدي الألمان منذ البداية ، وأمضى في معسكر الاعتقال خمس سنوات بعيدا عن مذكراته التي يقال إنها كانت تملأ أكثر من عشرة آلاف بطاقة . ولم يتسرب اليأس إلى قلبه ، وإنما عكف على الكتابة من الذاكرة ، وهو



فرنان بروديل

في « مجموعة » المعتقل التي يشاركه فيها نحو عشرين أسيرا آخر . وكان يسجل مايكتبه على قصاصات صغيرة من الورق يجمعها في غرفته ، حتى تهيأ له فرصة تهريبها وإرسالها إلى أستاذه ، وهكذا تم تأليف الرسالة التي أصبحت كتابا يقع في ألف ومائتي صفحة مليئة بالمعلومات والتفاصيل الدقيقة ، التي تدل على قوة الذاكرة وصلابة الإرادة . وقد ظهر الكتاب عام ١٩٤٩ ، ولفت إليه الأنظار بسبب أصالته وتفرده ، ثم ترجم إلى الإنجليزية ، ووقع عليه الاختيار ليكون من الكتب المشهورة في أمريكا ، وهو أمر نادر الحدوث بالنسبة لكتاب مترجم . وكان ذلك كله بداية الشهرة العريضة التي يتمتع بها بروديل الآن .

مؤرخ من أصل فلاحي

يصف لنا فرنان بروديل نفسه بقوله : « لقد كنت في البداية ، ولا أزال حتى الآن ، مؤرخا من أصل فلاحي » . وهذا القول يفسر لنا بعض جوانب حياته المحافظة من ناحية ، ونظرته إلى التاريخ واهتمامه بدراسة موضوعات معينة بالذات ، تجمع بين اتساع النظرة ، والاهتمام بتعرف أثر البيئة المحيطة بأحداث التاريخ وتقلبه وعصوره المختلفة من الناحية الأخرى .

فقد ولد فرنان بروديل عام ١٩٠٢ في قرية صغيرة بشرق فرنسا ، على حدود اللورين ـ شمبانى ، وهي

منطقة كانت دائما ساحة للحروب بين الجيوش الفرنسية والألمانية ، وبذلك شاهدت كثيرا من التحركات والتقلبات والصراع بين الدولتين على فترات واسعة من التاريخ . وقد اعتبر هو نفسه من أصل « فلاحي » متواضع . فقد كان جده لأبيه عاملا فلاحا عتيدا ، كما كان بقية أجداده وأسلافه يشتغلون إما بقطع الأحجار ، أو يعملون في المناجم أو من العمال الموسميين الحقليين ، ولم يشذ واحد منهم عمل في النسب ببعض الحرف ، وأصبح قنصلا طبيا في جلوراتو . أما أبوه فكان معلما ، ويبدو أنه كان يتمتع بشخصية متسلطة ، فقد استطاع أن يجبر ابنه على أن يسلك طريق التدريس الذي سار هو فيه ، وأن يمنعه من أن يدرس الطب حين أراد أن يحقق رغبته ويطلب الطب . وأغلب الظن أن الابن لم يكن يستطيع أن يحقق لنفسه كل هذه الشهرة والسمعة العلمية والمكانة العالية ، لو أنه سار في الطريق الذي كان يريده لنفسه .

اشتغل فرنان بروديل بعد تخرجه بتدريس التاريخ لبعض الوقت ، ثم رحل إلى الجزائر حيث عمل مدرسا للتاريخ أيضا في بعض مدارسها الثانوية في قسنطينة ثم في الجزائر العاصمة . وهذه الفترة التي امتدت إلى عشر سنوات هي التي ربطته بالبحر المتوسط ، الذي ملك عليه لبه وفكره وحياته . كما أنها هي الفترة التي أتاحت له أن ينظر إلى التاريخ نظرة عامة شمولية ، تتخطى الأحداث الوقتية ، وتبحث عن العوامل الثابتة والقوى « اللاشخصية » الكامنة وراء تلك الأحداث . ثم هي أخيرا الفترة التي أوحت إليه باختيار البحر المتوسط من حيث هو « مجموعة حضارية » حسب تعبيره ، ولأن يدرسه في عصر فيليب الثاني ملك أسبانيا . وكما يقول فرنسوا فوريه في خطاب الترحيب وهو يرحب بانضمامه إليه أنه « أي بروديل » عرف البحر المتوسط من واجهته الجنوبية ، بسواحله الشمسية المترامية ، وأراضيه الخصيبة الصعبة ، وشعوبه المختلفة المتباينة ، وثقافاته العريقة المتوارثة عبر القرون ، وحضارته الإسلامية ، وعلاقاته وروابطه مع أوروبا ومع المسيحية ، وأسواقه التي يفوح منها عبق الشرق ، وأن معرفته بالبحر المتوسط لم تكن معرفة السائح العابر ، لأنه ذهب إلى هناك للعيش والإقامة والعمل ، مما ساعده على أن يتغلغل إلى أعماقه ويدرك أسراره . وهكذا تعلق البحر

المتوسط في أن يملك عليه أمره ، وأن يثير فيه كثيرا من التساؤلات عن الأسباب التي جعلت منه تلك « البحيرة الحضارية » المتميزة ، سواء أكانت هذه الأسباب هي الأوضاع الجغرافية الخاصة أم الموارد البشرية .

بعد هذه السنوات العشر التي قضاها بروديل في الجزائر عاد إلى باريس واشتغل في بعض المدارس الثانوية ، ثم انتقل للتدريس في كلية الآداب جامعة سان باولو بالبرازيل . ولكنه لم يلبث أن رجع إلى فرنسا عام ١٩٣٧ . على أمل أن ينهي رسالته للدكتوراه .

ولكن قامت الحرب العالمية الثانية ، وكان ما كان من قصة الرسالة ، والكتاب الذي أصبح أحد المعالم الرئيسية فيما يعرف الآن باسم « التاريخ الجديد » .

خلاف مع السوربون :

لم يكن التاريخ بالنسبة لفرنان بروديل مجرد دراسة وضعية للأحداث الجزئية ، ورصد هذه الأحداث في تتابعها الزمني ، كما يرى الكثيرون من المؤرخين التقليديين بحكم أنهم تخصصيون وأعضاء في (المؤسسة) ، أي السوربون ، وإنما التاريخ في نظره دراسة كلية شاملة تعطي الأولوية المطلقة للأوضاع والمواقف والعناصر الأساسية ، التي تتفاعل معا داخل المجتمع ، وتحدد بتفاعلها سير الأحداث إن لم تخلقها خلقا . فليس هناك في نظره سوى تاريخ واحد هو هذا التاريخ الكلي الشامل ، الذي لا يكاد ينفرد في شموله أي علم اجتماعي أو إنساني آخر ، بل إنه يستعين في دراسة موضوعاته بنظرياته وإنجازات ومناهج هذه العلوم كلها ، وبوجه خاص الأنثربولوجيا ، وبعض التحليلات المستمدة من التحليل النفسي . وهذا واضح بشكل خاص في كتابه البحر المتوسط ، إذ تظهر فيه تأثيرات عدد كبير من العلوم ، مثل الجيولوجيا والأنثربولوجيا والاجتماع والاقتصاد والاحصاء وغيرها .

ولقد كان من الطبيعي أن يرفض المؤرخون (التقليديون) هذا الاتجاه . وإذا أغلقت السوربون أبوابها في وجهه ، مما جعله يتجه إلى المدرسة العملية للدراسات العليا ،

الرأسمالية ظاهرة مؤسسة

ولقد كان عام ١٩٤٩ عاما فريدا في تاريخ حياة أستاذ التاريخ . فهو العام الذي شهد ظهور كتاب « البحر المتوسط » ، وفيه أيضا أفلح بروديل في أن يدخل الكوليج دو فرانس ويشغل كرسي الحضارة الحديثة . وهنا أيضا نجد أنه يخلف أستاذه لوسيان فيفر الذي كان يتربع على هذا الكرسي حتى تقاعده . وفي محاضراته الافتتاحية لكرسي الأستاذية حدد بروديل موقفه بصراحة ، إذ أعلن رفضه للنظرة الضيقة إلى التاريخ ، وعدم ايمانه بالرأي الذي يقول إن الانسان يصنع التاريخ ، وإنما التاريخ هو الذي يصنع الانسان . ولم يكن يقصد بذلك أن يقلل من شأن الفرد أو دوره في الحياة ، وإنما كان يقصد ضرورة أن يتجاوز البحث التاريخي أحداث ومنجزات الأفراد كما تبدو ، ويتعدى الأحداث الواقعية الملموسة ، بحثا عن المقومات الأساسية التي ترتكز عليها هذه الأفعال والأحداث . فمصير فيليب الثاني ملك اسبانيا ومنجزاته ليست كلها إلا نتاجا لذلك الكل الحضاري المركب الذي نسميه « البحر المتوسط » ، ولا يمكن فهم هذه المنجزات والأحداث إلا في ضوء هذه الوحدة الحضارية الكلية الشاملة . ولم يكن انتماؤه للكوليج دو فرانس ليمنعه من أن يعبر صراحة عن رفضه لكثير من الأوضاع الجامعية السائدة فيها ، والتي تفرض كثيرا من القيود على انطلاق الفكر . ولم يخف رأيه فيها أبدا ، حتى تقاعده عام ١٩٧٢ بعد أن أمضى ثلاثة وعشرين عاما أستاذا بها . فقد كان يراها أداة تنزل بالانسان المتألق المتفتح إلى مستوى أدنى وأقل من حقيقته ، وكان ذلك يثير عليه زملاءه . ولكن الذي كان يهمه هو الدعوة إلى التخلص من القيود التي تعوق انطلاق الفكر في البحث العلمي .

ثم أتيح له في آخر الأمر أن ينشىء « مؤسسته » الخاصة التي تعبر عن موقفه ، وتحمل تطلعاته الأخرى ، والتي يتحرى تحتها الآن عدد كبير جدا من التلاميذ والأتباع والمريدين ، وكذلك حين أنشأ عام ١٩٦٣ بيت علوم الانسان وهي المؤسسة العلمية الوحيدة التي أنشأها بنفسه ، والتي ترتبط باسمه هو دون سواه ، وإن كانت قد عاونه في تشكيلها

عدد من الطلبة الشبان . ولقد تحولت المدرسة بعد انتشارها ، وكان يعمل فيها تحت رئاسته ما لا يقل عن ثمانين عالم وباحث وموظف إداري . ومن هنا أيضا نجد الاسم ذاته يلتقي بهذه المؤسسة . وهو (بيت علوم الإنسان) ، ويكشف عن نفس النظرة الكلية الشاملة ، وعلاقة علوم الإنسان بعضها ببعض من ناحية ، وعلاقتها كلها بالتاريخ من الناحية الأخرى . وقد لعبت هذه المؤسسة مع « الشعبة السادسة » دورا هاما في نشر « التاريخ الجديد » إلى خارج حدود فرنسا ، وبوجه خاص إلى بعض دول شرق أوروبا وأمريكا اللاتينية وكندا ، ثم أخيرا إلى أمريكا ذاتها . ولكنها لم تفلح في غزو بريطانيا وألمانيا بنفس القوة حتى الآن .

ولقد شجعت هذه النظرة (البانورامية) إلى البحر المتوسط على قيام دراسات أخرى كثيرة مماثلة ، اتبعت نفس الأسلوب والمنهج ، بحيث كانت تهتم بدراسة مناطق وأقاليم أخرى جغرافية محددة بدلا من الاكتفاء بدراسة الأحداث . وظهر بذلك عدد كبير من هذه الدراسات الجيوجرافية ، التي تؤكد كلها المدخل الكلي الشامل أو المدخل البنائي . وقد طبق بروديل نفسه هذا المدخل في دراسته الضخمة عن « الحضارة الرأسمالية » التي ظهرت في ثلاثة مجلدات في السبعينات . لقد أخذ في هذا الكتاب التاريخ الاقتصادي بأوسع صورة ، وحاول أن يدلل على أن كل عصر تاريخي كانت تسيطر عليه مدينة تجارية عظيمة واحدة . وأن هذه المدينة كانت دائما تحتل مركز السوق الكبرى . ففي الفترة من ١٣٨٠ تقريبا حتى ١٥٠٠ كانت البندقية هي المركز التجاري والاقتصادي في العالم ، ثم جاءت أمستردام في أواخر القرن السادس عشر ، ثم تبعتها لندن في أثناء الثورة الصناعية ، ثم أخيرا وفي عام ١٩٢٩ أصبحت نيويورك هي ذلك المركز . ويحلل بروديل الرأسمالية بروزها على أنها النتيجة الاقتصادية لظهور ونشأة الصفوة ، وأنها على أي حال ظاهرة طبيعية ، ولا مفر منها ولا يمكن تجنبها أو إلغاؤها ، وإن كانت مع ذلك ظاهرة مؤسفة ، وقد تختلف الآراء حول هذه النظرة ولكن الذي يهمنا هو أن هذا الكتاب يكشف عن مدى تسلح المؤلف بالطرق الفنية التي يعالج فيها هذه المشكلة المعقدة .

كلمة بروديل الخاصة

وهكذا نجد أن فرنان بروديل الأستاذ الهادئ البعيد عن الحياة العامة يفلح في أن يجمع في وقت من الأوقات بين أربعة مناصب هامة في أربع مؤسسات لها دورها الفعال المؤثر في الحياة العلمية والثقافية (الكوليج دو فرانس ، المدرسة العملية للدراسات العليا ، بيت علوم الإنسان) . وتكشف لنا هذه المناصب طبيعة العلاقة التي كانت تربطه بأستاذه العظيم لوسيان فيفر ، وتبين كيف يمكن للأستاذ الذي يتوسم الخير في أحد تلاميذه أن يأخذ بيده ويدفعه إلى النجاح ، بحيث يخلفه في أعماله ومكانته ، كما تبين كيف يمكن للتلميذ المخلص أن يحمل الرسالة ، ويحافظ على التركة ، بل يضيف إليها ، ويعمل على تدعيم المدرسة التي أنشأها أستاذه ، ويعتبر ذلك خير وسيلة للاعتراف بفضل الأستاذ عليه ورد الجميل . كذلك تكشف لنا هذه المناصب ذاتها عن مدى ما يتمتع به بروديل من سلطة ونفوذ وتأثير في الأوساط العلمية والثقافية . ولقد حصل على العديد من الشهادات والدرجات ، والألقاب الفخرية ، والأوسمة ، والنياشين ، وعضوية الجمعيات العلمية والأكاديميات في كثير من الدول ، وكان تتويج هذا كله عضوية الأكاديمية الفرنسية التي كان يمتنع عنها لفترة طويلة .

وعلى الرغم من بلوغه الثالثة والثمانين ، فلا يزال يعمل ويقبل على المشروعات العلمية الكبرى ، التي تتطلب الكثير من الوقت والجهد والمثابرة والصبر والإيمان . فهو يعكف الآن على كتاب ضخم عن (تاريخ فرنسا) يقع في ستة مجلدات ، وقد ظهر المجلد الأول منها بالفعل . ومع أن هناك مؤلفات وكتبا كثيرة جدا عن تاريخ فرنسا فإن ذلك لم يمنعه من أن يطرق الموضوع الذي عالجه غيره من قبل ، ليقول كلمته هو أيضا بطريقته الخاصة .

فالتاريخ يتغير ويتجدد ، لأن المشاكل التي يطرحها تتغير وتتجدد . وهذه النظرة تنم عن مدى احترامه لتخصصه ، بحيث لا يستنكف الرجوع إلى الموضوعات والمشكلات القديمة التي سبقه إليها الآخرون ، فيعالجها من زاوية جديدة وبمدخل جديد وفكر جديد . وهذا أساس تقدم العلم . □

مواقيت الصيام والصلاة في أقصى الشمال والجنوب

دكتور/ عبدالمنعم النمر

قضية جديدة طالما شغلت أقلام المجتهدين، وتساؤلات المسلمين، عبر القرون الطوال.. وما زالت.. ألا وهي كيف يصلي المسلمون ويصومون في الأصقاع التي يتبدل فيها النهار والليل على خلاف ما هو مألوف. * حول هذه القضية تطرح هذه الدراسة.

حدد القرآن والسنة مواقيت الصلاة والصيام حسب الظواهر الشمسية والقمرية في المناطق المعتدلة والاستوائية التي تبدو فيها هذه الظواهر ظاهرة، فصلاة الصبح حين يبدو الفجر من الشرق، والظهر حين تزول الشمس عند الاستواء، والعصر حين يصير ظل الشيء مثله أو مثليه، والمغرب حين تغرب الشمس، والعشاء حين يغيب الشفق الأحمر أو الأبيض. ومن خلال هذا يعرف وقت الفجر وبدء الصيام اليومي ونهايته عند الغروب، ويستوي وقت كل من النهار والليل تقريبا، أو بينهما فرق حيث يطول النهار لطول ساعة أو أقل، أو أكثر قليلا، وتطول الليالي كذلك شتاء. في المنطقة المعتدلة والمنطقة الحارة في الكرة الأرضية.

ولم يكن المسلمون يجدون أية صعوبة في تمييز هذه الأوقات لأداء العبادات فيها، فالشمس تشرق وتغرب، والقمر يظهر ويغيب. وينضبط المسلمون أوقاتهم على ما يرونه من هذه الظواهر.. ولم يتعرض القرآن ولا السنة ولا الصحابة والفقهاء والمجتهدون لما عدا ذلك الذي يرونه حولهم، حيث لم يكونوا على علم بما يجري من ظواهر في أقصى الشمال وأقصى الجنوب، وبالتالي لم يضعوا أحكاما لذلك.

ولكن حين انتقلت بعد القرون الأولى جماعات المسلمين إلى الشمال في سيبيريا وحوض البحر

الأبيض في فرنسا وإيطاليا ووسط آسيا .. ولاحظوا تغيرا في طول النهار أو قصره ، عما عهدوه في بلادهم الأصلية المعتدلة ، وكذلك بالنسبة إلى الليل .. ووجدوا صعوبة في صيام يوم قد يصل إلى نحو عشرين ساعة من الفجر حتى الغروب ، فتمكن من البعض أن يتساءلوا عن الصوم في مثل هذه الحالة . أما من ناحية الصلاة فظواهرها موجودة من فجر وزوال وغروب الخ ...

ثم صعد المسلمون إلى الشمال أكثر وأكثر .. ووجدوا تغيرا أوضح في الظواهر الشمسية والقمرية .. ولمسوا طولا أكثر في اليوم في وقت الصيف ، حتى يصل أحيانا إلى ٢٢ ساعة أو يزيد دقائق .. ويضيع وقت الليل أو يكاد ..

وأحيانا يكون طول الليل مثلا ٢ ساعات أو أقل ، ولا يغيب فيه شفق الغروب حتى يؤذن بوقت العشاء ، ثم يظهر شفق الفجر بعد غياب ، حتى يؤذن بوقت الفجر وبدء الصيام ، بل يظل مستمرا . فمتى يصلون العشاء والفجر ويبدءون الصيام ؟

ثم إذا صعدنا إلى الشمال أو المتجه نحو القطبين تغيرت الظواهر الشمسية تغيرا كليا ، فلم تغب الشمس لأيام قد تصل إلى شهور ، ويكون هذا طول النهار ، وعلى العكس في الشتاء لا تظهر الشمس لأيام قد تصل إلى شهور ، ويكون هذا طول الليل .

حقائق فلكية

وسوف أضع أمام القارىء بعض الحقائق والمعلومات الفلكية التي يقررها علماء الفلك ، لتظهر الصورة التي تحدثت عنها بوضوح .

إذا بلغنا خط عرض ٦٧ شمالا أو جنوبا ، وهو يمر بشمال كندا ، وألاسكا ، وجزيرة جرينلند الغربية من ساحل كندا ، وجزيرة أيسلندا شمال الجزر البريطانية ، وشمال السويد والنرويج ، وفنلندا وشمال روسيا ، وسيبيريا . فإذا وصلنا إلى هذا الخط فما فوق شمالا أو جنوبا يصل النهار فيها حتى يبلغ ستة أشهر أحيانا في أثناء فصل الصيف ، والليل ستة شهور في أثناء الشتاء .

الجزر البريطانية وما يوازيها شرقا وغربا تقع بين خطي عرض ٥٠ ، ٦٠ ، والشمس تشرق فيها وتغرب طول العام بانتظام ، ومن السهل الوقوف على أوقات الصلاة فيها والصيام ، إلا في الشهور الصيفية التي يتصل شفق الغروب بشفق الشروق ، فلا يمكن تمييز وقت العشاء ، ولا تمييز وقت الفجر .. حيث تكون الشمس باستمرار تحت الأفق بـ ١٢ درجة ، ويظهر شفقها باستمرار .

يختلف وقت زوال الشفق ، أو مدة وجوده بعد الغروب حسب خطوط العرض . فعند خط الاستواء مدته ٦٤ ق و ٦٠ ق ثم يطول شيئا فشيئا ، حتى يصل إلى ٣ ساعات في شفق الغروب ، وشفق الشروق ، وذلك عند خط عرض ٦٧ تقريبا ، عندما يكون طول النهار ١٨ ساعة أو أكثر

وفي هذه الحالة ينعدم الإظلام التام ويتصل الشفقان : ٣ + ٣ + ١٨ ساعة = ٢٤ ساعة وكلها وقت مدة الشفق ظهور الضوء وانعدام الظلام ، فيكون النهار الدائم عند خط عرض ٦٧ فما فوق .

المنطقة الفلكية المدارية : هي الواقعة بين مداري السرطان شمالا والجدي جنوبا ، بين ٢٣ درجة شمالا ، و ٢٣ درجة جنوبا .

المنطقة الفلكية المعتدلة : هي التي تشرق الشمس فيها بانتظام ، ويكون صيف وخريف وشتاء وربيع ، ويختلف فيها الليل والنهار ، ولا يتساويان إلا مرتين في السنة ، وهي التي تمتد من خط عرض ٢٣ شمالا وجنوبا ، حتى خط عرض ٦٧ .

المنطقة القطبية من ٦٧ – ٩٠ شمالا وجنوبا .

متى يحصل الشفقان ؟

قلنا إن شفق الغروب قد يستمر فترة ، حتى يظهر من الشرق شفق الشروق بتلاقيه في بعض شهور السنة ، فمتى يحصل ذلك ؟ وعلى أي خطوط من خطوط العرض ؟

قال الفلكيون إن هذا يحصل كما يلي :

من أول مايو كل سنة إلى ١٥ منه : لا يغيب الشفق ابتداء من خط عرض ٥٨ – ٦٠

من ١٥ مايو لنهايته ، لا يغيب الشفق ابتداء من خط عرض ٥٤ – ٦٠

مدة النهار والليل في الكرة الأرضية

خط عرض	أطول نهار وصيف	أقصر نهار بشتاء	خط عرض	أطول نهار وصيف	أقصر نهار وشتاء
	ق س	ق س		ق س	ق س
خط الاستواء	ـ ١٢	ـ ١٢	٥٠	٥٨ ١٦ صيفا	ـ ٨ شتاء
١٠	٣٥ ١٢ صيفا	٣٠ ١١ شتاء	٥٥	١٧ ١٧	٥٥ ٧
٢٠	١٨ ١٣	٤٢ ١٠ شتاء	٦٠	١٥ ١٨	٥٤ ٥
٣٠	٠٤ ١٤	١٠ ١٠ شتاء	٦٤	٤٣ ٢١	٢٢ ٣
٤٠	٥٨ ١٤	١٦ ٩ شتاء	٦٦	٢٤	٣٠ ٣
٤٥	٣٣ ١٥	٤٢ ٨ شتاء	٦٧	يستمر الشروق ويكون نهار دائما	يستمر الظلام ويكون ليلا دائما
٤٩	١٦	٠٠ ٨ شتاء			

طول النهار والليل القطبي

طول النهار القطبي يختلف حسب درجات العرض شمالا وجنوبا ، وكذلك الليل القطبي مثلها .

خط العرض شمالا	طول النهار القطبي	طول الليل القطبي	خط العرض جنوبا	طول النهار القطبي	طول الليل القطبي
	صيفا	شتاء		صيفا	شتاء
٧٠ ش	٧٠ يوما	٥٥ يوما	٧٠ ج	٦٤ يوما	٥٨ يوما
٧٥	١٠٧ يوما	٩٣ يوما	٧٥	١٠٦ يوما	٩٩ يوما
٨٠	١٣٧ يوما	١٢٢ يوما	٨٠	١٣٠ يوما	١٢٠ يوما
٨٥	١٦٣ يوما	١٥٠ يوما	٨٥	١٥٦ يوما	١٥٨ يوما
٩٠	١٨٩ يوما	١٧٦ يوما	٩٠	١٨٢ يوما	١٨٣ يوما

وفي هذا النهار الطويل أو الليل الطويل الذي يبلغ من شهرين وعشرة أيام إلى ستة شهور وكسور كيف يؤدي المسلمون المقيمون في هذه المناطق عباداتهم ، من صلاة وصوم ؟

في يونيو ويوليو : لا يغيب الشفق ابتداء من خط عرض ٤٨ ـ ٦٠ .

من أول أغسطس إلى ١٥ منه : لا يغيب الشفق ابتداء من خط عرض ٥١ ـ ٦٠ .

من ١٥ أغسطس لآخره : لا يغيب الشفق ابتداء من خط عرض ٥٦ ـ ٦٠ .

وفي ذلك الوقت وحده ، يغيب شفق الغروب ، ثم يظهر شفق الشروق ، ويصعب وقت العشاء ، ووقت الفجر ..

فمتى تؤدى صلاة العشاء ، وصلاة الفجر ، ومتى تبدأ الصيام والمسك عن الأكل كل يوم ، في البلاد التي يتصل فيها الشفقان ، وهي تكون من خط عرض ٤٨ كما نرى في الجداول السابقة إلى الجزر البريطانية ، وما يوازيها على خطوط عرضها ، إذ أن هذه الجزر تقع بين خطي عرض ٥٠ ـ ٦٠ شمالا ..

ومن هذه المعلومات والحقائق الفلكية[1] ، التي عرفت من بعد القرون الإسلامية الأولى ، أي من بعد عصر الرسول والصحابة والتابعين والأئمة وتلامذتهم ، برزت أمام العلماء المتأخرين ابتداء من القرن الخامس الهجري حتى الآن مشكلة أو تسميها

مسألة ذات شقين :

الأول : كيف يؤدي المسلمون الذين يقيمون في هذه البلاد التي يتعسر فيها انضباط علاماتهم ؟

الثاني : كيف يؤدي المسلمون الذين يقيمون في هذه البلاد التي يستمر فيها النهار أكثر من ٢٤ ساعة حتى يصل إلى نحو ستة أشهر ، وكذلك الليل . كيف يؤدون عباداتهم من صلاة وصوم ؟ هذه المشكلة برزت منذ القرن الخامس الهجري كما قلنا وما زالت حتى الآن . فما الحكم فيها ؟ هذه تساؤلات عن هذه الظواهر التي عرفها المسلمون منذ قرون لم تنقطع حتى الآن ، بل ويعيشون فيها الآن بعد أن تقاربت أجزاء العالم ، وأصبح السفر والإقامة في هذه البلاد أمراً سهلاً .

ولاشك أن الإجابة عن هذه التساؤلات سيكون مصدرها الاجتهاد من الفقهاء .. حسب وجهة نظرهم . إذ لا يمكن أن يقفوا أمامها عاجزين دون رد ..

وبالرجوع إلى المصادر التي أمكن الرجوع إليها وجدنا أن فقهاء القرن الخامس الهجري كانت لهم اجتهادات ، وكانوا أول من تعرض للفتوى .. فقد أفتى شمس الأئمة عبدالعزيز الحلواني (توفي ٤٤٨هـ ـ ١٠٥٦م) وزين الدين البقالي (٥٦٢هـ ـ ١١٦٦م) من فقهاء الأحناف بفتوى صريحة بعدم وجوب أداء الصلاة التي لا تظهر لها العلامات المحددة ، ونفيا بعدم وجوب صلاة العشاء على الذين يقيمون في المناطق التي لا يغيب فيها الشفق . وتابعهم في ذلك فقهاء أتوا بعدهم مثل السرخسي (٤٨٣هـ ـ ١٠٩٠م) وأبي البركات النسفي (٧١٠هـ ـ ١٣١٠م) والزيلعي (٧٤٣هـ ـ ١٣٤٢م) وملاخسرو (٨٨٥هـ ـ ١٤٨٠م) والحصكفي (١٠٨٨هـ) والشرنبلالي (١٠٦٩ ـ ١٦٥٩م) ورأى هؤلاء جميعاً رأي خطير يتساهل أمام أدلة قوية كثيرة . وهو وجوب التقدير في هذه الحالة حسب ما جاء في حديث الدجال ـ حين قال الرسول لهم « اقدروا له » وأداء الصلاة على حسب هذا التقدير وهو رأي الشافعية والحنابلة ..

وما هذا الحديث ؟

هو حديث رواه مسلم في صحيحه عن النواس بن سمعان أن الرسول صلى الله عليه وسلم تحدث لأصحابه عن الدجال . وحين سأله بعض الصحابة قائلاً : « وما لبثه في الأرض ؟ أجاب الرسول قائلاً : أربعون يوماً . يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة (أسبوع) ، وسائر أيامه (أي الباقية) كأيامكم هذه . قلنا يا رسول الله : فذلك اليوم الذي كسنة ، أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : لا . اقدروا له قدره » وواضح من هذا أن الأيام التي لا تظهر فيها العلامات المميزة لأوقات الصلاة ، والأيام التي تطول عن أيامنا العادية (٢٤ ساعة) لا تسقط عنا فيها الفرائض ، ولكنا نلجأ إلى تقدير الأوقات التي يمكن أن نصلي فيها كل وقت ، فلا تسقط الفرائض لعدم ظهور العلامات ، كما نقدر الشهور بـ ٢٩ يوماً أو ٣٠ يوماً على حساب اليوم ٢٤ ساعة .

وهذا هو مستقر رأي الفلكيين الآن ، إذ لا يمكن إسقاط الفرائض عن مسلم واعتبارها منتفية لعدم وجود مثل هذه العلامات .. فتكون أربعة وعشرون ساعة تحسب يوماً ، وتؤدى فيه الفرائض على أساس التقدير . وتكون ٢٩ أو ٣٠ (أربعة وعشرين ساعة) تحسب شهراً ، ويمكن أن يكون فيها رمضان .

صور من الاجتهاد في تقدير الأوقات

وما دمنا قد انتهينا إلى ضرورة تقدير الأوقات التي يؤدي فيها المسلمون فرائض دينهم من صلاة وصوم . فإن الفقهاء الذين يجتهدون في تقدير هذه الأوقات كانت لهم وجهات نظر مختلفة . ولا غرابة في هذا ، فإنه شأن كل موضوع يخضع فيه الاجتهاد منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .. كما اجتهد الذين أمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم من صحابته ، ألا يصلوا العصر إلا في بني قريظة ، فصلاها بعضهم في الطريق حين رأوا أن المقصود من أمر الرسول هو المسارعة في الوصول ،

(١) مأخوذة عن الدراسات الفلكية التي تقدم بها لمؤتمر لندن . الفلكيون / الدكتور حسين كمال الدين والدكتور محمود خيري علي ، والدكتور محمد الفراري ..

فرأوا أن يصلوا العصر في الطريق حاضراً، ويحملوا ذلك الأمر على أنه إسراع إلى بني قريظة .. وبعضهم التزم حرفية نص كلام الرسول، عليه الصلاة والسلام فظلوا سائرين حتى وصلوا إلى بني قريظة بعد المغرب وفاتتهم صلاة العصر .. ولما علم الرسول بهذا وذاك لم يعترض على فهم هؤلاء، ولا هؤلاء، لأنه فهم قائم على اجتهاد ووجهة نظر في تنفيذ أمره .. «ومن اجتهد فأصاب فله أجران، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد» .. لقد صوب الرسول صلى الله عليه وسلم اجتهاد كل من الفريقين، ولم يؤاخذ واحداً منهما .. مهما كان الاجتهاد، ولكل وجهة هو موليها ..

ولهذا اختلف الصحابة والتابعون والأئمة المجتهدون من بعدهم في فهم الأحكام، وسعة النص في فهم كتاب الله وسنة رسوله، كما نعرف ذلك، بالرجوع إلى الكتب ..

فلا مانع إذن من أن تختلف المجتهدون والمفكرون في طريقة تقدير الأوقات التي يؤدي المسلمون في تلك البلاد القاصية شمالاً أو جنوباً صلاتهم وصيامهم فيها، والأمر في الأصل سعة من الله.

وكذلك [illegible] والفقهاء [illegible] يحافظون على [illegible] في [illegible] الزهري من أئمة الحديث أنه قال [illegible] قال، من [illegible] أن [illegible] صلاته [illegible]، فلا بأس أن يصلي قبل أن يغيب الشفق.

وكان عطاء بن أبي رباح، وهو من كبار التابعين (توفي ١١٤ هـ - ٧٣٢ م) يصلي المغرب، ثم يتوضأ سبعاً، ويصلي ركعتين، ثم يصلي العشاء عقب ذلك، وفي رواية: قبل أن يغيب الشفق، وذلك معناه يصلي العشاء قبل أن يغيب الشفق، وإني لأعرف أحيانا [illegible] بعد المغرب، ثم أصلي العشاء».

وقد حكي أن علي الدين المرغيناني، لما [illegible] رأي أهالي من بخارى يصلون العشاء قبل أن يغيب الشفق، فمنعهم عن ذلك، ثم أفتى الإمام السرخسي (ت ٤٨٣ هـ - ١٠٩٠ م) وشاوره في المسألة، فقال: لا تفعل ذلك إن منعتهم عن ذلك

تركوها شكلية، وأما الآن فإنهم يؤدونها في وقت تجيزه بعض الأئمة.

ولقد رأينا النبي عن رسول الله في كثير من المواقف، وفي الحج خصوصاً في الرمي والذبح والتقصير لمن سأله: افعل ولا حرج، ولا حرج في الترتيب، وكان يجيب من قدم أو أخر شيئاً قبل وقتها .. وكان يستجيب لبعض الحالات من الذين يلتمسون تخفيفاً مراعاة لظروفهم الخ ..

فمن حق الشريعة أن تقدر حالات وظروف هؤلاء الناس، وتيسر عليهم بقدر المستطاع، حتى يؤدوا فرائض دينهم، ولا تردهم بالمشقة.

وإن مجتهدي في التقدير [illegible] فيه تيسير الاجتهاد، وأصول وقواعد روح الشريعة، فهو اجتهاد مقبول، وإن اختلفت طرقه، وتعددت مسالكه، وهو يؤدي في النهاية إلى أن يؤدي هؤلاء فرائض دينهم، حيث هم وظروف تتفق وطبيعتهم، وتكيفهم حسب طاقتهم، وفي ظروف هذه البلاد الأجنبية القاصية.

رأي المرحوم الشيخ محمود شلتوت

إن تقدير الأوقات في هذه البلاد الاستثنائية على حسب أوقات أقرب خط عرض لها تظهر وتنضبط فيه علامات الأوقات.

ولقد تحدثت الهيئة الفلكية أن البلاد على خط عرض ٤٨ تنضبط فيها هذه العلامات، ولكن تبدو من هنا ثمة مشكلة حين يكون طول الليل عند خط عرض ٤٥ أو ٤٨ ثماني ساعات بينما يكون في الوقت نفسه عند خط عرض ٦٥ ساعتين فقط فكيف نطلق عليه قياساً عليه ٨ ساعات ..

الأخذ بالنسبة:

وهنا يبدو رأي المجتهدين أخيراً بقولهم: نأخذ ما بين المغرب والعشاء عند خط عرض ٤٨ بنسبة إلى مدة الليل كله، فإذا كانت ثلث ساعة فهي ربع الليل، فيكون ما بين المغرب والعشاء عند خط عرض ٦٥ مثلاً طول ربع ليلة أي نصف ساعة، ونصلي العشاء،

وهكذا بالنسبة لوقت الفجر وصلاته وبدء الصيام وقد استقر على ذلك رأي ندوة المركز الإسلامي في لندن في مايو سنة ١٩٨١ وقد حضرتها واشتركت فيها .

الجمع بين صلاتي المغرب والعشاء :

على أنه يجوز بين صلاتي المغرب والعشاء جمع تقديم لا سيما في رمضان لقصر وقت الليل عند الإفطار ، صلاة المغرب ثم العشاء والتراويح وقت العشاء ، ثم السحور ، ثم الفجر وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما كما جاء في صحيح مسلم وفي الموطأ ، وشرح معاني الآثار للطحاوي والمحلى لابن حزم قال : جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الظهر والعصر ، وبين المغرب والعشاء في غير خوف ولا مطر ، قيل لابن عباس ، لماذا فعل ذلك ؟ قال : أراد ألا يحرج أمته ، وهذا رأي هؤلاء تقديراً لحاجة الناس وعدم الإحراج ..

الفطر لطول النهار :

كما يجوز الفطر لمن لا يستطيع الصوم لطول النهار على أن يقضي في أي وقت شاء



أما رأي لجنة الفتوى في الأزهر :

فيقضي بالقياس على وقت أهل مكة ، فيصوم مدة صيامهم ثم يفطر ، ولو كانت الشمس موجودة ويقضي عليه أن يأخذ وقت صلاته ..

ورأي مجلس هيئة كبار العلماء في الرياض :

فقد رأى في ١٢ / ٤ / ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ ، أن يصلي المسلم في الأماكن التي لا تظهر فيها علامات الأوقات على حسب أقرب البلاد التي تظهر فيها العلامات ، وكذلك رأي المجمع الفقهي في مكة في ٨ / ٤ / ١٤٠٢ هـ ٢ / ٢ / ١٩٨٢

وهناك رأي آخر

يقول : حسب أقرب البلاد من الأماكن التي تظهر فيها العلامات منحدراً إلى الجنوب

وما العمل الآن ؟

هذه الآراء الاجتهادية المختلفة هي من الآراء الاجتهادية بين الأئمة ، يجوز لأي مسلم أو أية جماعة الأخذ بالرأي الذي يختاره ، ولا حرج ، فهو يختار الرأي من المذاهب الفقهية مع الاختلاف بينهم . لكن الأمر لو ترك على ذلك ، كما حدث في انجلترا وحدث ما في الدول الأخرى من تعصب كل جماعة لرأيها بقوة ، أو للجهة التي تخضع لها ، فإن ذلك يؤدي إلى صورة سيئة من الخلافات بين المسلمين ، في بلاد تنظر إلى تعاليمهم على أنها الإسلام ، ويؤدي هذا إلى صورة سيئة للإسلام ..

والرأي عندي لحسم هذا الخلاف أن يجتمع مؤتمر مصغر من علماء الأزهر والسعودية ودول المغرب وباكستان وغيرها ، ويختاروا رأياً من هذه الآراء يسير عليه الجميع في هذه البلاد النائية حتى يتوحد العلماء والمفتون فيها على رأي ، ويظهر المسلمون بمظهرهم المطلوب الذي يجب الجميع



البيان في أسباب نزول القرآن

بقلم: حسين أحمد أمين

قوله تعالى: «قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق» (الأعراف ٣٢).

نقل الطبري عن يونس عن ابن وهب عن ابن زيد أن قوماً كانوا يحرمون ما يخرج من الشاة، لبنها وسمنها ولحمها، فأنزل الله هذه الآية، ومعناها: قل يا محمد لهؤلاء الذين يحرمون على أنفسهم ما أحللت لهم من طيبات الرزق: من حرم أيها القوم عليكم زينة الله التي خلقها لعباده أن تتزينوا بها، وتتجملوا بلباسها، والحلال من رزق الله الذي رزق خلقه لمطاعمهم ومشاربهم.

وقد كان من بين صحابة الرسول (ﷺ) من اعتقد ألا يكتفي بأداء شعائر الدين، وطاعة أحكام القرآن، والاقتداء بالنبي في أعماله وسلوكه، وإنما أراد أن يدخل في طاعة ربه من في زعمه أوثق، ولكن يحرم روحه من لذة جسده، فبالغ في الصوم والعزلة والزهد في متاع الدنيا، وفرض على نفسه قيوداً ولشهواته حدوداً ما فرضها عليه الإسلام قط.

وقد قاوم الرسول هذا الاتجاه عند صحبه واستنكره. فكان يقول لمن شغلته الصلاة والعبادة ليلاً عن رعاية حقوق أهله، إن إتيان الرجل امرأته صدقة، وعلى رأي في التزويج وكرهه إلى الصحبة: «إن كنت من رهبان النصارى، فالحق بهم، وإن كنت منا فمن سنتنا النكاح» ولمن أخذ بالاقتداء بمسلك هؤلاء الرهبان أنه «لا رهبانية في الإسلام». كذلك فقد ورد بكتاب الله من الآيات ما يؤكد هذا المعنى، مثل الآية التي نحن بصددها، ومثل: «يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله» (البقرة ١٧٢)، و«يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر» (البقرة ١٨٥)، و«وما جعل عليكم في الدين من حرج» (الحج ٧٨).

ولئن كان بعض الزهاد المشهورين من الصحابة، كأبي الدرداء وأبي ذر الغفاري، قد استندوا إلى آيات قرآنية تحث على الزهد في متاع الدنيا، وتصفه بأنه متاع الغرور، فإن المؤكد على ضوء سيرة النبي ﷺ

ومذكرنه مخزنة من أبهته . إن هذه الآيات عندما حثت بالزهد والتخلي عن متاع الدنيا ، وإنما حثت بصرف المسلم عن الاستغراق فيه ، وشدة الاهتمام به ، حتى لا يصرفه ذلك عن التفكير في الله . أما عن تمجيد هؤلاء لحياة الفاقة والتقشف التي رأوها شرطا للكمال الروحي ، فما من آية واحدة في القرآن تتحدث عن « فضيلة الفقر » هذه . وقد حكي عن الحسن بن علي أنه لما بلغه قول أبي ذر الغفاري : « الفقر أحب إلي من الغنى » . قال : « يرحم الله أبا ذر ، وأما أنا فأقول : من اتكل على حسن اختيار الله له لم يتمن غير ما اختاره » .

يقول القرطبي في تفسيره لهذه الآية : كان لتميم الداري حلة يقال ثمنها ألف درهم يصلي فيها ، وكان مالك بن دينار يلبس الثياب العدنية الجياد ، وكان ثوب أحمد بن حنبل يشترى بنحو الدينار .. فأين هذا عن مؤثر اللباس الخشن ؟ أترى من ذكرنا تركوا لباس التقوى ؟ لا والله . بل هم أهل التقوى وأولو المعرفة والفضل ، وغيرهم أهل دعوى وقلوبهم خالية من التقوى . إن البر ليس في الخشن من الثياب ، إنما البر ما وقر في الصدر وصدقه العمل .

وقال أبو الفرج بن الجوزي في حديثه عن هذه المسألة : إنه يتضمن امتداح الفقر ، وقد أمر الإنسان أن يظهر أثر نعم الله عليه ، ويتحسن إظهار الزهد ، وقد أمرنا بستره ، فكان لسان حاله الشكوى من الله تعالى . والجواب أنه ليس كل ما تهواه النفس يذم ، ولا كل ما يتزين به الناس يكره . وإنما ينهى عن ذلك إذا كان الشرع قد نهى عنه ، أو على وجه الرياء في باب الدين .

ولقد روي عكس ذلك عن عائشة أن النبي (ﷺ) كان إذا خرج إلى الناس نظر في الماء يسوي لحيته وشعره ، وكان إذا سئل عن علة ذلك قال إن الله جميل يحب الجمال . ولم ينقل عن النبي قط أنه امتنع عن طعام لأجل طيبه قط ، بل كان يأكل الحلوى والعسل والبطيخ والرطب ، وفي حين كان الصوفي يترك أكل اللحم خوفا من عارض شهوة النساء ، كان رسول الله يقول : سيد أدام الدنيا والآخرة اللحم .

وقد بذل بعض الزهاد جهدا في اختراع وإذاعة قصص عن الرسول (ﷺ) لا تزال الصحافة إلى يومنا هذا تصدقها وتروجها ـ تتحدث عن فضيلة الفقر والجوع ، وكيف كان يربط الحجارة إلى بطنه أحيانا ، أو كيف أنه التقى ذات يوم بأبي بكر وعمر وقد أخرجهم الفقر جميعا إلى الطريق . وهي قصص أثارت غضب أحمد بن حنبل الذي انبرى لهؤلاء يهاجمهم وينقد مزاعمهم . كما انبرى غيره من علماء المسلمين يستهجنون تقليد البعض لرهبان النصارى في تقشفهم وانحسارهم عن لذة العيش ولبس أردية الصوف : « وهم إنما تظاهروا بالتواضع في لباسهم ، وأخفوا الكبر في قلوبهم . وإن أحدهم لأشد عجبا بكسائه الصوفي من صاحب المطرف الثمين بمطرفه . وأما عن تنسكهم وتصنعهم الخشوع بالقسوة فهي التي تليق بهؤلاء ، الذين يظنون أن الله لا يرحمهم حتى يعذبوا أنفسهم . وما أصدق قولة عمر بن الخطاب لرجل رآه يظهر النسك متماوتا : « لا تمت علينا ديننا أماتك الله » . ◻

■ نحن في حاجة إلى مفكريكم ، وأنتم في حاجة إلى معرفتنا ، نحن في حاجة إلى حركتكم ، وأنتم في حاجة إلى ثباتنا .. نحن في حاجة إلى وثبتكم ، وأنتم في حاجة إلى تجربتنا

(د . عبد الرزاق السنهوري)

قصة قصيرة

حكاية شخص هامشي جداً..

بقلم: محمد صوف*

قال لي رئيس المستخدمين:

تأتي كل يوم متأخراً، لماذا؟ هذا ليس من اختصاصي، تجيب لمرئك، هذا انتظار شغوري، بلية الطريق ليست في صالحك.

- الحافلة يا سيدي، لو كنت تسكن في الحي الذي أسكنه، لو عانيت من الاستيقاظ المبكر والانتظار الطويل أمام المحطة.. ثم.. لأدركت..

- لماذا تجيب أسئلتي هكذا؟ انصرف إلى عملك، وأكرر، تمهر لمرئك، طأطأت رأسي وانصرفت إلى مكتبي.

تنطلق الحافلة عندما أكون في ساحة المحطة صباحاً. استيقظ لألحق بنصف ساعة، أرتب نفسي، وكم مرة قضيت ساعتين في الانتظار.

تفتح المكاتب، يبدأ الزملاء عملهم، وأنا مازلت أنتظر الحافلة.

بطاقة تعريف:

اسمي صالح، قبل ستة شهور أسعفني الحظ، وعثرت على عمل في إحدى المؤسسات التجارية، تكفي أن ترى وجهي لتلاحظ علامات الاستغراب على ملامح كل من يصادفه، وأصبح السؤال أين يوجد هذا الشيء؟ مسطوراً في كل حوار. حتى إني أجيب عن السؤال قبل أن يطرح.

بيتنا تستوطنه أسرته ثلاثة تربع أسرة الوالد، يتكون من غرفتين ومطبخ ومرحاض، الوالدان ينامان في غرفة، والغرفة الأخرى تقتسمها مع أحد عشر فرداً، استحق الخط وجعلت عملاً، أصبحت أخذ أحد عشر فرداً، فقد أصبح يعرفهم شخصان بدل شخص واحد.

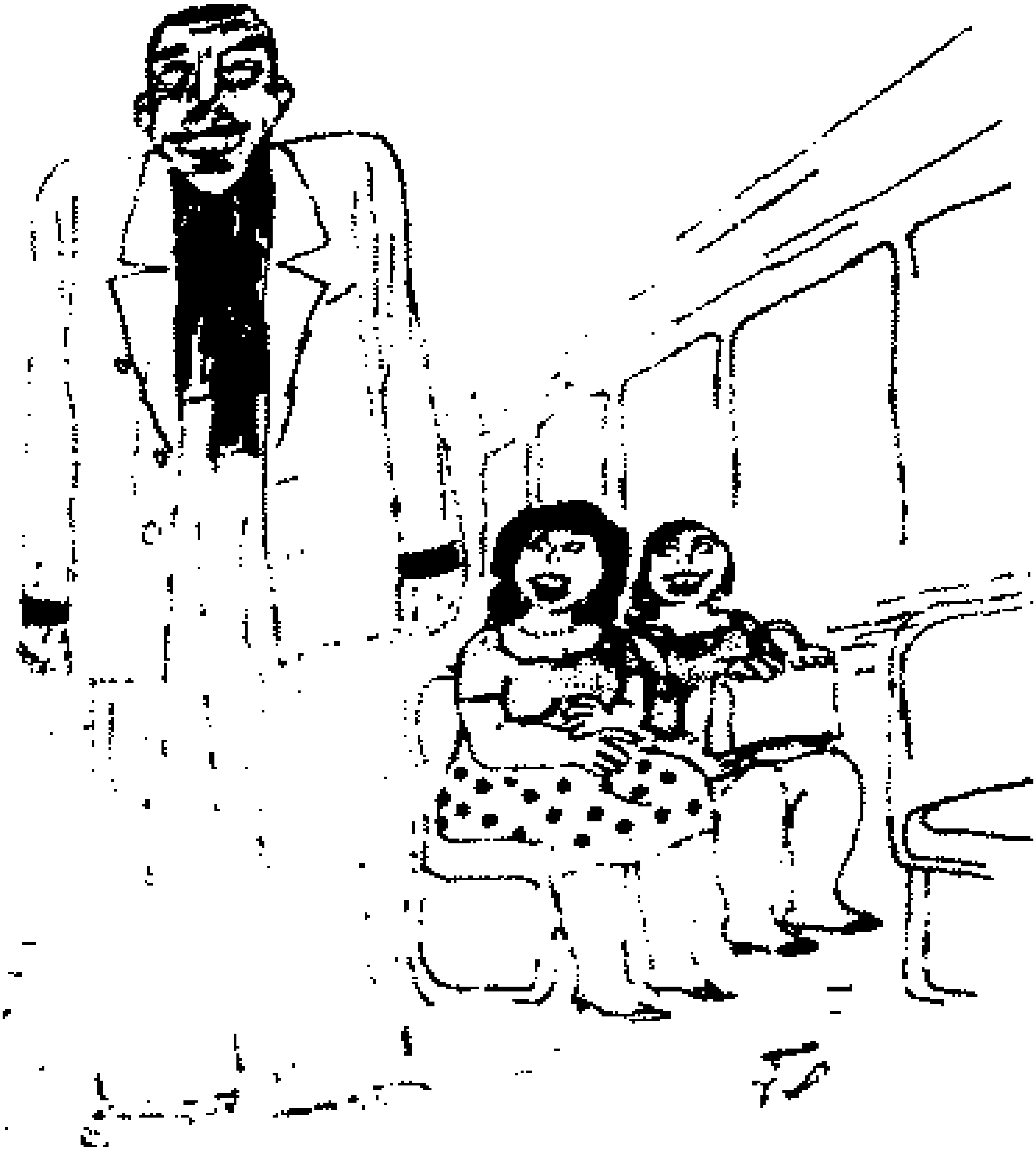
قال رئيس قسم المستخدمين:

مر على عملك معنا ستة شهور، ولم تتعلم الاعتناء بهندامك بعد، فأنت تحلق مرة كل أسبوع، وربطة العنق هذه كأنها رمز للتخلي عن وظيفتك، بذلة تمسك كأنك في عرس مع المطلوبين، بينما نحن في مؤسسة تجارية، ومظهر مستخدمينا جزء من معاملاتنا.

البطاقة الشخصية:

تأكل البطالة راتبي، إني أحتفظ فقط بما يلزمني في ركوب الحافلة، والحمام الأسبوعي، وشفرة حلاقة

* كاتب قصة من المملكة المغربية



أسبوعية ، وحفلتين في قاعة السينما الوحيدة الموجودة بمدينتنا كل شهر .

عندي قميصان كلما فكرت في قميص ثالث أثرت غضب العائلة . حتى ذقني كل صباح قد يفوت علي صفقة الساعة كاملة ، هكذا . لذا جعلت في مهامها . ربطة العنق لعلا تثير اشمئزازي ، وكلما فكرت في شراء واحدة أدركت أن ثمنها يؤخر عطلتي العائلية لأكثر من أسبوع ، وكلما صنعت حصيص ثمنها من مرتبي أتت تكاليف أخرى لتنتزعه مني .

العطلة العائلية :

قالت زوجتي :

ـ أصبحت مهددا بالصفرة ، فالرئيس يراني على هندامي . حتى يطلب مظهرا لائقا

قالت أمي . هي عوضة تتدخل دون أن يطلب منها ذلك :

ـ يريدون عملك أم أناقتك ؟ لقد كنت تعمل بربطة عنق عندما التحقت بهذا العمل ، ثم كم منهم يعملون في المكاتب ولا يحملون ربطة عنق

قالت زوجتي :

ـ لكني لا أحس كل يوم أن تعمل متأخرا ، ما رأيك لو اشتريت دراجة نارية بالتقسيط ؟

قالت والدتي :

ـ وستزداد ضيقا نحن في هذا البيت ، أين سنضع دراجتك حينما تشتريها أولا ، ثم من سيعوض لنا نحن الأقساط الشهرية التي ستدفعها فيها . ألا تكفيك هذه المحنة التي نعيش فيها ؟

قال والدي :

ـ نريد سلامتك يا ولدي .. فالدراجة النارية خطر ، والطريق تزدحم بالعربات ، والناس يستعملون الطريق دون عقل ، فالحافلة أضمن لسلامتك وقد ..

قال رئيس قسم المستخدمين :

ـ حقيقة ، أريد أن أراك كل يوم ، تحضر ببذلة ، لقد سامحتك كثيرا .

طقوس خاصة :

مباحة ... كل مساء قبل أن أنعس في فراشي ، كيف لم أفكر في هذا من قبل ؟

المرآة مكسورة لكن خطوطها ترتسم على وجهي وأنا أمامها ، عند كثير من التشققات ، لا ، بل هي صورة متكررة لشفرة واحدة . لن أتلقى عتاب رئيسي غدا ، على الأقل سأرتاح من ملاحظاته ، حتى بدلة القميص سأصنعها لئلا تتسخ ، أما ربطة العنق فتلك مشكلة حلها سهل ، قال لي أحد أساتذتي يوما :

ـ تذكر أن ماضيك يلاحقك مثل ظلك .

في ، كيف لم أنتبه لهذا أيضا من قبل ، على كل فلنة ... ، القفز مضمون ، والحالة متطابقة .

النتيجة كمية ... تتناقص

ثم تبقى مشكلة ربطة العنق . وهاهو يبتسم لي كلما رآني كما يبتسم لزملائي الآخرين . ابتسمت وأنا أمرر الشفرة على عنقي الأيسر فانغرست في أحد ... ، وارتسم خيط أحمر على العنق ، تساقط كقطرة مطر على وجه القميص الناصع عند قدمي .

يوم غير عادي :

هذا الجرح البسيط لا يشوه الوجه ، وقد رأيت خدوشا أكثر خطورة منه على وجوه الزملاء الذين يبتسم لهم الرئيس ، البذلة نظيفة تماما اليوم : والشعر مشذب كما يجب ، شعري هو رأس مالي ، ولا يكلفني غسله وتمشيطه مالا كثيرا .

هو الوحيد الذي لم يتعرض لتقلبات الرئيس .

رغم الازدحام ورغم ضغط الأجساد فأنا سعيد ، وهذه التي تحدق في ، قد أكون أثرت انتباهها بأناقتي ، لأن الشعر أنيق اليوم أنيق جدا .

عندما نظرت تركز علي ، قد يكون لي معها شأن ، مالت على أذن رفيقتها تهمس لها بشيء ، اصطدمت نظراتي بنظرة صديقتها . وانفجرتا ضاحكتين .

هل كانت الأناقة تثير الضحك ؟ هل تضحكان لعله شيء ما يبعث على السخرية ؟ على هو الجرح ؟

الازدحام يتكاثف والبائع يصرخ . يطلب من الناس أن يتقدموا إلى أمام الحافلة ليفسحوا الطريق للمزيد ، وهما تضحكان ... ضاحكتين ، لم تضحكان ؟

سأتقدم نحوهما وأعطيهما درسا في الأخلاق ، وسط

هذا الخطب بشري حتى لا أستطيع .

سأظل نظرات كعادتها ، ستظهرين ضمن الغضب والعتاب . لم تعودا تنظران إلي وبكل حسن تجيب على ضحكاتي . وقفت أمام مرآة أحد المتاجر ، أمعنت في نفسي جيدا ، وجدتني أثير سخرية المسرح ... لكن مصدر هذه السخرية لا أستطيع تحديده

لم لا أكون أنا .. أنا .. تحديدا .

قال لي رئيس قسم المستخدمين :

- أنت لا تصلح معك نصيحة .

حلقت ذقني ، غسلت ياقة قميصي ، عند ما كتب علي أن أضحك ، هذا لم يحدث لأي كان ، لم أنتبه ، وجدت في ما يضحك أنت الأخير ؟ لقد بنت السيد المدير ، أنه الرئيس المحترم ، لحيته ورقة بالعنف سأجد لها حلا في القريب العاجل .

- الآخر عدم النظافة !

ماذا يقول هذا المعتوه الآن ؟

والفتيات تضحكن مني ، تجدنني في نظافة ، والزميلة الضاربة على الآلة الكاتبة لم تكلف نفسها يوما عناء توجيه كلمة لي ، حتى تحية الصباح التي تلقيها لأخريات ، المستخدمون في العمل تختلف أمزجتهم وطبائعهم ، وهذا الذي يغريني يوميا بتركيز ذاتي وراء رضاه .. اليوم كنت متأكدا من ابتسامة منه ، وهاهو يلومني ..

والآن أذهب إلى مسكنك وهذا آخر إنذار ..

لم أسمع ما قال ، ولكن لماذا يوجه إلي الإنذار الأخير ؟ سخرية في النظافة وإنذار في العمل ، إنه الظلم . هل أثور في وجهه ؟ وبعد ؟ رغم ذلك فهو إنسان طيب .

لو كان غيره لتعرضت للطرد منذ مدة ، مادمت طيبا ولا أطلب منه إجازة مطلقا ، ما زلت لا أعلم سبب هذا الغضب .

- أخرج .

المزحة التي تعترضني كل صباح ..

تبتسم .. تضحك .. ماذا حدث ؟ تهمس للأخرى في أذن صديقتها ، تنفجران ضحكا ، تضحك الكاتبة ، تؤنبني الرئيس ، يطالبني الزملاء وفي أعينهم أشياء لا يريدون قولها ، ابتساماتهم يضحكون فيها ، يخفونها ، لا أشعر حول الشفة لكني أراها جيدا . أقف أمام مرآة المرحاض ، أتأمل نفسي جيدا

- ما بك أيها المغفل ؟ لماذا أصبحت مصدر سخرية لكل من أهل الزملاء إلى أخص المقربين ، أنت مهزلة .

يرخصونك ، تثير ضحكهم من لا يضحك ، ... أنت فعلا مضحك . أنظر إلى ... إلى شيء ... حدث .. أضحك أنا من نفسي ، أضحك ... ساخرا . أتجه إلى المرآة وأطالع شفتيه ، تمتد ... نصفها .

الحالة العقلية :

صورتي تضحكني ، ظلي يضحكني ، اسمي يضحكني ، أنا أضحك نفسي . قال رجل : يجب عرضه على أخصائي ، الشباب هذه الأيام لا يتلفون .

قال رئيس قسم المستخدمين :

- لا أعرضه عن أحد ولا يجوز لي التدخل في خصوصياته ، هذا هو القانون .

بطاقة تعريف :

اسمي حسان ، تحب الضحك ، اسمي يضحكني ، ظلي يضحكني ، صورتي ، نفسي ، سخرية ... حتى أولئك الذين كانوا قالوا عني إن السعيد حقا ، يضحكونني . □

لم أجد في الحياة سوى شيئين اثنين هما الجمال والحق ... أما الجمال ففي قلوب المحبين ، وأما الحق ففي سواعد العمال

(جبران خليل جبران)

أرقام

بقلم : محمود المراغي

بدلاً من الملعب والمدرسة **

المؤشرات على عصر الظلمات .. ويؤسس المؤسسات . تتزايد كل يوم . في السنوات الماضية كانت أرقام الصحة والتعليم ومستوى الدخل المنخفض وحتى الوفيات المبكرة مؤشرات واضحة للجوع ، أما في العقد الثالث يوجد نصف أعمار من البشر يعيش حياة الفقر وأشد قسوة .

الجوع ، أضيف مؤشر آخر جديد ، وفي العالم مائة مليون طفل يعملون في أعمال شاقة و (٩٨) بالمائة من هؤلاء يعيشون في دول نامية ويعملون في المناجم والمصانع والمزارع .

وطبقا للتعريفات الدولية فإن هؤلاء الأطفال يعتبرون خارج قوة العمل ، التي تبدأ من الخامسة عشرة إلى سن الرابعة والستين

وطبقا لتقرير منظمة العمل الدولية أيضا ، وهي صاحبة هذا الرقم ، فإن الإحصاء قد لا يكون دقيقا ، فقد يكون المشتغلون من الأطفال في أعمال مرهقة يزيدون عن ذلك ، لكن معظمهم أسر متعففة ، والكثيرون يعملون في أعمال سرية أو بشكل غير مشروع .

و .. وتقدم هذه الحقيقة منظمة الدفاع عن الأطفال التي تتخذ مقرها في جنيف ، فتقول إن هناك (٣) ملايين طفل يعملون في كولومبيا ، وبعضهم يعمل في مناجم الفحم على عمق ٢٨٠ مترا تحت الأرض .

ثم .. تتعدد الأمثلة :

في الهند (٤٤) ألف طفل يعملون في صناعة أعواد الكبريت والألعاب النارية .

وفي بانكوك ينتشر الأطفال في خمسة آلاف مصنع من مصانع المشروبات الخفيفة غير الصحية ؟

وفي أكثر من بلد عربي يخرج الطفل للعمل في سن مبكرة ، حتى أصبح الأطفال نسبة اقتصادية يحرص الآباء على تشغيلها من أجل دخل أكثر .

وبينما تستنكر الدول المتقدمة ذلك ، تستخدم الولايات المتحدة مليون مكسيكي يعملون بشكل موسمي !

ما هو التفسير الذي يمكن أن نفسر به هذا الرقم الذي يصدم العين والعقل : مائة مليون طفل يتركون اللهو واللعب .. والتعلم والتعليم .. ليتحملوا مسؤولية ثقيلة تنوء بها أعمارهم وأجسادهم وخبراتهم المحدودة ؟ .

ما هو التفسير .. والتعليم في تزايد ، ومستوى الدخل يرتفع ؟

هناك العديد من الأسباب والتفسيرات ..

فالذين يشتغلون في سن العمل تبلغ نسبتهم في الدول الصناعية عام ١٩٨٣ - طبقا لإحصاءات البنك الدولي - (٦٢) بالمائة من السكان .. بينما يهبط الرقم إلى (٥٥) بالمائة في الدول النامية منخفضة الدخل ..

و .. معنى ذلك أن هناك نسبة أكبر لما يسميه خبراء

الاقتصاد بالاعالة في الدول الفقيرة . حتى أن المشتغل الواحد يعول عدداً أكبر من الأفراد غير المشتغلين .

والظاهرة الثانية وهي التي تتصل بعمل الأطفال وهي توزيع السكان بين ريف وحضر .. فبينما يعيش (٧٧) بالمائة من سكان الدول الصناعية و (٦٤) بالمائة من سكان أوروبا الشرقية في الحضر .. فان النسبة تهبط إلى (٢١) بالمائة في الدول النامية منخفضة الدخل و (٤٨) بالمائة في الدول النامية متوسطة الدخل .

وبالطبع عندما تكون النسبة الكبرى في الريف يكون الخروج المبكر للعمل .. وارداً ومنطقياً أكثر مما يكون لابن الفلاح . تقريباً .

ثم تأتي الظاهرة الثالثة أو السبب الثالث . وهو تسرب الطفل من المدرسة ، وبسبب سوء التعليم نفسه ومستواه . وبينما يتسرب من المدرسة الابتدائية في الدول منخفضة الدخل (٥٨) بالمائة ممن هم في سن هذه المرحلة من التعليم .. فيما يحدث ذلك بهذه النسبة في العديد من البلدان بشكل واضح . ولا تزيد عن (٢٠) بالمائة في مالي والصومال وسوريا .. وتزيد عن ذلك قليلاً في بنجلاديش والسودان وموريتانيا وبوروندي .

ومعنى أنه كلما تسرب الأطفال من التعليم .. اتجهوا للعمل .. ويزيد العجز الشديد الذي تحدثت عنه احصائية منظمة العمل الدولية

فإذا نحن نصل إلى قضية تخلف التعليم فإننا نستطيع أن نضع ما يمنع خروج الأطفال للعمل المبكر . في سن مبكرة . وقبل أن يصلوا إلى سن الخامسة عشرة . ويصبحوا في عوز للعمل .

نستطيع أن نحصر الظاهرة . لكننا قد لا نستطيع أن نحصر النتائج بنفس الدقة .

في قائمة النتائج نستطيع أن نضع الأضرار الصحية البدنية . أو تشريحية واضحة منها ، مستوى صحتهم أقل من أقرانهم في الدول المتقدمة .. فهم يحرمون من العمل قبل أن يكتمل نموهم الجسدي .

ونستطيع أن نضع التأثيرات النفسية الاجتماعية والاقتصادية المبكرة بكل ما تتركه من أثر في تشكيل الشخصية وتكوينها بالعموم .

وفي قائمة النتائج أيضاً لابد أن نسجل فقدان فرصة التعليم . وما يتركه ذلك من أثر تخلف .. فالذين يحرمون سنوات التعليم في صغرهم . يقضون سنوات أطول في تعليمهم . والذين ينالون قسطاً أقل من التعليم بالطبع - في معظم الأحوال - قسطاً أقل من الثقافة

و .. مع ذلك . فليست هذه هي كل النتائج أو أكثرها سوءاً . فهناك نتيجة تسير في عكس الاتجاه المرغوب فيه في معظم الدول النامية . تعني الاتجاه لتحديد السكان ، وتحديد حجم الأسرة بالتنمية والتغلب على أسباب الفقر .

وبصرف النظر عن اشتغال الطفل بعمل شاق وبما يخالف حقوق الإنسان ... فإن تجويز عمر وجيه للعمل .. هو من جهة يعني تشجيع الزواج المبكر . وتشجيع انجاب الأكثر . فالطفل عندما يتحول في سن صغيرة إلى قوة منتجة ، يتزوج على الأرجح في سن صغيرة أيضاً . وإذا بحث عن فرص الانجاب أيضاً ، وفي سبب .. وهو تحول الطفل إلى قوة اقتصادية منتجة .. فإن الآباء يحلمون بالأعراض مزيد من الانجاب .. فالأطفال مصدر رزق . وليس عبئاً في المزيد من الانفاق

وهكذا تتجه فرصة كثرة الانجاب مرتين . مرة عند الآباء . ومرة عند الأبناء !

هل من سبيل لمنع هذه الظاهرة ؟

كثير من الدول تمنع عمل الأطفال بقوانين تمنع اشتغالهم في أعمال معينة أو مهنية

وكثير من الدول تضع تشريعات لتحمي الطفولة وتمنع تشغيلهم في الأعمال الخطرة . أو الصناعية ، أو في الأماكن العامة

والقوانين الحديثة تحمي الطفولة ... ورعاية ... ولكن . يبقى الأمر أبعد من القوانين أو تشريع يحظر . فالقضية هي التطور الاجتماعي والاقتصادي .. وعندما يزيد الدخل وتزيد فرص التعليم وبرامجه تختفي بالتدريج ظاهرة الطفل في دائرة العمل بشكل عام . والعمل الشاق بشكل خاص .

وعندما تختفي ظاهرة الطفل .. رب الأسرة .. والكثير من الأطفال يلعبون هذا الدور بالفعل .. يلعبه على مسرح الحياة .. وليس على مسرح العرائس أو المسرح المدرسي . □



في شعر

بقلم : حلمي الخولي

لم يعن شاعر بماله الشعري من البؤس والفاقة والحرمان، مثلما عني عبد الحميد الديب بهما. ورغم شاعريته الرائقة ورقة تراكيبه، إلا أن أحدا لا يذكر له إلا قصائده عن البؤس. وفي هذا المقال جانب جديد من شعره، لم يتناوله النقاد الدارسون لشعره حيا وميتا.. ؟

حين يذكر اسم الشاعر عبد الحميد الديب ، يذكر مرادف هذا الاسم « شاعر البؤس » لأنه عاش بين فكي البؤس والحرمان ، وكلما ابتسمت له الدنيا بكون الابتسام للحظات لا تذكر ، ثم تكشر عن أنياب البؤس والفاقة مرة أخرى ، فأصبح البؤس شيئا لازما في حياة الشاعر ، وأصبح الترف شيئا غريبا عن حياته ، فعندما فكر في هجرة بها بعض الأمل لم يطق هذا الوضع الجديد ، واضطر أن يعيش حياة لا تخرج عن قانون بؤسه في تسكع ، كما يوضحه لنا من خلال وصفه لحجرته التي أسماها « بجحر الديب » فيقول :

أفي الحجرة [illegible] الا [illegible]
فيتوه [illegible] من [illegible]
[illegible] الأنفاس [illegible]
ولي [illegible] تغشاك لم [illegible]
[illegible] الأشياء [illegible]
[illegible] لو [illegible] من [illegible]
[illegible] .. [illegible]
[illegible] على [illegible]

وكثيرا ، ما كان يضطر إلى قضاء العديد من الأيام في أحد بيوت الله ، ليجد فيه الراحة من التشرد والضياع ، ويصف حياته البائسة المنكودة فيقول :

[illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] .. [illegible] .. [illegible]
[illegible] في [illegible]
ومن أين [illegible] في [illegible]
[illegible] [illegible]
إلى [illegible] أصيل [illegible]

أصبح [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]

عاش الديب مشردا ، لا مسكن له ، ولا أهل ولا مال ، فكانت حياته عذابا ومأساة يصور لنا أبعادها فيقول :

[illegible] لا [illegible] ولا [illegible]
[illegible] على [illegible]
[illegible] الأرض [illegible]
وإن [illegible] [illegible] ولا [illegible]
[illegible] بين [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] الأرزاء .. [illegible]

ويصور لنا تيه التي لا تنتهي أبدا فيقول :

[illegible] . [illegible] [illegible]
[illegible] .. [illegible]

وعاش عمره يشكو من الجوع والظلم ، لكنه لم يكن يجد تلك التقييمات التي يعيش بها ، وربما أثبت لنا شوقه في مساكين طريقه .. فلنسمعه يقول :

وأعطني [illegible] في [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]

فيشتد جوعه ، وتشتد قسوة الظروف ، فيصرخ صرخة مريرة ، بائسة يائسة تنم عن عمق حزنه وبؤسه وفاقته فيقول :

[illegible] ! .. [illegible] على [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]

كيف حظي وحيف الدهر يضربها
بكراً محققة ، والدهر بي شغل
لولا تطلبت عيشي ثم مس كمد
وإن تطلبت حتفي بعد الأجل

فمن عاش حياة البؤس ، وعانى محنته ، وقاسى ظلمه ، حتى يكون له أمل غير الموت ، ينشد فيه راحته المأمولة ؟ . ولم يكن الدهر هو الذي قسا على الشعب وحده ، ولكن الناس أيضاً جعلوا عداءهم إلى جانب الدهر ، عباد عليه بالناس ، وأصبحوا في نظره أعداء ، ويصور لنا هذا بقوله :

أسير حمل الظهر .. فيا سهم شامخة
ترزق في عرضي ، وأكثر يشتمهم
وقد سلك علي بالحياة جميعهم
فأجمعت أمري في العداء وأجمعوا

وقد رمى بعض الناس الشعب بالعزلة ، وعدم الإيجابية والمشاركة الوطنية في أحداث الوطن منذ توفي في عام ١٩٤٣ . ولكن له الصواب الذي يذكر به في تصور الوطن . وقد شل فكره من كثرة متاعبه وكتاباته في الحصول على أقل الأشياء الحياتية وهي لقمة العيش . ولم يشارك الشعب في أحداث الوطن ، فله عذره الذي يلغيه اللوم .

بؤس الفرد والوطن

ولكن الشعب لا شعوره بعد أنه كان جانباً هيناً في نظر الأسد . حين يتصدى للقتيرين فاسد ، أو مؤامرة مقيتة . وقد عاش الشعب تجربة حياته في ظل الحكومة الفاسدة ، ومن يعلونها من الوزارات التي تنتمي إلى أحزاب كل همها مصلحة أنفسها في الحزب ، لا مصلحة الوطن ، فهاك يصور حزباً جاء إلى الوزارة وثانية تعيين للملكي ويعرض بالملك السابق :

برامكة وليس لهم رشيد
وأقيال وكلهم عبيد
صدقتهم لما صدقوا مقصري
عليهم ، وما شرف القصيد
وصفت [illegible] فيا الأصابع
على الأسواء ليس لي [illegible]

ولما اختلط الحكم في مصر . فالقصر الملكي هو الصورة الطاغية ، والحاكم الفعلي هو الاستعمار وأذنابه ، وقد خرجت من بطش الحكم البين ، وزاغت عن نطق الكلام ، ولكن الشعب من شدة الخوف ، وعنف العاصفة يخرج مكشراً عن أنيابه ، مرسلاً قوله الذي منه :

أبين عجائبها نسبي بمصرف
[illegible] انقلاب واضطراب
نصحح في الوطن بما أن مصر
وفي غير الوطن لمصر ونائب
وما يبغون حرباً أو صلاحا
ولكن كل همهم التكالب
[illegible] أن يعرفي
[illegible] واستراحوا
إلى [illegible]
وعيش لا يزول ولا يشيب

ونجده ينقد تصرفات الحكومة الفاسدة في عهد شديد حين اختصت الحكومة لصالحها من الأغنياء والأمراء بالمنحات الوافية من الضرائب ، حتى حين أنها تحرم الفقراء وتتركهم إلى الموت فيقول :

يا رب ما مصر أصبح محصورة
إلا لظالم ، [illegible]
[illegible] ، وكلاهم
أنت المشير لشعب المعازات

وكثيراً ما كانت حكومات الأحزاب التي تتولى الحكم ، تتاجر بأقوات الشعب ، ويضرب الشعب مثلاً بأسلوب إحدى الوزارات الرخيص في الإنفاق [illegible] الشعب الكادح المطحون ، ويفضح أسلوب وزارة التموين في إحدى الوزارات فيقول :

في غيابة الوطني شارعه
[illegible] عن جيهم
الأرض [illegible] استعمارية
والعصر [illegible] تكالب
وما [illegible] الطير [illegible]
لا [illegible]
[illegible]
عمر [illegible] !



فيا حاكمي اليوم لبيك
وصاحب الملك وحكمي
كم فيك حكمك شعبنا
فملك الشعب من سريع
بما مستضعفات جميعا
أكلت شعبك فمزعتم

وكان الشعب يرى في الفئة التي تحكم ، انه ليس من الشعب ، وليس الشعب شعبه . فلما طلب اليه أن يصوغ قصيدة في عرس أحد أولياء العهد ، ومضى في نقده فقال :

أصوغ في عرس الملك المصيبة
وأنا في الموت مرحب زماني
لم تكن من شعب الملك نظمتها
من مهجتي ، ومواطني ، وشغلي

ويمضي منت احدى الحكومات الفاسدة تشريعا يحرم به أكل الفحم يومين في الأسبوع ، وجد الشاعر فرصته سانحة ليعرض بأسلوب تلك الحكومة . التي تظهر أمام العالم بشعبها الذي تقتل وتأكل كل يوم الفحم ، في حين أن وضعه أليم ، فالعديد من أبناء الشعب ربما لم يذقه منذ عدة أسابيع ، فكانت صرخة أرسلها الطيب عالية فقال :

كلوا الحكومة أو صوتوا من الجوع
صوت الضعيف البرئ غير مسموع
من حرموا الفحم في يومين على علم
لا لبس في حكمهم ولا تشريع
حكومة الفقر والأمم تبيعهم
على الجوع في حرمته ألف أسبوع

وهذه أبيات من قصيدة بعث بها الشاعر الى رئيس الوزراء صالح ، ينقد فيها أن يأتي خير عصر مع حرمات أهلها منه فقال فيها :

تحررت في مصر فشرعتم [illegible]
الى شعب يمشو على النضال له ذلب
انا هنا كشفنا كنوزها أرض تحبره
لم لا يمكن منه على مركب عصب
لكل غرض لم جمهور ، ونشتهي
أن يلفنا منه الفتح بالشعب
أصوات بآلاء الحكومة بأنها
ضلت السبلا كالمعتمي تحتكم الى شعب

وكانت صرخته مدوية في آذان من يتهافتون على الحكم ، ويخشون الحرب من أجل الدفاع عن الوطن ، فندد بهؤلاء قائلا :

يا مدعي الحرب هلا تحملون بها
وأنتم دون حمل الضرب [illegible]
فلتعلم النيل [illegible] حكمكم
على الشراء فلا [illegible] ولا [illegible]
لنعلم جيدا [illegible] والحرب كالشفة
ان يحصر الأرض تولون ساحات
كم ذا أكلتم على حرماننا نصب
والبوم تحوزكم في [illegible] تولون ؟
لولا الأشعة في [illegible] ما رويت
يا [illegible] وضنا للضعيف [illegible]

ويمضي في سير القصيدة بأسلوب ساخر تهكمي مفندا ضلال هؤلاء :

قالوا : سلام ، قلنا - صدق رأيكم
الأرض فيها تحسين وصحت
أحد طوفان نور فيها غرقا
والبوم طوقتها : نار وخيرات

إن كنت تطلبه [illegible] مستطرة
[illegible] في عهد [illegible]
[illegible] من [illegible] ، [illegible]
[illegible] به الأرض [illegible]

وحينما ظهرت اليد الخفية التي تحكم مصر من وراء الستار ، حينما بدت للعقلاء في ضوء النهار ، وأطلقت السياسة الانجليزية يدها في شؤون مصر الداخلية . كان هواه الشعب زاهرا [illegible] أهل [illegible] . حين قال وهو الشاعر [illegible] المطبوع البائس .

[illegible] حتى [illegible] أحبابي
لا [illegible] أو [illegible]
[illegible] لن [illegible]
وإن [illegible]
[illegible]
[illegible] من [illegible]
[illegible] من [illegible]
[illegible] في [illegible]
[illegible] : إن [illegible]
[illegible]

ويستمر الشاعر في نفس القصيدة في صب غضبه على تلك الشراذم التي تكون عونا للدخيل ، ليحكم بهم الشعب فيتمكن به من جديد :

[illegible] عن [illegible]
[illegible] ، [illegible] على [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] في [illegible]
[illegible] عن [illegible]
[illegible]
[illegible] من [illegible]
[illegible] ، [illegible]

ولما يرى هؤلاء الذين نصبهم بعد الاستعمار الأثيم على الشعب حكاما ، ويوضح هؤلاء - في وطنية وعزيمة صادقة - أن تاجهم تاج مزيف . تاج الحقيقي هو في شرف الشعب وعزة كيانه واستقلاله فقال :

لا [illegible] سوف [illegible]
[illegible]
[illegible] في [illegible] ، وفي شرف
[illegible] : [illegible]

ويطلع صورته مهددا ، بفناء هؤلاء ، إن سولت لهم أنفسهم مس شرف الوطن ، وسوف يصيح بهم ناصرا عنهم حتى لحلل أعلامهم فوقها أعلام الوطن ، ويطوي مقعدا مزعمهم ، هاجيا أكذوبهم فيقول :

[illegible] إن [illegible]
[illegible]
في [illegible]
[illegible] في [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] عن [illegible]
[illegible]

ويستمر في هجائه محقرا اياهم فيقول :

[illegible] ، [illegible]
[illegible] ، [illegible]
[illegible]
[illegible] ، [illegible]

من الخاص إلى العام

ورغم الغربة المرة التي عانى منها الشبيب ، ورغم الظلم الذي كان يعيش في أعماقه ، ورغم [illegible] البرد الذي تمكك في مفاصله ، ورغم الأكثر تحطيما [illegible] عن [illegible] [illegible] وضياعه في وطنه بأيد من رفاقه . فهو يرغب في الجهاد الذي يحفظ للوطن شرفه ، ويريد أن يلوح في المجاهدين . ليقدم نفسه قربانا للأمة العربية فيقول :

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] لا [illegible]

قسماً بمسعاي عبد الله شبيبتي
سجرت فلم أطق لعرضه نطقا
أريد لنفسي بين أحبته أمتي
أقسم بربنا شيبتي غدا غضبا

وترتفع صرخات الغضب عالية . لتخرج من حدود وطنه الصغير - مصر - إلى كل وطنه الكبير - الوطن العربي - لتلفت نظر العرب إلى تلك الجريمة التي تحاك في الخفاء بتدبير الاستعمار والصهيونية لتمكين شرذمة من اليهود في فلسطين العربية . وكان الشاعر واحداً من أولئك الذين جزعوا لهول تلك الكارثة . وقد سجل الشاعر العربي الوطني عبد الحميد الديب كل هذه في قصيدته الوطنية . التي تنم عن أنبل المشاعر الإنسانية ، وتفيض بأروع المعاني وأصدقها ، عن غضبته في صدر ولهب كل عربي غيور ، وقد اختار أن يكون عنوانها « فلسطين الشهيدة » وقد كتبت سنة ١٩٣٦ وقال فيها :

أتحكمهم بفلسطين ثم تطلبوك
النصر لك . وتقتلوا أبناءك
دار الشهداء .. والعروبة .. والضحى
عصفوا فصحت بالعلم المصفوك
جهلوا عطفك وسادوا فتعصبوا
في قيمتي قبوسك .. لجمهم عرايبوك
تعرى ، فلسطين الشهيدة ، عن الورى إن الملائك
والفرقان نبوك
فغرب شمسي عن بنيك منهجهم
بصبابة وحسامه منهجك
شعب عجوز المنيلي إلا صيته
صدق بصيب المشار من زعيك
ولرب شبيح من بنيك عظيم
يجر الوجود صبا تبكي بحسك

وقد صدقت نبوءة الشاعر وصارت فلسطين ، فلسطين الشهيدة ، ولم يتحقق لليهود لا أب كونه ، ولكن الاستعمار والمحتلين قد صوروها لهم لقمة سائغة . والشاعر العربي عبد الحميد ، لم يسبر غور هؤلاء اليهود الذين يستعبدون معظم الناس ، ويكونون بصرع التماسيح . لقد كشف عن نواياهم الخبيثة التي تنطوي على الغدر والمكر والخبث والأحقاد . فصنعا يوزن أمره في الصد على المسلمين

يقول :

عهده تسطالني . والعيش سنبكيه
لا تبت يوم الأسى والحزن بعد عميد
بحديد الشام عن لبس ومن كرع
وصناعة للأسى والغيب كهيده

وفي قصيدة أخرى له ، حين يريد إظهار قسوة الظلم عليه يقول :

لقد رحمت عيشي صاعلا فبكائي
جموت ، بيوت ، رحمة ، مسموع

وهو لم يتم أمره عند قدرهم ، فصنعها يصور نكير صاحب البيت الذي يسكن فيه مخاطبة الديب في دفع الأجر . فيصور نكيره قائلاً :

تسكب على الأنفاق منه الشرة
كأن عبد الله طيراً من الغرس

ويتوسل الشاعر العربي . صاحب الفؤاد المجروح على وطنه العزيز فلسطين . فيصور لنا هذه الشرذمة فيقول :

آسي لليهود وبنه الاستعمار
وقتلهم عبر غبة وجيرو
يعيبون أعداء الشعوب لأنهو
قوم أدهم عيون الاستعمار
إن قبلهم في النفوس تختهمو
نهب عليك وصبهما الأحرار
سفكوا عشاق الصيد فتحبهت
فهمو ، طول الدهر شر شعار
قطعت الصيد مال بشرد شعبهم
ويبعد بين طوائف المحتجز
فهمو عبيد الانجليز ومنذ حو
في بغية الأحرار كي تسرو

* رحم الله عبد الحميد الديب ، الذي تركها فوق آلامه وبؤسه ، وتشرده وجوعه . وضمه بوطنيته فوق أي مأساة تعرضت حياته ، فكان شاعراً وطنياً صادق النفس ، على ساحة وطنه الصغير - مصر - وفي ساحة وطنه العربي الكبير ، وكانت وطنيته مثالاً صادقاً لابن الشعب المكافح للتحرر ، المظلوم المرتفع فلك حين لم تتطلب بوطنه ، فالوطن أعلى وأسمى من أي ظلم . ومن أي آلام شخصية .

* نرجو الله أن يعوضه مرارة ما عاناه ، وقاسوه ما لاقى ، بنعيم مقيم . □



بقلم: د. حسين الوردي *

طب المجتمع اصطلاح ظهر وانتشر بعد الحرب العالمية الثانية. وكانت بعض ممارسات طب المجتمع مألوفة منذ أوائل هذا القرن - وحتى منذ القرن التاسع عشر للميلاد - بل إن البعض من هذه الممارسات ضارب في القدم. فأين نحن الآن من طب المجتمع؟

ليس غريبا أن يبدأ طب المجتمع بالظهور في النصف الثاني من القرن العشرين - فإن تعقيد المجتمع وتعقيد الحياة - وما يفرزه هذا التعقيد من عوامل مؤثرة تؤدي إلى أمراض عضال بطرق شائعة ملحة فيه - هذا من جهة ومن الجهة الأخرى - فإن سرعة العلوم وموضوعيتها وتيسر التقنية المساعدة جعلت هذا العلم في متناول اليد. صحيح أن طب المجتمع علم ناشئ - غير أن الحاجة الماسة إليه -

* طبيب تحليلات مرضية - دبلوم في الباثولوجي السريري - كلية الطب جامعة بغداد

يسمى تناوله بكيفية قبلية أن يصير ميدان الطب . فلا بد أن تتمثل الوطنية فيه مرتبطة بالصحة الشعبية ، أو يتجاوز العوائق ويتحسن من تنظيم العلاج .

من الممكن أن نكتب المقالات عن معنى الوطنية وعلاماتها ولكنها في طب المجتمع تعني أمرين :

ـ أن مفهومه ، بالأساس ، مطابق لمعنى المجتمع نفسه بذاته . فالطب في مجتمع ما يختلف عما هو عليه في المجتمعات الأخرى . ونستطيع أن نقول إن طب المجتمع معني ، وطني ولكن هذا لا يعني أن لا علاقة له بطب المجتمع في المجتمعات الأخرى . بالعكس فإنه يتفاعل وإياها ويندمج معها في تيار واحد من أجل صحة المجتمع البشري ونحن نريد فقط أن نؤكد على أن تتحقق بيئة لسوء الأمراض في البيئات الأخرى ، وبالتالي هي من مهام طب المجتمع في هذه البيئة .

ـ والأمر الثاني ، هو أن طب المجتمع وتطوره ، مؤشران على مدى وعي أفراد المجتمع بالمسؤولية الجماعية ، المسؤولية الوطنية . فكلما تقدم طب المجتمع علماً وممارسة وأثراً دل ذلك على عمق إدراك عناصر المجتمع المختلفة لأهمية المسؤولية الاجتماعية والمسؤولية الوطنية ولمقتضياتها ، والعكس صحيح . فموظفو الإدارة الصحية وعاملو الطب الوقائية ، والمواطنون عموماً مسؤولون بهذه الخصوصية سلباً وإيجاباً .

فما هو طب المجتمع ؟

لو قلنا طب المجتمع ، فذلك يعني ضمنياً أن هنالك طب الفرد . وفي الواقع فإن الشق الأكبر من ممارسات الطب هو ما يمكن أن يسمى طب الفرد ، الذي يهتم بفحص المريض ويطلب له التحليلات ويجري حوله التحريات والفحوصات لتشخيص المرض ويصف الدواء ويتابع المريض حتى يكتسب الشفاء ، إن الطبيب الذي يقوم بهذه المهمات هو ، طبيب الفرد ، وإن لم تعد بعد شياع هذا المصطلح .

هنالك أيضاً طبيب العائلة . وقد نفهم من ذلك أن العائلة بكل أفرادها تراجع طبيباً معيناً بالذات ، حتى تكون لهم ثقة بهذا الطبيب لما توفر الثقة في جانب ، الممارس ، أو الصانع الذي ينسجم منه مع دونها . ولكن الأمر أبعد من ذلك ، حيث أن العائلة انحدرت من صفات وراثية معينة كما تحيط بها وتربطها عوامل بيئية ذاتية . وهذا وذاك يجعلانها وحدة صحية متميزة . إن تراكم الخبرة عن هذه الوحدة الصحية عند نفس الجهة يسهل كثيراً أمر العناية بصحتها ، وحتى باستطاعة هذه الخبرة أن تسمح بإجراءات وقائية مسبقة تجنب العائلة الكثير من الأمراض .

طبيب العائلة

لا نريد أن نخوض عميقاً ، فهذه رؤوس أقلام ، ونكتفي أن نقتصر على طبيب العائلة وطبيب صحة المدينة . فإذا استطاع طبيب العائلة أن يوفر حسن الإرشاد إلى مسببات الأمراض ، فإنه طبيب عائلة ناجح . أما إذا نجح في علاج كل من يمرض من أفرادها بطريقة متطورة ، وبحساب حسن ، وبأخلاق عالية ، وبمعاملة إنسانية فإنه طبيب فرد ، وليس طبيب عائلة .

وكذلك طبيب صحة المدينة ، فإن اقتصر على ملاحظة العالي تطورات المؤشرات الصحية فإنه سيتحول من الطبيب المنتج ، الشغيل ، المشخص لأمراض مدينته والمنظم لوصف علاجها وعلاجها من أمراضها ، يتحول إلى موظف سلبي وهمي مجرد في تصنيفه للمؤشرات المكثفة بالنسبة لقوانين تنظمه المؤشرات الصحية . بهذا الصدد ، ترى طبيب صحة المدينة أن يجمع بنفسه مواهد علمياً ، فعليه أن يهتم بالأحداث الصحي ويفيها مصوباً ، ويتخصص في الوبائيات لمدينته ، وأن يقيم بشكل دوري أثر تقدمه وعمله في تأثيره على صحة المدينة .

فكما أن الاختصاص يعني كل شيء عن موضوع واحد ، ويتضمن شيء واحد من بقية المواضيع وهذا مطلوب في فروع الطب وميادينه . إلا أنه طب المجتمع ، ولكن طب المجتمع يتطلب صفة أخرى ، فهو يتطلب من المختص أن يلم بكل شيء عنه ، وكذلك فإنه يتطلب من كافة الأطباء أن يلموا بمسؤولياته وبعلاقتهم به . إن لكل طبيب من مختلف الاختصاصات دوراً مؤثراً وفعالاً في نجاح طب المجتمع نفسه .

إن طبيب الفرد - إن قبلنا هذا المصطلح - بحاجة إلى أن يتعرف على واقع المريض في اللحظة الحالية ، ولكن يتعرف على تاريخه المرضي . وكذلك فهو بحاجة إلى أن يتعرف على تاريخ العائلة المرضي . وأيضا فإنه بحاجة إلى التعرف على مجتمعه ومشكلاته وعلى أمراض المجتمع وواقع البيئة . وبهذا الشكل يرتبط طبيب الفرد بطب المجتمع وهو بالتالي بحاجة إليه . ومن الناحية الأخرى فإن الظواهر المرضية (كظهور مرض معين بين مراجعيه ومدى تكرر هذا المرض) هي نقاط أساسية لا يستغني عنها طب المجتمع بل هي مفاتيح نشاطه . ولا يجوز التغافل عنها بأي حال من الأحوال ، فإن السكوت عنها يضيع على المجتمع القدرة للتغلب على أمراض قد تكون مهلكة ، وبذلك يضع الطبيب نفسه تحت طائلة العرف ، بما لا تستطيع القوانين أن تطاله .

أسس ومواضيع طب المجتمع

إن الحالة الصحية - كأي ظاهرة حياتية - تخضع لنوعين من المؤثرات والعوامل : وراثية ، وبيئية . فالأسماك لا تمرض فقط ، بل تموت أيضا لو خرجت من الماء إلى ظروف بيئية أخرى بينما اللبائن تموت إذا انغمرت في الماء . هذا يعود لمورثة الأسماك واللبائن في جيناتها . ولو نظرنا للأجسام حياتها إن غاب عنها الأوكسجين الطلق في الهواء ، أو المذاب في الماء ، فهناك أجسام حية تفقد نفسها بالعكس إذا تعرضت للأوكسجين ونسميها اللاهوائية ، وهذا أيضا ورثته عن السلف .

غير أننا نستطيع أن نتعامل بحرية أكثر مع عوامل البيئة ، كما أن الأغلبية الساحقة من الأمراض تنشأ بالأساس بسبب عوامل بيئية . ولذلك كان على طب المجتمع أن يدرس عوامل البيئة ، ويوازن بين متغيراتها وبين ظهور الأمراض المختلفة ، ثم يطرح الأسئلة الملائمة ، ويتتبع الأوضاع القائمة ، ليعطي الجواب عن هذه الأسئلة . مثلا هل هنالك علاقة بين انتشار (الكوليرا) وبين مستوى النظافة ومستوى التثقيف في هذا المجتمع أو ذاك ؟ ومثلا هل هنالك علاقة بين تصاعد عدد المصابين بداء السكر وبين تحول الناس من تناول الخبز إلى تناول معجنات الدقيق الأبيض والسكر والطحين المنقى ؟ ومدى علاقة مرتكبي الجرم بالمدخنين ؟ فلربما بعض النمط الذي نستطيع به مع دوائر المرور أن نحدد العلاقة بين عدد حوادث الطرق وبين كثافة السيارات مضافة إلى مستوى الوعي والثقافة المروريين .

ويمكن أن نصنف الأمراض من وجهة نظر طب المجتمع بسبب عواملها إلى ثلاث مجموعات :-

١ - مجموعة تنشأ نتيجة لوجود خلل (عيب) قائم أو (موروث) في جينات الجسم الحي ، ونسمي أمراض هذه المجموعة (أمراضا وراثية) .

٢ - مجموعة تنشأ نتيجة عوامل بيئية بسبب الإصابة بجرثوم (مكروب) أو طفيلي ينتقل إليه من جسم حي آخر (مريض ، أو حامل أو حشرات) فيؤدي إلى المرض بأي حال ، لينتقل منه عندئذ إلى أجسام حية أخرى .

٣ - مجموعة تنشأ أمراضها نتيجة عوامل بيئية غير جرثومية وغير طفيلية ، ويتعرض لها كل أفراد المجتمع ، ويتأثر بها كل الناس إلى هذا الحد أو ذاك فيمرض بعضهم . وهذا الشكل يمكن أن نسميه انتشاره وبائيا ، ولكن لم يكن لينتقل من مريض إلى آخر ، وإنما كل المرضى تأثروا بنفس عوامل البيئة القائمة في مجتمعهم .

إن طب المجتمع لا يتدخل بالمجموعة الأولى ، وإنما بمقدوره أن يلعب دورا فعالا مؤثرا في المجموعتين الأخريين . من المعروف أن فقر الدم المنجلي المنتشر في أواسط أفريقيا وغربها ذو علاقة بعوامل وراثية قائمة في جينات أقوام هذه المنطقة . والمطلوب من الطب في مثل هذا المرض أن يتدخل في علاج المرضى ومداواتهم .

أما مرض التيفوئيد (التيفوس) والذي يتعلق مع الطعام والشراب ، فباستطاعة الإنسان أن يتجنبه فيما يتوفر مياه الشرب النظيفة وتوفير الطعام النظيف والنظافة بالارتفاع بمستوى العناية الصحية . وكذلك الأمر مع مرض الكوليرا فهي تسلك طريق التيفوئيد في الانتقال والعدوى ، كما أن تجنب الإصابة بمرض التيفوئيد يساعد الإنسان على تجنب الإصابة بمرض الكوليرا .

وكذلك فإن الطب في تعامله مع داء السكر يجد

أصنافه نوعين ، نوعا من المجموعة الأولى وراثيا وصرفه لا يستغنون عن الأخصائيين ، وليس أمام الطب إلا مداواة المرضى مدى الحياة ، أما النوع الثاني الذي لا يعتمد علاج مرضاه على الأخصائيين فهو من المجموعة الثالثة (مجموعة العوامل البيئية غير الجرثومية) وهو الذي تراقبه الصحة . هذا النوع باستطاعة طب المجتمع ومطلوب منه أن يحرر المجتمع من براثنه ، وذلك بمعالجة النظر بالواقع البيئي (وهو هنا نمط الثالثة) . وبهذا الشكل يستطيع المجتمع أن يتخلص منه إلى حد كبير ، وربما سيبلغ التخلص مداه إذا علمنا أن هذا النوع من داء السكر موجود عند ٨٥٪ من مجموع المصابين بداء السكر في بعض المجتمعات وربما أكثر من ذلك ، كما أنه يهدد الآخرين بشكل كثيف .

فأين نحن من طب المجتمع .. ؟

نلاحظ أن طب المجتمع علم ناشئ ، كما أنه وطني من حيث علاقاته ومسايرته البشرية الشاملة ، أهدافه ووسائله ، لذا ينبغي علينا أن نلم بتجارب وخبرات المجتمعات المتقدمة والنامية . ومن الجهة الأخرى فإن دعوتنا الحثيثة إلى هذا الميدان ودراسة وتقييم خبرتنا وإفادتنا النظرية وتفاعلها مع خبرة المجتمعات الأخرى ، خصوصا النامية ، ستهيء لنا الأرضية الصالحة لإقامة صرح هذا العلم وتطويره . إن النجاح في الممارسة الوطنية بهذا الميدان يتطلب ما يلي : ـ

١ ـ توحيد المؤسسة الطبية بإدماج التعليم الطبي ببرامج الخدمات الصحية باستراتيجية عملية للتقدم الصحي ، وتجاوز الهوة المفتعلة بين التعليم الطبي (خصوصا طب المجتمع) وبين الممارسة (في دوائر الوقاية والبيئة وصحة الطفل ...) وبمراقبة طرفي المعادلة هذين ، وتفاعلهما ، يمكن لأساتذة طب المجتمع ، المتكافئين على التعرف على ممارسات الناجحين المقيمين لنتائج هذا التقييم ، ويمكنهم أن يكونوا هنا معلمو هذا الفن ، وبدون ذلك ستبقى فروع طب المجتمع متعثرة وعاجزة عن التعرف على أن تكون مرآة عاكسة تأخذ ما تكتبه المجتمعات الأخرى لتجتره وتعكسه ـ مثلا ـ على طلاب طب المجتمع في مجتمعنا . كما ستبقى ممارسات طب المجتمع كنشاطات منقطعة عن أي متابعة وتقييم لنتائجها وتفتقر لعملية التقدم العلمي .

٢ ـ كما ينبغي أن يكون لفرع طب المجتمع كرسي متميز في كليات الطب يجاور الكرسي السريري ، إن لم يفقه ، بحيث يضمن تخريج أطباء مدركين لدورهم في طب المجتمع برغم تخصصاتهم المتنوعة التشخيصية والعلاجية .

٣ ـ وهنالك ضرورة للتأكيد على أهمية الإحصاء ، الوسيلة الرئيسة والمجربة في تقييم الإنجازات ، والتعرف على حجم الأمور ونقطة البدء في البرمجة والتخطيط الإحصائي . ولذلك ينبغي التأكيد على تنمية العقلية الإحصائية والنظر الإحصائي عند خريجي كليات الطب ، فهم سيكونون الخطوة الأولى في بناء وتطوير علم طب المجتمع ، وفي ممارسة طب المجتمع ، وبالاستناد إلى المعطيات المجمعة والمأخوذة من الأطباء السريريين ودوائر التشخيص والتحري كالأشعة والمختبر .

٤ ـ وأخيرا ينبغي لكليات الطب أن تضع أمام عينها أنها ليست مكتب منح شهادات التخرج ، بقدر ما تكون معاهد تربية طبيب يتفاعل مع مجتمعه ومن كل قلبه وبكل حرص وعلمية ووعي .

إن كتابة علم طب المجتمع ليست بالمهمة اليسيرة ، بالقدر التي هي ضرورية . وإذا الأخذ بناصيتها يتطلب الخبرة والمثابرة والمعطيات العلمية خصوصا البرمجة والتخطيط والإحصاء وتقييم الإنجاز ، وبالتالي تضافر الجهود ، وطبيعي سوف لا نطمح أن ننتهي من كتابة هذا العلم ونضعه موضع التطبيق في ليلة وضحاها ، لا يكفي أن نغرس البذرة لنجني زرعها ، وإنما في تفاعل النظرية والخبرة المتبادلة مع التطبيق المستمر ، والخاضع للتقييم الدوري . □

أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص

قاموس العربي

« أ »

« التفرقة العنصرية »

أبارتهيد

■ مصطلح سياسي يطلق على سياسات التفرقة العنصرية والتمييز العنصري ، وهي سياسات تقوم على تمتع بعض الفئات العامة على فئة من المواطنين ، دون فئات أخرى وفقا للجنس واللون .

ولا تمارس سياسات التفرقة العنصرية كواقع منصوص عليه في القانون الآن إلا في جمهورية جنوب أفريقيا ، التي تمارس تمييزا وفصلا عنصريا بين السكان ، حيث يعامل ٥ ملايين أبيض منحدرين من أصول أوروبية كسادة ، بفضل ما لا يقل عن ٢٠ مليون نسمة كمواطنين من الدرجة الثانية . وتتفاوت درجات التفرقة في إطار الوطن الواحد ، فالبيض هم السادة كما قلنا ، يليهم الملونون ، وهم ذوو الأصول المختلطة بعنصر أبيض ، ثم الآسيويون ثم السود . ويحدد نظام « الأبارتهيد » لكل فئة من هذه الفئات مناطق السكن ومستوى التعليم ونوعيته وحق الحرية في الزواج والحقوق المدنية الأساسية ، بل يصل حتى تحديد نوع الحرف لكل فئة .

وتعود قصة الجنس الأبيض في جنوب أفريقيا إلى عام ١٦٥٢ ، عندما هبط أول ممثل لشركة الهند الشرقية الهولندية إلى هذه المنطقة الممتدة عبر رأس الرجاء الصالح ـ الممر البحري إلى الهند ـ حيث تملكه الشركة . وفي عام ١٦٥٧ سمحت لمجموعة من المواطنين الهولنديين بالشركة إلى المنطقة لتعمل لحسابهم الخاص . وتوالت مجموعات المستوطنين حتى وصل عددهم عام ١٦٨٨ إلى ٨٠٠ عائلة ، ومن هؤلاء انضم إلى المستوطنين الهولنديين مستوطنون من جنسيات أوروبية أخرى ، وبعد توقيع اتفاقية لندن ١٨١٤ ، تولت إنجلترا زمام الأمور في جنوب أفريقيا ، وبدأت بإحداث التغييرات على معظم الحياة ، فأنشئت مجالس تشريعية ومحكمة عليا ، واعتمدت اللغة الإنجليزية لغة رسمية ، وشجعت الإرساليات والهجرة من إنجلترا ، وشهدت الفترة من ١٨٩٩ وحتى ١٩٠٢ حروبا واضطرابات متتالية ، نشبت حرب بين إنجلترا والبوير (الاسم الذي أطلق على المستوطنين من أصول هولندية) . ثم تشكلت مستعمرات ، ونشأت تحالفات بين القبائل ، وتدفقت موجات كبيرة من الأوروبيين خصوصا بعد اكتشاف الماس . وفي عام ١٩١٠ أعلن اتحاد المستعمرات الأربع (ترنسفال ، ناتال ، الكاب ، أورانج) قيام اتحاد جنوب أفريقيا كدولة موحدة ، وإن المستعمرات

ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ و لا ى



الأربع هي مقاطعات تتمتع بنوع من الحكم الذاتي في إدارة شئونها الإدارية الداخلية . وفي عام ١٩٦١ أعلنت جمهورية افريقيا انسحابها من الكومنولث ، وفي مايو من العام نفسه صدر دستورها الجمهوري الجديد ، الذي نص فيه على تطبيق سياسة « الأبارتيد » وفي نوفمبر ١٩٦٢ أعلنت الأمم المتحدة مقاطعتها لنظام جنوب افريقيا ، وطالبت بقطع العلاقات الدبلوماسية والتجارية معه

ورغم أن الجماعات الافريقية الوطنية بدأت نضالها منذ سنوات بمقاومة السلبية ، إلا أن عنف السلطة من ارتكاب مجزرة « شاربفيل » في ٢١ مارس عام ١٩٦٠ ، التي ذهب ضحيتها مئات من القتلى ، وشهدت أوائل الستينات انبعاث الحركة الوطنية الافريقية بعد سنوات الكمون التي أعقبت اعتقال السلطة لقيادات حركة الكفاح المسلح عام ١٩٦٣ ، والحكم عليهم بالسجن مدى الحياة . وتعبر الأرقام التي أوردتها الأونسكو عن واقع حال السود والملونين في توضيح بيان على قوة سياسة التفرقة ، فنصيب السود ١٣٪ من الأراضي مقابل ٨٧٪ للبيض ، و ٢٠٪ من الدخل القومي مقابل ٨٠٪ للبيض ، وطبيب واحد لكل ٤٤ ألف شخص ، بينما للبيض طبيب لكل ٤٠٠ ، ومعلم لكل ٦٠ تلميذا مقابل معلم لكل ٢٠ تلميذا للبيض ، تحصل الضريبة على الدخل بدءا من ٣٦٠ راندا سنويا بالنسبة للسود ، بينما البيض تحصل ابتداء من ٧٥٠ راندا . وفي مواجهة تزايد القمع والسياسات اللاانسانية انفجرت حركات الغضب والمظاهرات ، ففي ابريل ١٩٦٣ اشترك أكثر من ٣٠٠ ألف افريقي في مظاهرات عنيفة . ثم في عامي ١٩٧٦ ، و ١٩٧٧ . وفي سبتمبر ١٩٨٠ تحولت المظاهرات إلى هجمات عنيفة على المنشآت الحكومية ، فدمر الثوار ٣ مصافي نفط حكومية ، وتعتبر هذه الانتفاضات التي اشتعلت في صيف هذا العام .

ورغم كل الادانات والمقاطعات الدولية المتكررة لايقاف تعسف سياسة الأبارتيد ، تصر السلطات الحكومية في جنوب افريقيا على أن هذا الأمر موضوع داخلي ليس من حق أحد التدخل فيه ، وأن اطلاق الرصاص على المتظاهرين ليس إلا اجراء حكوميا لقمع حركات الشغب ! .

قضية الحقوق السياسية للمرأة ما تزال فوق السطح ... بين مؤيد ومعارض .. وقد دخلت هذه القضية أخيرا مرحلة جديدة .. يمكن مناقشتها في ظل ديمقراطية الإسلام .. وحتى تصبح الأمة في أن يكون لها فرصة الاختيار .. وهو ما يناقشه هذا المقال .



منتدى العربي

قضية

خواطر انتخابية :

المرأة .. وديمقراطية الإسلام

بقلم : الدكتور حسان حتحوت

المتأمل في أرجاء عالمنا العربي وعالمنا الإسلامي لا يرى أن التطور استقرت على نسق واحد في الأخذ بهذا الشق من النظام البرلماني الانتخابي أو الديمقراطي .. فمنهم من تركه الثقة لموروثات متباينة بعضها على الأقل إسلامي الشكل ، ومنهم من أخذ به واعتبره كلمة تكفي للكذب أو صفة غير كاملة الصدق ، على تباين في ضمان النتيجة المرغوبة سلفا بوسائل مباشرة ، أو بسلسلة من الصيغ ذات الشروط المقننة ، والحيل المحسوبة التي تجعلها إلى أساليب البرلمان أقرب منها إلى التصرف الصادق والتعبير الصحيح عن رأي الأمة . ولكن منهم كذلك من يحاول الصدق الصحيح وينشد به المنشود أملا كثير يقضي عليه الرأي ، وحتى حلها طالب ارتكابه في حجم عشم كبير ومن أمثلة هذا النوع الأخير لا بد هنا أن نشير إلى الانتخابات الأخيرة في الكويت .. كان من بين المرشحين عنصر يعرف الجميع أنها إن دخلت البرلمان ستكون معارضة ناضجة بل صريحة ، ووضع الناس أعينهم ليروا كيف يكون التصرف . ودارت معركة انتخابية كانت سلاحها الأول المحاضرات والندوات يعقدها المرشحون في مقارهم الانتخابية في حرية للأصوات والاتجاهات . ولم تضع الحكومات والسلطات ضغطا ، وظهرت الظروف الملموسة والأموال المبذولة سلطانها في شراء الأصوات ، أما السلطة فوقفت على طول الخط في حياد عجيب .

ولست أغالي في أن أستعمل كلمة عجيب ، فإنه أمر عجيب في العالم العربي ، حتى أصلحت التجربة ، فكان بين من فاز المعارضون والمؤيدون ، والذين لا يحصلون على جاه أو حظوة أو عصبية . أقول هذا وأنا أعطي صورة نفسها ، فإذ أختار للناس أن يدرج في سلك الديمقراطيين ، ولكنني كمسلم أرى أن المقصود من النظام ، فضلاً عن أني أستطيع أن أجيز غيري الآخرين ، من لا يرون بعد أن شعوبهم قد استطاعت تلقي الديمقراطية الكاملة ، أو أنهم أنفسهم قد استعدوا لقبول رأي الأمة الحقيقي مهما كان هذا الرأي . . فقد عملتها الكويت ولم تندم عليها ، ولا أحسبها على المدى الطويل ستندم عليها أبداً إن شاء الله .

الشورى في الإسلام

ومهما قيل في النظام الديمقراطي من الناحية الإسلامية ، وهل هو يفي بالشورى التي أمر بها الإسلام ، وهل الشورى ملزمة أو غير ملزمة ، فمما لا أشك فيه بعد طول التفكير أنه الآن أوفى النظم بتحقيق مقاصد الإسلام في سياسة مجتمعاته ، الشرط الأوحد والأكبر الذي أصر عليه هو أن يكسى النظام على الإسلام ، ويلتزم به فيما حلل وحرم ، فلا يكون ديمقراطية منفلتة كديمقراطية الغرب التي تحسم مشاكل الأمور بأغلبية الأصوات فقط ، في طرفة أو عشية ما حلل الله وحرم ، فكأن كل ممثلي الكونجرس ، وقتلوا السلام وتردوا في المهالك . . ومهما قيل في تقدم الحضارة الغربية المعاصرة فإنها سائرة إلى دمار ولو بعد حين ، لا بسبب نظامها الديمقراطي ، ولكن لأن ديمقراطيتها انسلخت من القيم الإلهي ، وأهلها هم معذورون لأنهم محرومون ، أما نحن فلدينا بحمد الله إن اتبعناه واعتصمنا به .

وأعود في التاريخ إلى بداية الإسلام ثم إلى عصر الخلافة الراشدة ، ومن ذلك الموقع في الزمان والمكان أستطيع أن أمد بصري إلى المستقبل المتطور ، فيظهر لي أن لو أمة الإسلام واتباع رسالته كان سيمضي الأمة لو سارت الأمور سيرتها الصحيحة إلى تكامل مجلس إسلامي ربما كان كثير الشبه بالديمقراطية المعاصرة ، لولا أنه مؤمن لا ملحد . في البدء كان انتقال الأمر إلى يد أبي بكر ثم إلى يد عمر ثم إلى يد عثمان ثم إلى يد علي تم في كل مرة بطريقة مختلفة ، دليلاً للأمة على عدم وجود قالب واحد يجب عليها أن تلتزم به ، وأن للمسلمين أنفسهم الحق في المستقبل مفتوح لما أن تصل فيه إلى الصيغة التي تجدها مناسبة ، ولكن كانت هناك البيعة والشورى ، تعطيها أغلبية الأمة ، ولم تكن البيعة مطلقة أو مؤبدة ، بل كانت مشروطة بما عبر عنه أبو بكر بقوله : « أطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم » . وكان الحاكم يطالب الأمة أن ترده عن الخطأ إن تورط فيه وأن ترشده إلى الحق أن تسلكه ، فلم تعدم الأمة من يتعهد أن يقوم اعوجاج الحاكم ولو بحد السيف فرح الحاكم مستهلاً في عمر وقال لخطبه : لا خير فيكم إن لم تقولوها ولا خير فينا إن لم نسمعها ، وحمد الله على مثل تلك الرعية . أما الشورى فكانت إن بدأت وقفت على قواعد سليمة ولقيت له مطبقة ، وكان النبي عليه السلام يقبل النصح ويغير بمقتضاه رأيه إلا فيما أوحى به الله إليه ، وكان يشجع الحاكم من بعده أن يدعو الناس أن يشيروا عليه ، والناصح والمستشير جميعاً لا يبغون إلا وجه الله ، بل يؤكد حديث الرسول أن الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم وخاصتهم .

ضمانات الحكم

كانت تلك بواكير لو تمت نموها الطبيعي مع نماء الأمة واتساع رقعتها وتعقد أمورها لأفضت فيما أعتقد إلى نظام نيابي انتخابي سليم . ولكن هذه البداية في هذا المسار بالذات قد توقفت بل أجهضت في منتصف عهد الفتنة الكبرى ، وانتقال الحكم إلى معاوية ، ثم الطريقة التي أخذت بها البيعة لابنه يزيد . . ثم ما كان من خضوع الأمة في قبضة الديكتاتورية من يومها ذاك إلى يومنا هذا ، إلا فيما ندر من فترات قليلة مؤقتة ، لم تصحح من بعدها المسار أو تصوب النهج . وبينما تمتعت الأمة بانطلاقة أفراد الشعب في مجالات الفتوح والعلوم والفنون والثقافة والحضارة ، ظلت ضامرة قاصرة مقزمة بل مشوهة ، في المجال السياسي والدستوري ، والميزان بين سلطة الأمة وسلطة الحاكم .

لم تكن على رأس الأمة الخلفاء الراشدون كانت للخلافة طعم خاص . ولكن عندما عرفت الأمة حكاما ومارس بعضهم الظلم وولغوا فيه قطعا ، واستغلوا الحكم ملكا ونعمة وترفا ، وتصرفوا على أنهم سادة الأمة لا خدامها ، ووقعوا في الحرام بغير شبهة ، أصبحت تكون الحرص الأكبر الذي ينبغي أن تعلمه الأمة هو قضية الضمانات التي تحول بين الحكم وبين الانحراف ، ونشأة النظام الذي يكفل أن تكون البيعة حرة لا مشوبة بترغيب وترهيب ، وأن تختار الأمة من يمثلها في مراقبة الحاكم ، وأن من يملك أن يعطي البيعة يملك أن يسحبها إذا فقدت مصلحة الأمة ، وفي سهولة ويسر وفي غير عنف ولا سفك دم . كان هذا هو الحرص .. وللأسف الشديد إنه لا يزال هو الحرص .. هو أساس التعثر في يومنا الراهن . ومن أجل ذلك انتهت حضارة ثم انتكست . ومن أجل ذلك نحن الآن من دول العالم الثالث . ومن أجل ذلك نحن عقيلو الوزن قليلو الحيلة ضعيفو الأثر حتى في قضايانا المصيرية . ومن يومها إلى يومنا ظهر فقهاء الذين يتحدثون عن شرعية الحكم وعن صحة البيعة وعن نزاهة الانتخابات . ويفتون للحاكم بما يريد ، ويؤثرون الموضع القائم على الموضع الواجب ، على اعتبار أنه يحفظ دماء الأمة ويجنبها الفتنة ، ولا يرون بعد أن إلزام الشورى للحاكم ضمان حيوي وأساسي لمصالح أمة المسلمين . وظهرت آثار ذلك قديما وحديثا ، ومن النتائج الواضحة ما ظهر في الفترة الأخيرة من فجوة الثقة بين الشباب والعلماء ، ورغم حاجة الشباب الملحة إلى قيادة إسلامية واثقة خاضوا في كثير من المجالات أو بعدوها في الفقهاء ، وإن كانوا عزلا عن علم وخبرة ، ولعل في هذه الإجازة يمنحنا الله ويطلعنا على العودة ، ويأتي أن يتحقق فيه للأمة - حكاما ومحكومين - على الرغبة في الشفاء وتوخي العافية .

المرأة والترشيح والانتخاب

وثمة خاطرة أخرى أريد أن أتلوها في هذا المقام وهي قضية اشتراك النساء في الانتخابات نيابة ناخبات فقط ، ونيابة مرشحات وناخبات ، فليس الأمران واحدا .. وهو موضوع شرعه في معنى عمل حقق طويل تظاهره مشروعات السنين ، وربما حجبتني به الآن فتوى شرعية صدرت في الكويت منذ قريب بعدم شرعية اشتراك المرأة في الانتخابات البرلمانية مرشحة أو ناخبة . وأعلن أنني لست هنا على الإطلاق أرد على الفتوى أو أزمع تفنيدها . ولست من أهل التخصص في التصدي للاجتهاد الشرعي ، فضلا عن تقديري الكاملة في الأخوة أعضاء الهيئة العامة للفتوى بوزارة الأوقاف بالكويت ، وفي كفاءتهم العلمية ونزاهتهم الأخلاقية ، وأنا بعد منهم ومعهم على تلف في خندق واحد للدفاع عن الإسلام والذود عنه .

ولقد رأت اللجنة في غيبة النصوص الخاصة من الكتاب والسنة في هذا الموضوع أن تؤسس فتواها على الاجتهاد بقواعده وضوابطه المعروفة . فجزى الله أعضاءها خيرا ، ولهم من الله أجر أو أجران إن شاء الله . ونعلم أن من شروط الاجتهاد أنه لا ينقض بمثله ، ولكنه كذلك يمنع من اجتهاد جديد إذا تغير الموضوع ، أو استجدت ظروفه أو تبدلت الأحوال . أو أمنت مخاطر ، أو تعدلت تكييفات ، أو تطورت مصالح الناس بتطور ظروف العصر أو المصر . وهذا عمر رضي الله عنه في مسألة يقضي ، وبعد زمن يقضي في مسألة مشابهة بقضاء مخالف . فلما روجع في ذلك قال: تلك على ما قضينا وهذه على ما نقضي .

مكانة المرأة في الإسلام

لو طرحت صورة وحيدة وزعمت أنها وحدها الصواب ، لارتكبت خطأ يقع فيه للأسف الشديد كثير من عامة المسلمين وخاصتهم . فالحلال بين والحرام بين . ولكن الذي يفوت كثيرين من الناس أن رقعة الحلال واسعة .. وأن مساحة المباح كبيرة تسمح بحرية الحركة وحرية انتقاء البدائل واستنباطها حسبما يرى أهل الرأي أنه أكفل لمصلحة الأمة في يومها هذا وظرفها هذا غير ملتزم بظروف الماضي طريق الحاضر ولا مرتهن بظروف الحاضر أمام المستقبل .. وتلك هي ثمرة تعدد المذاهب .

بل أن يكون للشافعي مذهب في بغداد ثم مذهب في القاهرة ، فهناك فقه في القديم وفقه في الجديد . وعندئذ فليس علينا من بأس حين الانطلاق في حياتنا وعقيدتنا أن نتخطى ما قاله الغزالي وابن رشد مثلا بكل احترام وتوقير ، ولكن ليس بالضرورة بالتقديس الذي يجعله فيه حق زمان غير الزمان وظروف غير الظروف .

ونعود إلى مجتمع إسلامي افتراضي في عصرنا الحاضر أحاول أن أستقري ملامحه من أيام الإسلام الباكرة والناصعة ، ولكن بعد أربعة عشر قرنا من التطور السوي البشري ، بما أصابه الصيرورة من تكسيات أو تكيفات ، وانحسر كذلك من أخلاط العقائد والعادات الإقليمية والجغرافية التي أضفيت عليها صبغة الإسلام ، دون أن تكون بالضرورة من تعاليمه ، بل قد يكون منها ما يجافيه ويجانبه .

أما مكانة المرأة في الإسلام فيكفي أن نشير فيها إلى أن أول من أجاب الدعوة امرأة هي خديجة ، وأن أول شهيدة امرأة هي سمية أم عمار بن ياسر ، وأن من بين الصفوة المعروفة والمحفوظة التي احتفظت على سر المصحف هي حفصة بنت أبي بكر ، وأن أوامر الإسلام ونواهيه تتوجه إلى الرجال والنساء مشتركة ومعلومة ، وأن النساء شقائق الرجال ، وأن دور المرأة في مجتمع الإسلام الأول تواتر صدقه مركزها بحقيقة تفوق أن تكون سكنا وحضنا وممرضة ومربية (وهو ما لا يصلح له إلا المرأة) ولكنه يتسع حتى يكون للسلاح النسائي في جهاد النبي كله من شتباء (الأسيات) بل حتى إلى حمل السلاح والاشتراك في القتال كما فعلت نسيبة بنت كعب ، عندما تحرج موقف المسلمين في أحد فقاتلت بجدية الفرسان ، وحملت السلاح وقاتلت وأصيبت بالجراح واستدعى النبي عليه السلام بقوله : ما نظرت يمنة أو يسرة إلا ووجدتها دوني تقاتل عني ، وليت شعري ماذا كان يقول بعض المتشدقين اليوم عن امرأة مثلها في ظرف مماثل ؟ وقاتلتها نسيبة مرة أخرى بعد وفاة الرسول إذ اشتركت وأبلت بلاء في حرب مسيلمة الكذاب .. إننا نسمع من الصرخة الحديثة التي أصابت القوم في الغرب فجعلتهم يطالبون بالتماثل الكامل بين الرجل والمرأة ، فهذا في عرف الطبيعة محال .. ولكننا نتخطى ، كذلك الذين لا يرون في المرأة إلا مظاهر الأنوثة كما نتخطى ، الذين لا يرون في الرجل إلا مظاهر الرجولة .. وإنه ليحزننا أن قطاعات كبيرة من المسلمين ترى في المرأة عورة ودون الرجل وتختلف فيه بخلاف إسلامي . إن التماثل بين الرجل والمرأة محال ، ولكن التكافؤ مطلوب ، وتوزيع الأدوار من بديهيات الطبيعة ، في غير تقليص لحقوق أيهما ، وأداء كل منهما في خدمة المجتمع كل حسب استطاعته وعلى أساس فردي محض .

الدرجات المتفاوتة مشروعة

قد سمعت وأنا أقول إن الرجال قوامون على النساء ، قوامة لا أتجادل أسبابها ، بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ، وسمعنا وآمنا بتأصيل المنوه بها بشرعية الرجال عليهن ، ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة .. ولكن ليس لنا أن نتعسف في التأويل ، فالدرجات المتفاوتة مشروعة حتى بين رسل الله صلوات الله عليهم ، وتلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ، بل بين عامة المؤمنين قاطبة ، يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات .. لا درجة واحدة ..

نعم جعل الله القوامة للرجال فليس للنساء أن يحكمهم ، والحديث صريح : لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة ، ولكن هل ينطبق هذا على عملية الانتخاب واشتراك المرأة فيها ؟ من هذه القواعد الشرعية لا يمنع المرأة من أن تكون لها نفسها الأهلية المستقلة ، ولها أن تباشر بنفسها إدارة أموالها ، ولها أن ترفض الزواج من رجل يرغب أبوها أن يزوجها إياه على غير رغبتها ، ولها أن تتعلم وأن تعلم كما أوصى النبي أن نأخذ من عائشة ثلثه ، وكما أخذ الشافعي عن السيدة نفيسة ، بل أن تكون قاضية بين الناس في الخصومات ، وقد ورد في الأخبار التعيين المختار للموصلي أن عمر بن الخطاب ولى الشفاء بنت عبد الله المخزومية قضاء الحسبة ، وأجاز الحنفية قضاءها في غير الحدود (الهداية شرح بداية المبتدي للمرغيناني) .

ألم تناقش المرأة ولي الأمر (صلى الله عليه وسلم) بل وتجادله جدالا حتى في أمر التشريع ذاته، حين استفتته خولة بنت ثعلبة تشكو ظهار زوجها لها، مما يحرمها عليه في منطق الجاهلية، وتسأل النبي أن يجد لها رخصة، ويصمم النبي في انتظار شرع الله، فترجعه ثلاثة، لأنه ما فكر طلاقها، ولكنه عليه السلام يمسك، فترجعه قائلة إن لي صغارا إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إلي جاعوا.. ولكنه يمسك فتشكو إلى الله حتى ينزل الوحي بما يفرج كربها في قوله تعالى «قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله، والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير...».

أو ليست المهمة الأساسية للبرلمان أن يكون رقيبا على الحاكم، وأن ينوب عن الأمة في رده إلى الصواب إن جانبه؟ فلقد فعلت ذلك المرأة التي ردت عمر بن الخطاب حين خطب الناس يحرم عليهم المغالاة في المهور، فقالت ليس ذلك لك يا عمر فإن الله تعالى يقول «وآتيتم إحداهن قنطارا» فيقول في تواضع شجاع أصابت امرأة وأخطأ عمر..

نصف الأمة وفرصة الاختيار

والأمة تختار نوابها تحت مظلة الديمقراطية أيحرم نصف الأمة حتى من فرصة اختيار أشخاص من بين المرشحين للمجلس، وهم سيكونون وكلاءهم الأمناء. والأمة رجال ونساء؟ أبعد أن تحصلت المرأة بالتعليم لأعلى درجاته، وتسلمت مناصب الدولة من أول السلم حتى وكالة الوزارة، وأثبتت كفاءتها في مجالات العمل إدارة واقتصادا وكتابة وفكرا وتعليما وطبا، ومالا أعد ولا أحصي تقف الأنوثة حاجزا بينها وبين تجربة الإدلاء بصوتها الانتخابي، بدعوى أنها لن تعطيه مرشحيها لأننا لا نعطي النساء ولاية الأمر؟ ومن حكم البرلمان ينظر في أمور التشريع وهنا أمور تمس صميم مصالح الأسرة والطفولة بوجه عام. أفلا يثري النقاش ويقرب إلى الصواب أن تتكلم المرأة في هذا الموضوع؟ بقيت مسألة المحاذير التي يخشى المتخصصون الوقوع فيها، إن نحن فتحنا هذا الباب، ونحن معهم في خشيتهم، وإن كنا نرى أن الخوف منها قد لا يكون بالضرورة إغلاق هذا الباب بأكمله حتى بعد.

فإن التعرف الكامل على المرشحين في زمننا هذا لم يعد يلزم له المقابلة في الأخذ والعطاء، والسفر معهم ومرافقتهم، كما أوصى ابن رشد في زمانه، بل لم تعد تلزم له زيارة المقر الانتخابي والازدحام والاختلاط كما يحدث في يومنا هذا.. وفضلا عن المطبوعات التي توزع وما تنشره الصحف فإن في وسع جهاز التلفزيون الآن أن ينظم لقاءات للندوات الانتخابية، بل أن ينظم لكل مرشح فرصة موقوتة في أن يعرض مطالبه وأن يمكنه تلقي في الاستوديو ما يوجه إليه من الأسئلة تلفونيا وفوريا ليجيب عنها على الهواء مباشرة، فيسمعه الأمة رجالا في بيوتها ونساء في خدورها، وهو أمر يؤديه التلفزيون في بلاد أخرى، ولا أحسبه يعجز عنه في بلادنا خلال موسم الانتخابات كل بضعة أعوام، وقد أثرى من كثير مما يطلع به التلفزيون على الأمة، ويخرج به البيوت والأفكار. أما عملية الانتخاب فتجري بطبيعة الحال حين تكون لجان انتخابية خاصة باستقبالها النساء. ولا نظن شهود يوم انتخابي كل سنوات سيصرف المرأة عن واجباتها الأساسية، ربة دار وأم لطفل. وتفرغ بذلك فيما أعتقد حجة من خشي وزره.

فضلا عن المرأة إن كانت مرشحة؟ حيث دعوتها بالنشر أو بمقابلاتها لم تعد بالإمكان من وراء حجاب.. ولكن ماذا لو تكاتف جمهور النساء وتعصب للمرشحات، فأصبحت فرصها في أن تكون أغلبية البرلمان من النساء، فتكون هنالك حسبما الولاية لهن بحكم الأغلبية؟؟

فهي هنا يمكن تلافيها بتحديد نسبة محدودة من عدد المقاعد للنساء، يختارها أهل الحل والعقد في نطاق العدد الذي تظل معه الولاية بأيدي الرجال بحكم الأغلبية الرجالية والأقلية النسائية، التي لا تحرم النساء من حقهن في الشورى، دون أن تخرج التركيبة الرجالية العامة للبرلمان. فتلك الولاية للمجلس عامة وليست للعضو ذاته.

هذه خواطر أردت أن أشرحها موجزا بشأن هذا الموضوع لا ترتكز على العاطفة وحدها، وإنما أيضا على العقل والاحتياطات والحيطة اللازمة. □

حول مشكلات الحوار الثقافي

بقلم : عبد الرزاق البصير

إن الجانب الثقافي لأي أمة من الأمم أهمية بالغة لا تخفى على أحد ، إذ أنه هو الذي يرسم مكانة الأمة وقيمتها الحقيقية بين الأمم ، لأن الجانب الثقافي للأمة يعني نشاط مفكريها وأدبائها وعلمائها وفنانيها ، ومن المحقق أن إبراز هذا النشاط بصورة مشرقة ما تقوم به تلك الأمة من مشاركة في الحضارة الإنسانية ، ومن هنا يتبين معنى ما نشاهده في التاريخ الماضي والحاضر من تقدير الأمة لمن يبرز فيها من مفكريها في كل فن من الفنون ، وفي كل ميدان من ميادين العلوم النظرية والتطبيقية . ولهذا فليس من المبالغة في شيء إذا قلنا إن الحوار الثقافي بين العرب وأوروبا يكتسب أهمية كبرى ، ولهذا يحق لنا على كل من يتصدى للحديث عن هذه القضية أن يعطي صورة واضحة لقضاياها التي طرحت في تلك الندوة ، والاعتراضات والتعقيبات والشبهات التي برزت من قبل كل من المحاورين وهذا ما لم نلمسه في المقال الذي نشره الدكتور حسام الخطيب في مجلة العربي عدد (٢٢١) .

فإننا نجد سعادة الدكتور قد بدأ مقاله برأي يقول بأن الحوار الثقافي أيسر وأفضل من الحوار السياسي والاقتصادي ، وفي تقديري أن هذا رأي لا يوافق عليه إلا القليل من الناس ، لأنه يحتاج إلى توضيح أكثر ، فنحن نعلم أن الحوار السياسي يرتكز على قضايا تعتمد أكثر ما تعتمد على القوة ، لأن عالم السياسة وعالم الاقتصاد يرجح القوة في جميع الأحوال ، أما الجانب الثقافي فإنه يرجح المنطق والعقل والفن في تقديره .

ولا أدل على ذلك من أن المثقفين يقبلون على الأعمال الأدبية الرفيعة ، سواء كان مصدرها أمة صغيرة أو كبيرة ضعيفة كانت أو قوية . فكم من أديب مرموق وهو في الواقع ينتمي إلى أمة ضعيفة مستعمرة ، وكمثال على ذلك سنذكر أسماء بعض الأدباء الذين نالوا شهرة واسعة لأنهم قدموا أعمالا أدبية فرضت نفسها على من يقدر الفن والفكر ، كالأديب المعروف ، سانتوس جالهتي ، صاحب المسرحية المشهورة « سمك بلا خطم » وهو أديب جواتيمالي . فإنك حين تقرأ مسرحيته هذه لا يسعك إلا أن تكبره أعظم الإكبار ، إذ أنه عالج مشكلة قديمة تطرق لها الكثيرون من القصاصين ، وهي مع تلك التي تحدث لمن يطرأ عليه الغنى دفعة واحدة ، فيبقى على فطرته ، ولكن زوجته اجتذبتها الحياة المترفة ، ومن هذه المشكلة يعقد المؤلف هذه الحبكة التي تتحكم بأشخاصه ، ويجري بين شخصيات روايته حوارا ينم عن تمكنه ومقدرته .

وهذا هو الأديب اليوناني نيكوس كازانتزاكي ، الذي طبقت شهرته الآفاق ، والذي ترجمت رواياته إلى عديد من اللغات ، وقد نالت روايته من الرواج ما لم تنله روايات أخرى في السنوات الأخيرة ، وقد مثلت مسرحياته في فرنسا وألمانيا والسويد واليونان . وهو

أديب يوناني يمكننا أن نقول عن أمته بأنها أمة عبقرية . ثم يعد هنا في حياة السياسة مركز يعتني بأمسه . وإذا ما اتجهنا إلى الأمة العربية فإننا نجد فيها أدباء ترجمت بعض آثارهم الأدبية إلى عدة لغات ، كالدكتور طه حسين وتوفيق الحكيم والطيب الصالح .

فهل يمكن للمصنف بكتبهم أن تظفر هذه الأمة مع الأسف الشديد . وهل نحن في حاجة إلى القول بأن فئة كبيرة من أبناء الجزائر قد استمرت كتابة أدبية استعمارية بشكل تقدير يوم أن كانت الجزائر مستعمرة فرنسية .

بل نستطيع أن نقول إن الاهتمام بأثر أي أديب من الأدباء المثقفين المتخصصين لبحث لا يعني أن يكون ذلك الأديب ينتمي إلى أمة ما متفوقة السياسي أو الاقتصادي ، وإنما يعني لأن أثر ذلك الأديب تمني بأنه متمكن في فنه وقلمه ، بالإضافة إلى أنه يعالج قضايا إنسانية .

وإنه لما طالب الدكتور حسام الخطيب بأن يعطينا صورة متكاملة عن ذلك الحوار الثقافي ، إلا أنه اكتفى بأنه سيلخص الحجج الخصمية المعمومية خصيصة « الإسلام والغرب » في الحوار ... من ١٠ - ١٢/٩/١٩٨٤ وملتقى الحوار الحضاري العربي الأوروبي في ... المنعقدة في مدينة بغرناطة من ٦ - ٩/١١/١٩٨٤ ، ونحن نعرف أن الدكتور الخطيب كان منتقيا هذه ... من شر المسألة ... جوانب ما دار في الملتقيين . وهذا يحتم على كاتب المقالة أن يعطي القارئ العربي تلخيص مباشرة ... من تعقيبات على ما دار في الملتقيين ولكنه لم يفعل شيئا من ذلك .

والحق أنني لم أفهم ما الذي يقصده الدكتور كاتب المقالة من قوله « من الملاحظ أنه يجري التقرب من الحوار الثقافي في بدايته الأمر بحماسة شديدة ، وذلك نتيجة لوجود شعور عام بأنه يمكن أن يؤدي إلى (تطبيع) المناخ الثقافي بين « الشرق والغرب » لأن هذه الفكرة تعني بأن حوار الرأي بين المجتمعين ، وإنما يجري التقرب من الحوار ، والتقرب شيء والحوار شيء آخر كما لا يخفى . ويعلم أن الذي منع الدكتور من تلخيص ونتائج هذا الحوار لقوله من ... المقالة ... بطلان قوله في فترة طويلة ، لكن التطورات اللاحقة أظهرت سلسلة الصعوبات التي تعترض الحوار بوجه عام ، وتفسره لحوار الثقافي بمشكلات حساسة دينية وتاريخية وفكرية » .

وفي تصوري أن مجال الحوار مجال جد واسع ، طرح فيه بعض كتاب الغرب ما علق في أذهانهم من شبهات حول الإسلام ، وأن المفكرين المسلمين المحاورين معهم ردوا عليهم تلك الشبهات . ومن المحقق أن في تلخيص ذلك ثراء للعقل والمنطق ، بل إن في ذلك إفهاما لنا كيف يتصور الغرب الإسلام الحنيف ، وفي هذا ما فيه من فوائد جمة ، ثم إنني أعتقد بأن الحوار لا بد أن يكون قد شمل تصور مستوى الفكر والفن عندنا بصورة عامة في أذهان أولئك الغربيين المتحاورين . واستوقفني هنا ما نقل من قول الدكتور حسام الخطيب نفسه « ويجدر بالذكر هنا أنه نشأت خلال بضع السنوات الماضية مؤسسات كثيرة بعضها رسمي وبعضها من صنع ... ، مهمتها تطوير ... ويمكن أن نعد كل هذه المؤتمرات والاجتماعات إلا ... كل ميادين الثقافة ، وهي في تطور متعدد واسع » . وفي تقديري أن الدكتور كاتب المقال يملك شكا قويا في جدوى هذا الحوار لأنه يجعله يتساءل قائلا « ... معظم الذين يتحاورون الغربيين (من موقع أفكار شرقية) هم من المثقفين الذين تعلموا وتكونوا ثقافيا في الغرب ؟ وكثيرون منهم يفكرون برموزه ولغته ويترجمون إلى العربية » ويعني هذا القول بأن الذين ذهبوا إلى المشاركة في الحوار ليسوا مؤهلين للقيام بهذا العمل ، لأنهم تعلموا وتكونوا ثقافيا في الغرب ، والكثير منهم يفكرون برموزه ولغته ويترجمون إلى العربية .

وأعتقد أن من حقنا أن نسأل عن كيفية ذهاب المشاركين من العرب في الحوار . هل كانوا متبرعين بأنفسهم دون أن يطلب منهم أحد ذلك ؟ أم أنهم مختارون من قبل حكوماتهم ومؤسساتهم التي تعرف أنهم يمثلون رصيدا ثقافيا عربيا إسلاميا يجعلهم يفكرون تفكيرا عربيا إسلاميا ؟ وإلا فإنها نكبة ما بعدها نكبة . وهل لو وجد أنه أعظم علينا من أن يذهب منا أناس للحوار مع الغربيين وهم يفكرون بلغة غربية ؟

وبعد فإن هذه ملاحظات بدت لي عندما قرأت مقال الدكتور حسام الخطيب ، ورأيت أن أنشرها لأسمع رأيه فيها ، لما للمقالة من أهمية كبيرة . □





هل تمنيت يوماً أن تعيش على الفطرة بين الأدغال ؟ .. وأن تشارك القبائل البدائية حياتها وهي تطارد فرائسها بالسهام المسمومة تنفخها بالفم من تجويف قصبة البامبو ؟ !

وهل جربت أن تنام وعيناك مفتوحتان على « جماجم » بشرية تتراقص على جدران الكوخ الذي تقضي فيه ليلتك ؟ ! وهل خطر ببالك أن تشهد بالعين والصورة مدى التفاوت بين جيل الأجداد الذين قدسوا أرواح الجبال والأشجار والأسلاف ورقصوا شبه عراة في ملابس لا تكاد تغطي أسفل الجسد ، وبين جيل الأبناء الذين تحولوا بين مختلف العقائد والديانات وارتدوا الجينز والقميص المشجر ، وانطلقوا من معيشتهم البدائية والوحشية إلى قمة الحضارة والمدنية ؟

إذن .. تعال معنا ونحن نعيش وسط القبائل البدائية ونخترق الأدغال .. في أعماق « صباح » .

لم يجمع شتات من الصينيين ، لم يكن أحد يعرف شيئاً عن « بورنيو » .

تقع الجزيرة الضخمة التي تقع في قلب بحر الصين الجنوبي إلى جنوب شرق آسيا .. كثالث أكبر جزر العالم . ويحيط بها من الشمال الفلبين ، ومن الشمال الغربي شبه جزيرة الملايو وسنغافورة ، ومن جنوبها اندونيسيا بجزرها الرئيسية سومطرة وجاوة وبالي ، ومن الشمال الشرقي أرخبيل الفلبين ..

وحدهم التجار الصينيون الذين كانوا يخوضون بسفنهم أمواج المحيط الهادئ وبحر الصين الجنوبي .. هم الذين رسوا على الشواطئ الشمالية ، ولكنهم لم يكونوا يجرؤون أكثر من أنهم - في سبيل الحصول على الأحجار الكريمة والريش الذهبي وأعشاش الطيور - لجأوا إلى مقايضة تلك الأصناف ، يتبادلون مع رجال القبائل الذين لا يكادون يتمون عملية المقايضة التجارية معهم ، حتى ينطلقوا هاربين إلى أعماق الغابات حيث يختفون في الأحراش الكثيفة التي لا تعرفها الشمس .

وحين جاء المستعمرون الأوروبيون وأقاموا لأنفسهم مستعمرات على السهول الساحلية . لم يجرؤوا لديهم جرأة قط ليخترقوا أعماق الغابات ، ولم يستطع رجالهم سوى أن ينسجوا من خيالهم قصصاً وأساطير عن أهوال من صيادي الرؤوس المتوحشين الذين يقيمون في الأدغال .. ولكن حكاياتهم - وإن كان في بعضها شيء من الحقيقة - إلا أنها في أغلبها كانت مجرد خيالات وأوهام .. !

دولة من أعماق المجهول

من خلال هيئة الخصوص وتلك التحولات .. انبثقت دولة صباح بعد أن تخلت عن اسمها « بورنيو الشمالية » الذي أطلقته عليها شركة شمال بورنيو الاستعمارية .. التي راحت تتوسع في أراضي سلطنة بروناي وتسلخ منها بالقوة أجزاء كبيرة من سلطنتها في ظل الحماية البريطانية التي فرضت على مقدرات السلطنة ..

كان إعلان قيام دولة صباح - التي تحتل كل الإقليم الواقع في منطقة الشمال من جزيرة بورنيو - مع بداية الانسحاب البريطاني عام

١٩٦٣ . واحتلت الدولة الجديدة مساحة من الأرض بلغت حوالي ٧٤ ألف كيلومتر مربع ، في الوقت الذي كانت جارتها سراواك قد ضمت المنطقة الشمالية الغربية على مساحة تصل إلى ١٢٥ ألف كيلومتر . وليشغلا معا بعد دخولهما في نطاق اتحاد ماليزيا الفيدرالي حوالي ثلث مساحة جزيرة بورنيو .. وأكثر من مساحة ماليزيا الغربية بولاياتها الاحدى عشرة في شبه جزيرة الملايو ..

وحين أخذنا وجهتنا إلى « صباح » كان أقصى ما نعرفه عنها أنها مثل بقية الجزر متداخل من أبدانه في لغته .. وأنها « بلاد ما تحت الريح » وهو وصف أطلق عليها لأنها محمية بوصلة الجزر الاستوائية المجاورة من الرياح والتيارات الهوائية ، حيث تطل سواحلها على بحر الصين الجنوبي .. الموائمة بالأسماك والأعشاب النباتية الاستوائية المزدهية .

وتتلون أجواؤها بزهور وفراشات وطيور نادرة زاهية الألوان بأجنحة الفتنة والجمال .. كما عرفنا أن في الأعماق منها تلمس ترغيب كيفية الاكتشاف المتعة النفسية ، بفضل متفرقات الأنهار والجداول والمجاري المائية والمستنقعات ، وكل ذلك يجعل الاتصال بين أنحائها مقصورا على القوارب ذات المجاديف التي ترقى بعضها إلى قوارب بخارية ، ويجعل مساكن قاطنيها منتشرة في مجموعات من الأكواخ يطلق على بعضها اسم « البيوت الطويلة » وعلى البعض الآخر اسم « القرى المائية » .

غير أن الصورة الحقيقية لطبيعة حياة الشعب في أعماق الأدغال ، لم يكن من الممكن أن ندركها تماما إلا بعد أن أتيحت لنا الفرصة لاختراقها . وبعد أن قمنا بزيارة العاصمة « كوتاكينابالو » وما يحيط بها من مدن . حيث شهدنا مظاهر التقدم والتطور الفني بحيث التأسس في المدينة الحديثة .. ووقفنا على المعالم البارزة التي استقطبت سكان الأدغال وأخذت بيدهم على مدى سنوات قليلة . ليطلقوا على طريق الحضارة والمدنية ..

كوتاكينابالو :

كان هذا هو أول ما لمسناه منذ لحظة هبوطنا في مطار « كوتاكينابالو » . عاصمة صباح . لأول وهلة . يتضح في الطريق من المطار إلى مكان إقامتنا ، وطبعت في أذهاننا تلك الصورة المشرقة لمدينة حديثة في عمرها والثقافة والأناقة . تبدو كأنها في بيئة

شعبا ، فضمت جهودها مع مدينة يطلقون على سكانها عشر في المائة والأجانب .. وبالتعب منه تصورة عن جبالها التعمق نزلت الجبل منتصب عبر إلى شكل حصن . تمثل اسمه جونز كنتوج كرو .

لا تحتمل هذه الوصيفة .. فالتنبيه لم يكن حتى شيء بسيطا يستفيد المرء من المستكشفين العلميين .. فقد شهد صعوده ليكون طريقا سهلا لراحة ثلاثة قرن من المشاهدين وصعودهم مع أسرهم ولم الجهد بالإضافة إلى ٤٢٨ مستولا من قمة كينابالو .

هنا .. في هذا المتحف الرائع ، والذي يقع إلى الجنوب على بعد خمسة أميال شرقي المدينة ، أول ملامح الاتحاد الفيدرالي الماليزي حيث عقد مؤتمر حكام الولايات الذي عقد في أكتوبر ١٩٦٣ .. فكانت أول حديقة بولوتنا في المجمع الملكي الذي يمتد على مساحة ١٤ هكتارا من الأراضي المرتفعة على أعلى قمة من شاطئ خليج كوتاكينابالو ، ويقسم على أساس أنه تتوافر فيه المساحة الخضراء الملائمة .. والحديقة التي يمشي معها الفلاح وهم يطلون من شرفات عريضة على مشهد الشاطئ ، بحرية التي تشكل حدائق خضراء رائعة تمتد على صفحة الرمال البيضاء ، وتتوسطها مجموعات سياحية ذات أشكال دائرية تحيط بها شاليهات من أحجار صممت على تحمل الحرارة والرطوبة .

وجدنا جولتنا في كوتاكينابالو ..

المدينة كانت تحمل من قبل اسما آخر ، وتسميته حولها الصيادون والمهاجرون ... وحد فيها تعرجات ذلك من عهد قديم ... وكانت كلها محروقة فاحترقت مرة أخرى لتنهض من جديد .. ولعل ما تعرضت له هو مكانتها في ستين سنة على خليج جميل حملت اسم « لين » في « جيسلتون » أو « أبي المدينة » . فقد كانت القراصنة وعصابات التهريب شمال بورنيو قد اتخذوا من الشعاب المتجمعة بين الجزر المرجانية الصغيرة القريبة من السواحل ملاجئ لهم ، بعيدا عن أعين الشرطة ومستودعات للتخزين ما يستولون عليه في أثناء غاراتهم ، وعندما أرادوا التخلص من القوارب والسفن القديمة ومحتويات المستودعات المنهوبة ، راحوا يحرقونها في ملاجئهم المجاورة . أشعلوا النار في المساكن والبيوت والأكواخ والمستودعات .. فكانت الشعلة التي أطلقت على المدينة منذ ذلك الحريق الكبير ..

ومرة أخرى تنهض المدينة من جديد تحت اسم « سنداكان » حين أراد المستعمرون الانجليز أن

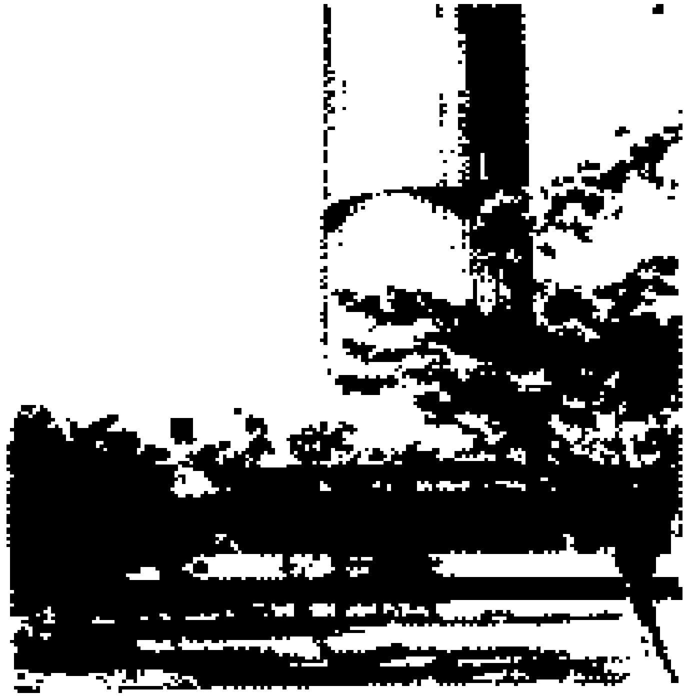


■ العاصمة كوالالمبور الحديثة المتجددة التي دمرت أكثر من ست مرات لتعود كل مرة في ثوب جديد وباسم جديد



● في [illegible] صباح وقرية من قبائل تعيش في الأدغال
[illegible] و
[illegible] البيوت الخشبية التي سكنتها القبائل في قلب الغابة الخضراء
● وفي الوسط ، ثلاث جماعات من الأكواخ التي تتلاءم لاحتياجات [illegible] [illegible] وفي الصور [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
و [illegible] [illegible] الأوروبية





● برج بابا صبحي [illegible] رابع برج عكري في المدينة [illegible] وهو يحتفظ بكل التحصينات القديمة وتحيطه نصب [illegible] خشبية [illegible] تلعب دورا في المستقبل



يقيمون مستوطنة لهم على الشاطيء لتكون مركزا لتجارتهم وقلاعا لبضائعهم .

ولكن خلال الثورة الوطنية التي قادها الزعيم محمد صالح ضد الانجليز تم تدمير المنطقة كلها عام ١٨٩٧ . ومن جديد أقامت شركة بورنيو الشمالية البريطانية مدينة في نفس المكان ، وأطلقوا عليها اسم « جيسلتون » نسبة الى رئيسها تشارلز جيسيل ، وصارت ميناء تجاريا عظيما يحظى بأهمية كبيرة أطلقت اليابانيين الى ضربها وتدميرها عام ١٩٤٥ خلال الحرب العظمى الثانية بقنابلهم .

ومن انقاض المدينة التي دمرها القصف لأكثر من مرة ، قامت عاصمة صباح الحديثة بتخطيط عصري يحتوي على مساحة من الأرض تبلغ ٣٥ ألف هكتار ، ويعيش فيها سكانها الى ١١٣ ألف نسمة ، وتزداد مساحتها مع امتداد العمران على جنباتها ودخول القرى المجاورة في نطاقها . . ويمتد في هذه المدينة كوتاكينابالو سهل في جبل كينابالو العظيم الذي يشرف عليها من الجنوب . . بينما يمتد حتى امتداد البصر ذلك الشاطيء الفضي الرائع الذي تداعبه الأمواج بلطف ، وذلك الأفق الصافي الذي لا يقطعه سوى مشهد الجزر المرجانية الصغيرة والشمس تنحدر نحو الغروب .

القرى المائية :

تشتهر كوتاكينابالو بأنها تتكون أكثر من قرية مائية يزدحم بالسكان في صباح .

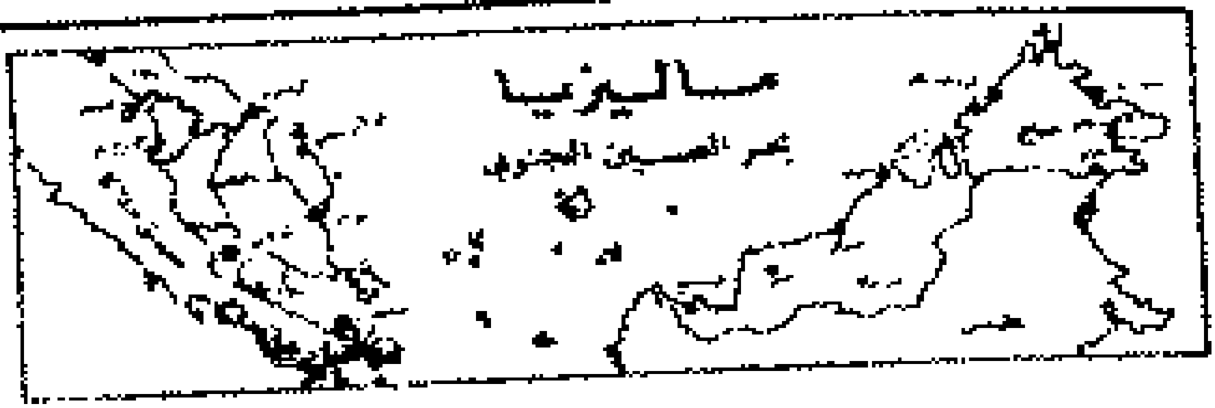
تشبه القرى هذه مدنا عائمة ، يبحر القارب وسطها كيلومترات ، ولا تكاد تنتهي منه أي وقت حتى تجد قرية أخرى متصلة بها أو قريبة في مواجهتها ، وهي مكونة من المنازل الخشبية المقامة على أعمدة خشبية مثبتة في قاع البحر ، ويربط بين تلك المجموعة المتنوعة من المنازل ممرات خشبية وجسور . . بينما يتنقل أهلها بين مجموعات البيوت المتفرقة في جزء من مساحة الماء .

وفي وقت الأصيل تنطلق القوارب والسفن الصغيرة بالصيادين العائدين من رحلة البحر ، والأطفال يلعبون على الجسور . . ويسعى الناس الى منازلهم ، ويحلون في مشهد الغروب في سوق المدينة حيث ينشط الأهالي مساء كل يوم . . ويبيعون الخضر والفاكهة والأسماك في أماكن مخصصة لها على الجانبين .

وتحت سقف الفن تعيش كوتاكينابالو سمعة طيبة كل البعد عن الأبهة والأضواء والصخب التي تزخر به مدن مثل هونج كونج وسنغافورة . . فلا تسمع هناك غير قرقعة الكؤوس أو الجلوس على المقاهي المنتشرة في كل ركن من أركان الشوارع . وتنطلق هناك حركة تجارية تعمل الحكومة في تطويرها ، والسياح يجدون المدينة وهي في طريق تحولها الى واحدة من المراكز التجارية . وقد تتذكر هنا أن هناك بعض النواحي الطبيعية التي تمتد فيها حول العاصمة وغابات الغابات التي تغطيها أشجار عالية . . . أو مغارات مطلة على شواطيء تمتد ليلا على مشارف المدينة . . أما القرية الثالثة التي تحتل مساحة كبيرة على ضفة النهر حيث تعيش مجموعة من الأسر الصينية . . فقد كانت تلك يوم في بعيد عن كل مظاهر المنطقة قبل أن تقوم المدينة ، وهي ما تزال تعيش بقيم وتقاليد قديمة ، فهم كبيرا يستعملونها حتى الآن ويستخدمون الخيول في زراعة الأرز ويكون عدد منهم قليلا جدا في منطقة الزراعة .

أما أهل الكادازان وهم أصل السكان من الجنوب والشرق يشكلون ثلث سكان صباح . . وفي المناسبات الكبيرة مثل ذكرى العيد الوطني أو مهرجان الحصاد ، فإنهم يرتدون أزياءهم الوطنية ويشاركون في احتفالات محلية حيث يقيمون الولائم والحفلات ويعرضون في ذلك الاحتفال الرقصات الشعبية والألعاب التي يحرص عليها الجميع .

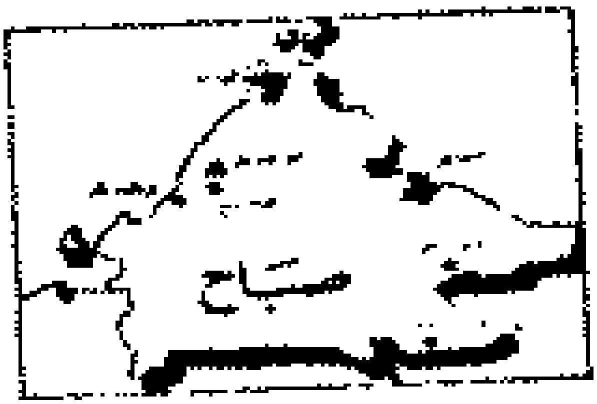
وقد كان الصينيون يشكلون ثقلا اقتصاديا مهما بين السكان منذ حكم البريطانيين . وبعد أن استطاعت الحكومة الوطنية الاعتماد على الأهالي والتنمية ، دخل الصينيون الى هذه الصناعة وأصبحوا من أبرز العاملين في هذا الميدان . وقد عمل الصينيون على التجمع في مناطق معينة وتكوين مجتمعات منفصلة عن الآخرين ، وتكونت مدارسهم الخاصة بهم ومدارس لتعليم أبنائهم ومعابدهم الخاصة ، واحتفالاتهم ومناسباتهم ، وما زالوا حتى الآن يحتفظون بتقاليدهم ويشاركون في المناصب الرئيسية وعضوية المجلس التشريعي ويسهمون في مختلف الأنشطة الاقتصادية والسياسية والمؤسسات المهمة .



أضخم برج دائري :

لا يسعك وأنت تسير في شوارع كوتاكينابالو إلا أن تلفت نظرك تلك « برج يايسان » رابع أضخم برج دائري في العالم . البرج هو المقر الرئيسي لمؤسسة [illegible] . وهو ليس برجاً عالياً على ساق يحمل في أعلاه كرة أو صحيفة دائرية كما هو معروف عن أبراج أشهر مدن العالم ، ولكنه بناء متكامل من أسفله إلى قمته يقوم على مساحة من الأرض تبلغ حوالي ٢٧ ألف متر مربع ، ويضم البرج [illegible] واجهات [illegible] عددها ٧٢ واجهة تمتد [illegible] من أسفله إلى أعلاه . والجدران كلها من الزجاج [illegible] الحرارة والبرودة [illegible] رياح تبلغ ١٣٠ ميلاً في الساعة ، وعدد الألواح الزجاجية يبلغ ١٦٦٠ لوحاً . والبرج [illegible] وهو [illegible] على قمته [illegible] محمولة على ٢٦ عموداً [illegible] ثلاثين طبقة . [illegible] دائرية يدور على المحور الرئيسي [illegible] مكتب رئيس الوزراء [illegible] . وفي الأيام التي تصفو فيها السماء فإن الجدران الزجاجية للبرج تعكس صورة جبل كينابالو العظيم ، بينما في الأيام الغائمة تعكس الألوان [illegible] من الفجر حتى الغروب .

وعند بدء إنشاء برج يايسان عام ١٩٦٦ وهو [illegible] دوراً متميزاً في حياة [illegible] في صباح . ففي طبقاته الثلاثين توجد وزارات الدولة [illegible] العامة والإدارات التي تعمل من أجل التقدم والتطور العلمي والتقني والحضاري والتعليمي والاجتماعي والاقتصادي .



خريطة تبين موقع صباح بالنسبة لجزيرة بورنيو وشبه جزيرة الملايو (ماليزيا الغربية)

ويشتمل على كل ما يحتاج من التسهيلات والخدمات لأبناء الشعب [illegible] مدير الإعلام [illegible] رئيس الوزراء في الطابق الثلاثين [illegible] الذي [illegible] .

ـ إن المحور الرئيسي هو تأكيد التطورات الاقتصادية والتنموية التي تجري لصالح شعب صباح مع التوسع [illegible] في الأنشطة التي تخص [illegible] الجهود [illegible] في تطوير الدولة ، وبالإضافة إلى ذلك فهو يضم مركزاً للمعارض الفنية والثقافية [illegible] الدولة ومكتبة عامة ومركزاً للبحوث مزوداً بكل أجهزة البحث العلمي والمواصلات اللاسلكية لتتيح الاتصال بجميع مراكز البحوث في مختلف أنحاء العالم .

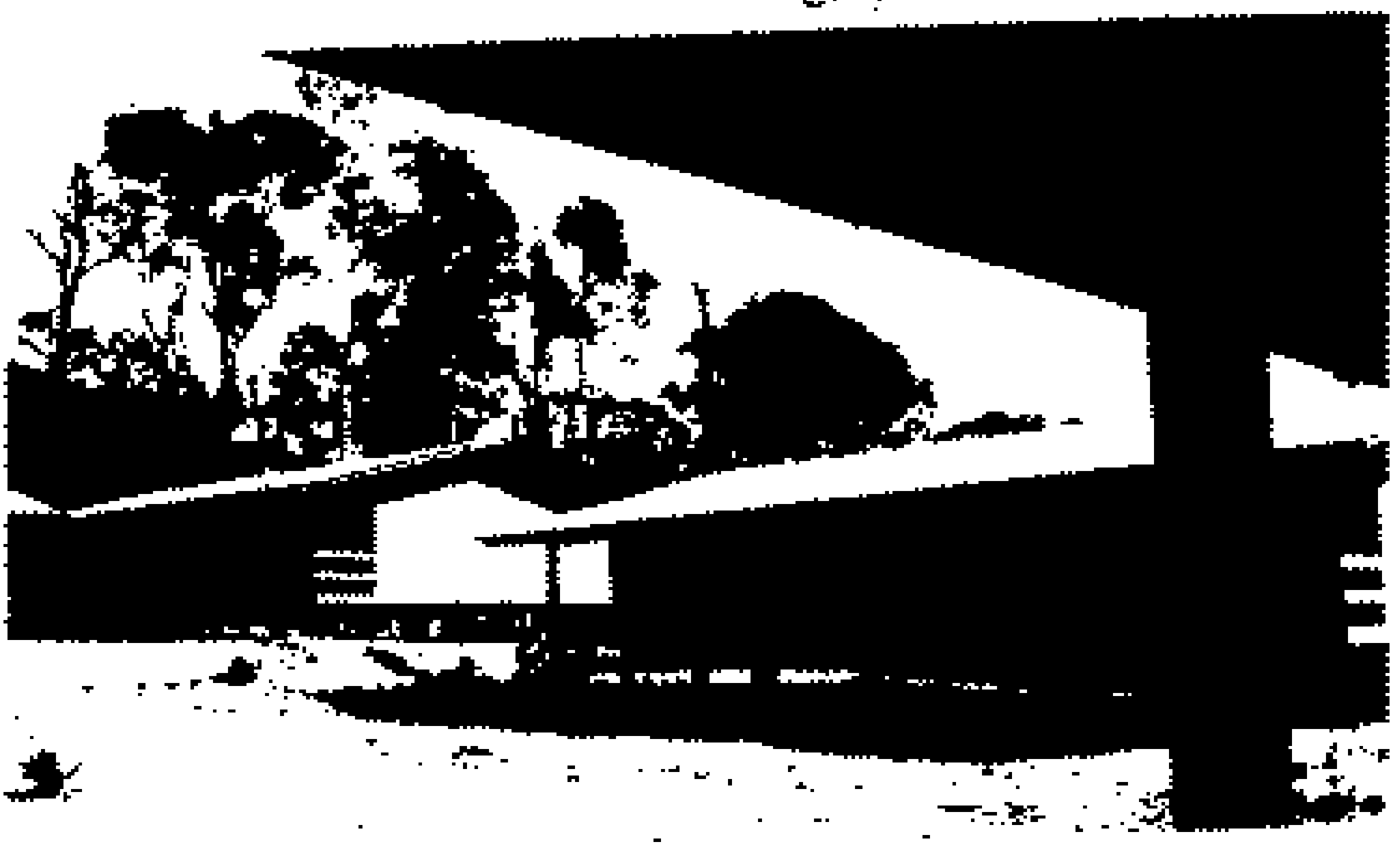
وأشار مدير الإعلام من فوق قمة البرج إلى مجموعة من المباني [illegible] على مساحة [illegible] الأرض [illegible] :

هذه تشكل جامعة مارا للتكنولوجيا على مساحة





● الصعود الى منابع النيل في الطريق الى الشوق ... والسلال المليئة بالفاكهة والخضروات تقدم للضيوف ... وهي (الشوق) وجه معبر عن الأصول التلاوية في صباح .



● هنا .. مركز تجنيد الشبان .. حيث أصبحت وسيلة للعلاج .. بالاقتراب من الله ..

... ٣٠٠ سنتيمتر وتكلفت حتى الآن حوالي خمسة ملايين من الدولارات وهي تستوعب حوالي ألفي طالب . ومن هنا ينبثق الإشراف على التعليم في الولاية حيث المجانية في جميع المراحل بالمجان وتوزيع الملابس والأحذية والكتب المدرسية والأجهزة العلمية مع الرعاية الصحية والغذائية والنقل اليومي.

مسجد الدولة :

ولعل من أبرز معالم العاصمة بعد المسجد الوطني الكبير هو المنشآت الصحية والخدمة الطبية التي يعطونها للأهالي والجمهور . وقد أنشىء المسجد في عهد رئيس الوزراء الأسبق داتو حاج مصطفى هارون وافتتحه ملك ماليزيا يحيى بترا بن السلطان ابراهيم يوم ٢٨ مايو ١٩٧٧ . قاعة الصلاة في الطابق الثاني فسيحة حيث تعلوه القبة الرئيسية على خمسة من الأعمدة ... وفي جوانب قاعة الصلوات في مواقعها تعقد فصول تلقى فيها دروس القرآن والتجويد والأحاديث واللغة العربية . وهناك قسم خاص للنساء يطل على صحن الصلاة حيث يستطعن متابعة ... التي ... وهي ... الصلاة ثم يشاركن في الاستماع إلى الدروس الدينية والأحاديث من ... في الطابق الأول بالإضافة إلى ... الخاصة بالمحاضرات.

جبال كينا بالو .

من يزور صباح لابد له من رحلة إلى جبال كينا بالو . المسيرة بالسيارة تقطع بك طريقا طوله ١٢٠ كيلومترا وكأنه ثعبان ضخم على سطح الجبل حتى يصل إلى المتنزه الوطني على ارتفاع حوالي ١٧٠٠ متر فوق سطح البحر ... على جانبي الطريق وقرب القرى التي تعيش فيها قبائل الكادازان والدوسون تشاهد قوافل الأطفال والبالغات ... والأكواخ الخشبية على ... ترتفع على سطح ... إلى ... وسائل ... في سلال كبيرة مربوطة ... في ... الخضراء ... ثمارا ... وتنمو ... من الخضروات والفاكهة ... إلى سوق القرية أو ... المقامة على جانب الطريقة ...

على طريق الصعود ... على طول الطريق تتنوع أسواق الكادازان حيث تعرض النساء أصنافا من الأقمشة والسلال . والبائعات في السوق لا يجلسن بجانب في بعض الأحيان من ترك الفاكهة والخضروات وإلى جوارها صندوق صغير للنقود ، تركت لمن اشترى وضع القيمة لأمانة المشتري .

ويصل إلى المتنزه الوطني حيث يتجمع المرشدون والاستعداد للصعود على طريق القمة

الصعود إلى القمة يبدأ على دروب ضيقة صاعدة على درجات من جذوع الأشجار تمتد تحت ظلال الغابة الخضراء على التلال ...

يقوم جبل كينابالو بارتفاع ٤١٠٠ متر ... ويعد أعلى القمم في جنوب شرق آسيا .. حيث ... وجهات ... ولاية صباح ، ... على طول البلاد وتسمع ... من كل مكان.

ويعد ... القمة الصخرية ... في الصخور المحيطة ... وهم يسمون هذه القمة ... العربي ... ويتميز ... القمة ... على ... المتنزه الوطني.

مواطن أرواح الأسلاف :

تعتقد قبائل الكادازان والدوسون بأن هذا الجبل العظيم هو موطن أرواح الأسلاف ولذلك فإن اسمه مشتق من كلمة «أكي نابالو» وهي تعني «مكان الخلود للموتى».

ولا يزال البعض يؤكد أن أرواح الأسلاف تعيش بمنازلهم وتحوم حولها قبل أن تنطلق في رحلة الخلود وراء قمة جبل كينابالو .. ويرتفع صراخ الصبيان في الطرق ... في جنازة ... كأنها تطلب من الروح الانصراف بسرعة من القرية فلا تسبب إزعاجا للأهل . ومن ... ذكر ... قبل ... الرحلة ..

كما في مواسم الحصاد فيحتفل [illegible] بعيداً كبيراً يقوم الكهنة بتقديم القرابين لتقديم الشكر لروح الإله الذي غمرهم بالبركة والرزق الوفير .

في ساحة العروس في يوم العيد يوضع صنم خشبي كأنه قادم من السماء . تحيط به النساء من كل جانب والأطفال والتراتيل التي توجهها للكاهنات العذارى وعن يمين الإله الخالق « كبو » يجلس « ... » عشرات تحرسه « ... » حتى لا تهرب الشياطين من الجموع . وكي يستعد الكهنة فإن الإله يدعو لتحتفي به قريته حيث ابنة الإله التي تركها فوق الأرض وجعلت زوجها في سماء « ... » ، كي ... الشعب ... وفيرا ... ، في أنحاء البلاد ... وتبتهل الأرض والأشجار والقطعان والطيور وتطلب القرابين حول النبع في احتفال يبيح يباركه الجميع حتى تشيع روح الإله ... الأرض من ... من أجل ... وغير

العروس تحولت إلى صخرة :

إن الزائر ... جبال كيليمانجارو ... في عام ١٨٤٩ كان « ... » ... في صخرة الزواج ... ولقد أطلق اسمه على ... في ... بالرغم أن ... تعيش في ...

وهناك قصة تروى عن ... . وترتبط ... إلى ... والمتاعب ... ومن ... « ... » ... « العروس » ويقال إن أحد الأمراء ... بحثا عن ... وبعد أن ... الأمير ... الكلاب . ... ويقال إن العروس كانت تصعد إلى ... الجبل حيث تبكي وتنوح على زوجها الذي فقدته وقد ظلت كذلك حتى تحولت إلى صخرة .

إن الزهور المعروفة في ... من نباتات جبل كيليمانجارو ... أكثر من ... الأوركيد ... وهناك ... ولعل شهرة كيليمانجارو ... من ... الأوركيد إلى ... وعلى سفوح الجبل ... بالوانها الزاهية ...

الأحمر والأبيض . وعلى سفوح كيليمانجارو ... من الغابات ... في كل ... في ... مكان في البلاد .

أما ... [illegible] ... على ... الأشجار ... ... على ... ... على حتى ...

مركز تحسين الماشية

[illegible] ... في ... ويعيش في ... ...

... ... [illegible]

... ... [illegible]

... ... حول ... ... [illegible]

... ... [illegible]







● تضطر بعضهن
إلى الخروج إلى
[illegible] والأم
[illegible] على
[illegible]
[illegible] الغذائية
[illegible]
[illegible] السوق
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]



حتى يصبح عاقلا في تصرفاته ، فيتولى المركز بعد ذلك رعايته ومتابعته لفترة محدودة ، مع إتاحة فرصة العمل المناسب له حتى يطمئن إلى أنه قد برئ تماما من الإدمان القديم.

شاي صباح :

نعود مرة أخرى إلى الانطلاق على سفح الجبل منحدرين إلى قرية برنام ..

هنا نشهد تجربة مثيرة أخرى .. وهي تجربة مصانع «شاي صباح» . التجربة بدأت قبل حوالي أربعة أعوام فقط حين التقى رئيس الوزراء داتو هاريس محمد صالح مع أحد المهندسين الزراعيين المتخصصين في مصانع الشاي بسيريلانكا . كان المشروع [illegible] عرضه على المهندس هو إمكان زراعة الشاي وتصنيعه في صباح . ويقول الأخصائي إن هناك ظروفا طبيعية ومناخية متشابهة بين مناطق زراعة الشاي في سيلان وبين بعض مناطق صباح . وتم التعاقد على تنفيذ التجربة .. وجرى استصلاح مساحة كبيرة من أرض الغابة بعد إزالة أشجارها في منطقة برنام .. وبذل جهد كبير يفرضه مدير الزراعة السيلاني لتدريب عدد من المحليين ومساعديهم بطريقة تجعلهم في العمل .. وبذلت أقصى المحاولات من أجل إنجاح المشروع . وكان وراء هذا النجاح خبرة فنية كبيرة وإصرار مشترك في التضحية والبذل لا يقدر عليه الكثيرون . وجرى تمهيد الأرض وزراعتها بينما كانت الآلات تستورد لإقامة المصنع .. وبدأ العمل الإنتاجي بالفعل بعد سنتين .. وكانت النتيجة رائعة .. وبدأ ظهور «شاي صباح» في الأسواق منافسا لأشهر الشاي في العالم شكلا ومذاقا .

خلال جولة في المصنع برفقة مدير المصنع شاهدنا مناطق زراعة الشاي الممتدة على سفح الجبل . قال لنا إن شجرة الشاي معمرة تعيش في الأرض أكثر من عشر سنوات .. وجذع الشجرة غليظ قوي وأوراقها تشبه [illegible] متنوعة .. وقطف أوراق الشاي يتم على مراحل . كما أن زراعة الشجرة تتم في مشاتل تحت حضانات منظمة ، حتى إذا تمت بشكل جيد يعاد غرسها في الأرض . فإذا كبرت الأشجار بدأت النساء في قطف الأوراق حيث يضعنها في عربات إلى المصنع . ومن ثم يتم قطف الأوراق وفصلها عن السيقان.

وتشهد مراحل التصنيع .. يوضع الشاي الأخضر على ألواح أو حصير مسطح ثم تعرض لهواء ساخن الصادر لتجفيف الرطوبة الموجودة في الأوراق . تبدأ بعد ذلك مرحلة ثانية بوضع الشاي الذي خفت رطوبته في آلة تشبه آلة العصير لتعصير الأوراق وعصرها حتى تصفى بقايا العصارة الموجودة فيها .. ثم تنتقل بعد ذلك فينقل إلى آلة كهربية لتخفيف مقدار ذلك بحيث لا يبقى إلا محتوى المركز فوق الأوراق المعصورة المقطعة . والتي يدخل في فرن كهربية تهزها هزا شديدا وبصورة مستمرة حتى تصل نسبة الرطوبة الموجودة في الشاي إلى أقل من ٣٪ . هنا تكون الأوراق المعصورة المجففة قد تحولت إلى قريب من اللون الأسود .. فتنقل إلى ما يشبه «المنخل» أو «الغربال» الذي يهزه بشدة ويغربله . فيسقط الشاي الناعم إلى الأسفل ليتم جمعه وتعبئته . أما الخشنة فتقطعها من جديد .. ثم يمر الشاي الناعم في عملية تجفيف أخرى في الهواء الطلق . ثم تجيء بعد ذلك مرحلة مهمة هي عملية معرفة نوعية الشاي ودرجاته . وتحديد لونه ورائحته وتجربة مذاقه بمعرفة خبير «ذواقة» خاص يستطيع بحاسته وخبرته أن يضع كل التحديدات الخاصة بنوعية الشاي . على أن تلك التحليلات المخزنة في آلة تعبر تماما عن حقيقة الشاي المصنع . أو توضع في الأكياس الصغيرة . وهي عملية تتم آليا بعد ذلك عند التعليب ..

وهكذا يخرج إلى الأسواق .. شاي صباح .

البدايات .. والقبائل .. والأدغال :

الأصول السكانية في صباح .. والتي يبلغ عدد سكانها مليون و ٣٠٠ ألف نسمة ، هم من القدموس الذين فضل معظمهم أن يحتفظوا عن أنفسهم اسم «الكادازان» وهم يشكلون نسبة ٢٨٪ من السكان .. أما الصينيون الذين جاءوا إلى صباح واستوطنوها فنسبتهم ٢٣٪ بينما الباجاو يشكلون ١١٪ بجانب [illegible] ونسبتهم ١٠٪ وكذلك مجموعات أخرى قليلة من الفلبينيين والباكستانيين والإندونيسيين مما يجعل نسبة المسلمين تصل إلى حوالي ٤٠٪ من السكان . وهناك مجموعات أخرى قليلة من أعراق مختلفة مثل [illegible] والمورت . وإذا كانت أعداد كبيرة من أبناء هذه الجماعات قد انتقلت من أعماق الغابة لتعيش حياة التحضر والمدنية في العاصمة والمدن

مكبرة . إلا أن الذين عاشوا في المناطق الداخلية والأدغال ما زالوا يعيشون حياة بدائية أو شبه منعزلة في الغابات والمناطق المتشعبة . وقد عمل المهاجرون الجدد ، الذين وفدوا من إقليم جنوب شرق آسيا من أندونيسيا وجنوب الفلبين إلى جانب الصينيين والملاويين ، على استغلال الأراضي في الإنتاج الزراعي وخصوصاً بعد التطور والتعليم الذي أدى إلى إزالة مساحات كبيرة من الغابات لتحويلها إلى أراض زراعية ، ومن أهم الغلات المزروعة بصباح الأرز والذرة وقصب السكر وجوز الهند وزيت النخيل ، كما يشتغل بعض السكان بقطع الأخشاب من الغابات الواسعة في صباح [illegible] تطويرها تحت الإشراف الحكومي . وتمثل الأخشاب أكثر من نصف قيمة الصادرات السنوية لصباح ..

اختراق الأدغال :

الآن .. أتيحت لنا الفرصة لاختراق الأدغال والتقاء مع القبائل التي تعيش في المناطق الداخلية في أدغال صباح .

كنا نتنقل مع [illegible] من منطقة [illegible] حيث التقينا بالأغلبية السكانية من قبائل الكادازان والذين ما زالت أصولهم متمسكة بالاسم القديم « الدوسون » . وخلال [illegible] أكثر من مرة لاختراق الأدغال وزيارة القبائل [illegible] ما زالوا يعيشون في أدغال صباح . وهم يتميزون بتنوعهم الثقافي وطقوسهم وخصائصهم وتقاليدهم ، ومعتقداتهم الدينية تتباين وتختلف من خلال طقوسهم وتقاليدهم حتى يحافظوا على موروثهم والرسوم التي يرسمونها على أجسادهم ، وهم يتذكرون أبطالهم وأساطيرهم في مقاومة الأعداء الذين كانوا يتربصون بهم ..

إلا أن كثيراً من هؤلاء قد تركوا قبائلهم وأقاموا مساحات من الغابات المحيطة بهم ليزرعوا الأرز والمحاصيل . كما أن حياتهم البدائية تغيرت بشكل واضح إذ بدأوا يملكون تلفزيونات ويقرأون الصحف ويستمعون للإذاعة ويرتدون الملابس الحديثة في حركاتهم . وتتوافر البضائع الغربية المستوردة داخل أكواخهم وبيوتهم الخشبية التي [illegible] بها [illegible] ويربطونها بجذوع [illegible] بيوتهم ومساكنهم . وبعد أن كانوا يتنقلون بقوارب صغيرة فقد أصبحوا يتنقلون الآن بالزوارق الكبيرة التي تسير بمحركات [illegible] البيوت الخشبية حيث يقيمون مع [illegible] في المدينة فلا يبتعدون عن حياة الأدغال .

ومع التطورات والتغييرات يستخدمون الأدغال [illegible] يحافظون من أجل أن يعيشوا الغابات وراء ظهورهم . ولا يكاد المرء يبتعد لأكثر من [illegible] واحد عن المدينة حتى يجد نفسه داخل الأدغال .

واخترقنا الأدغال في أكثر من منطقة من مناطق [illegible] الداخلية في صباح [illegible] وخرجنا بحصيلة كبيرة من المشاهد والمعلومات .

[illegible] السكان في منطقة تامبونان أو أغلبهم هم من الكادازان و « الدوسون » ولقد كانوا يختلفون في كثير من العادات والتقاليد عن هؤلاء الذين [illegible] بهم على [illegible] وهم يوصلون [illegible] في بعض مناطق [illegible]

[illegible] أصل [illegible] هذه القبائل في [illegible] « دوسون » [illegible] حتى الآن يرفضون [illegible] إلى المدينة وأصبحوا موظفين في الحكومة ويعمل أغلبهم في العاصمة « كوتا كينابالو » . وقبل عام ١٩٦٠ [illegible] هذه المجموعات نفسها [illegible] دوسون . وتوجد جماعات قبلية أخرى مثل المورت في منطقة [illegible] بالدوسون [illegible] في منطقة [illegible]

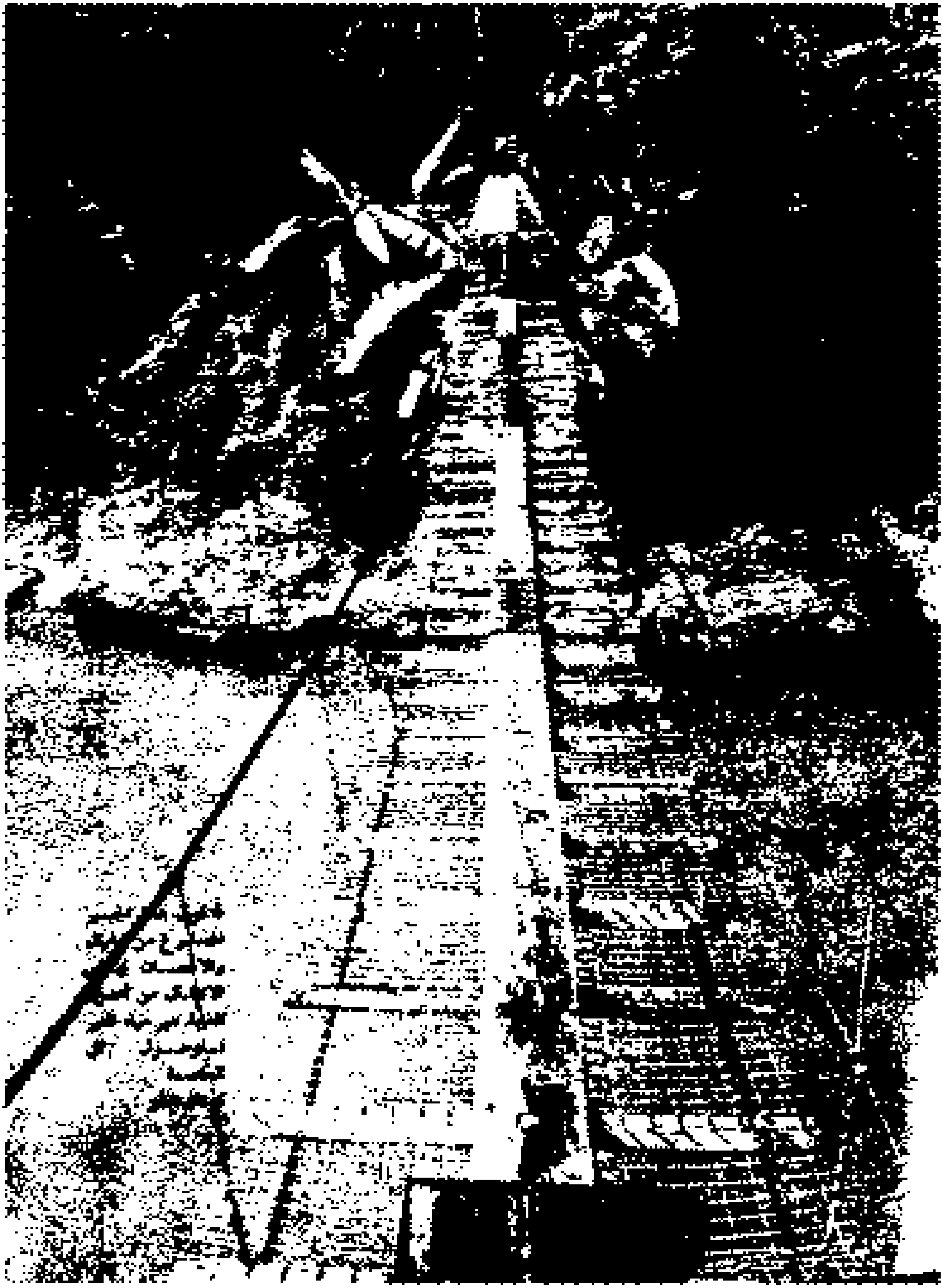
ومن المعتقد أن الدوسون هم السكان الأصليون في صباح .. نزحوا إلى المناطق الداخلية من السواحل بعد ضغط المهاجرين والقادمين الجدد الذين عبروا البحار [illegible] مستقرين في أي مكان يصلون إليه .. ولم يكن من السهولة [illegible] هؤلاء من [illegible] الأدغال [illegible] مع الذين [illegible] إلى التداخل مع [illegible] والعادات والتقاليد .

[illegible] هؤلاء الكادازان الدوسون [illegible] . [illegible] يعيشون بشكل [illegible] الأخص [illegible]



● المسجد الوطني في قلب العاصمة يلعب دورا كبيرا في نشر رسالة الإسلام واجتذاب اللادينيين إلى نور العقيدة عن القرآن والتعليم الإسلامي





التي توارثوها عن أجدادهم.

أما الباجاو المتمسكون بالعقائد القديمة فيؤمنون بالأرواح.. فلكل شجرة أو صخرة أو نهر روح يجب استرضاؤها. وأي مرض يصيب الإنسان يعتبرونه من غضب الأرواح ولكن [illegible] ترتبط بعض الكائنات العضوية، وبعضها غير محبوب.. وبعضها الآخر مصدر شرير. ولكل منها يحتفل بالطريقة التي تناسبه.. فمثلاً الأرواح الشريرة القادرة على الحلول بجسم الإنسان تعالج بوساطة السحر. أما الأرواح الخيرة فيمكن أن تعامل بلطف واحترام.

ومن بين المهنة الرئيسية التي يمتهنها المسلمون هي زراعة الأرز والحبوب. فإن أغلب تجاربهم ومحاولاتهم تقدم إلى الأرواح الشريرة لمنع الأضرار من أن تلحق بالزرع وتجعل [illegible] في الحقول. وبخصوص أن هؤلاء يبذلون جهوداً كبيرة في ذلك المساحات الواسعة من الغابات ليحولوها إلى أرض زراعية يستخدمونها لزراعاتهم وكسب قوتهم وقوت عائلاتهم. وهم بالتالي يقتربون أكثر من خدمة الأرواح الشريرة. ويقدم قربانهم [illegible] المحصول في شهر [illegible] من كل عام ويقيمون مهرجانات حافلة راقصة يتبادلون فيها معهم أكل [illegible] من [illegible] الأخرى [illegible]. على أن هناك عادة غريبة كانت تسود بين [illegible] هي [illegible] الرؤوس. فالرجل لا يستطيع أن يؤكد رجولته لامرأته [illegible] إلا حين يرجع إلى البيت من صيده وفي أحضانه رأس رجل آخر استطاع أن يهزمه.. وكان صيد الرؤوس جزءاً من عقائدهم وهم يقدمونه للأرواح من قربان.. ولم يكن من القصر [illegible] صيد الأعداء ولكن كانوا يصيدون أي إنسان حتى ولو كان صاحبها من نفس الجنس ولكن من قرية أخرى.

ولكن ما يزال يذكر بهذه العادة التي توقفت أخيراً هي هذه الجماجم المعلقة على جدران البيت.. ولكنها [illegible] الأجانب [illegible] البشري.. ولكن بعض هذه الجماجم لا بد أن تعلق وتبقى عند مدخل الدار حتى تهدأ الأرواح عن [illegible] فلمن عند القرابين لإرضائها.

[illegible] من علامة حين يختلفون من سكان أي [illegible] في يحمل [illegible] منهم عن سن رجله [illegible] قوته ورضاه الأرواح عنه. وحين [illegible] أحد هذه [illegible] عند [illegible] جبل كينابالو [illegible] نحص ٢٤ جمجمة معلقة [illegible] أهل الدار [illegible]

لكن هذا ربما شجاعة لا يحق له [illegible] في صيد الرؤوس.

الباجاو والموروت :

أما قبائل الباجاو فقد هاجروا إلى صباح منذ أكثر من مائتي سنة، بعد المسلمين الكادازان، وقد جاءوا غالبا من جنوب الفليبين حيث كانوا يعيشون قراصنة بحريين. وهؤلاء يختلفون عن الباجاو البريين الذين استقروا في كوتابيلود في سهول [illegible] شمال غرب صباح أسفل جبال كينابالو.

وتشير الأدب البروني إلى [illegible] الذي قام به الباجاو في الأيام الباكرة لسلطنة بروناي. ويظهر أن الباجاو كان لهم دور كبير في فرض السيطرة البحرية وشروعهم مع الأرستقراطية الماليزية حتى [illegible] الستينات. والتقارير الأولى الأوروبية تصفهم بأنهم أمهر ملاحي البحر [illegible] كانوا أصحاب خبرة كبيرة في صيد السمك. ومع أنهم كانوا لا يجيدون في [illegible] فإنهم كانوا يحصلون بالتنقيب عن اللؤلؤ [illegible] كما كانوا صيادين ممتازين في الأراضي الداخلية.

وعندما أقامت شركة بورنيو الشمالية البريطانية حكومتها في صباح [illegible] الباجاو [illegible] في [illegible] ضدهم.. والذين كانوا في كوتابيلود تعلموا بعد ذلك طرقاً جديدة للمعيشة. والآن يشكل الباجاو نسبة كبيرة من السكان في المنطقة. يزرعون الأرض ويربون الماشية وأصبحوا ركاب خيول مهرة يشتركون بخيولهم الراقصة المزينة في المهرجانات والاحتفالات.

أما عن جماعة الموروت فهؤلاء يوجدون في المناطق الداخلية حيث نجدهم في منطقة كينابالو، وهذه القبيلة بالنسبة للمعتقدات الدينية تنقسم إلى ثلاثة أقسام: قسم الوثنيين وهو الأكثر، وقسم المسيحيين، والثالث [illegible] من الذين اعتنقوا الإسلام.

والوثنيون من الموروت لهم عادات [illegible] خاصة بالنسبة لطريقة الزواج. [illegible] عن طريق الحياة [illegible] مختلفة؟

المقصود بهذا أنهم بعد عقد الزواج يعتبر كل ما كان ويكون في بيت الزوج من حق أب الزوجة وأمها وأسرتها بما في ذلك المهر والخصوص.. لماذا؟ لأنهم يعتقدون أن كل [illegible] الزوج وكل الأموال الموجودة في بيته أصبحت من حقهم مقابل الزوجة التي أعطيت لهم بموجب [illegible] طول الحياة...!

ومن أبرز التقاليد الأخرى للسوروت تقاليد الأعراس . فالعادة أنه عندما يتزوج الفرد يدعو أفراد القبيلة الذين يحضرون أفراحه ، فيحيي بعض بالرقص والطرب ، وبعضهم من يقوم على الأشغال حسب المناسبة للعرس .

فإذا وصلوا إلى بيت هذا الاحتفال [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ... [illegible] ... يكونون مدعوين بالكثير ويشربون حتى يأتوا على كل ما في بيت أهل العريس .

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ... وبعد ذلك يقلبون على [illegible] بالترتيب داخل صندوق للمحافظة على [illegible] من ثم [illegible] بعد ذلك في القبر .

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في العادة أو أكبر [illegible] [illegible] . [illegible] [illegible] كل قوة [illegible] [illegible] [illegible] له قوة والشمس لها قوة [illegible] قوة [illegible] [illegible] . ومن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأشجار والأحجار [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأرواح .

أما في المنطقة الساحلية الغربية وفي كودات . فهناك [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] في كودات . وقد [illegible] [illegible] إلى [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأجانب [illegible] ، [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] . بالإضافة إلى الزراعة التي يشتغل بها الفقراء منهم كما إنهم يزرعون زراعة [illegible] [illegible] [illegible] الأرز في [illegible] [illegible] بين [illegible] وكودات .

وتحاول الحكومة الآن إزالة الفوارق بين الأعراق [illegible] . ومن بين [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على الزراعة [illegible] المستوى الاجتماعي للمجتمع .

فهي [illegible] على سبيل المثال نرى المؤسسة الخاصة لتطوير الغابات في صباح (ساليدا) تولى هذه المهمة . فهي تقوم بإزالة أشجار الغابات [illegible] الأرض للزراعة [illegible] على الفلاحين من أجل [illegible] من تطوير [illegible] . وقد [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] هكتارا من الأراضي [illegible] . [illegible] كل أسرة [illegible] على واحد من [illegible] من الهكتار ، [illegible] [illegible] التي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ، [illegible] كل أسرة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] .

[illegible] من [illegible] [illegible] والتطوير [illegible] [illegible] [illegible] التعليمية والاجتماعية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والمواصلات [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] . [illegible] [illegible] الأهالي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] مستوى المعيشة [illegible] .

الحياة السياسية في صباح :

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والقبائل التي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ، [illegible] لا [illegible] . [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على أن المحافظة على الاستقلال والانطلاق على [illegible] [illegible] لا يمكن أن يتم إلا من خلال الدخول في [illegible] [illegible] [illegible] .

ولكن على الرغم من مرور حوالي ٢٢ سنة على [illegible] صباح إلى [illegible] [illegible] [illegible] ، إلا أن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأعراق [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] . وقد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] . [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأعراق [illegible] [illegible] [illegible]

التقليد المتقلب.. فقد جاءت البداية في صباح متأخرة كثيرا عما كانت عليه في ماليزيا الغربية. وفي ذلك يقول [illegible] رئيس الحكومة الاتحادية في كوالالمبور [illegible]. إن [illegible] الاندماج القومي يتقدم ببطء، ولا شك أنه سيستغرق وقتا. [illegible] يتحقق الاندماج الكامل لابد من فترة تسمح [illegible] طويلة [illegible] الاتحاد الفيدرالي [illegible] للاستمرار والاستقرار. ومما [illegible] في أن وجود بعض الاتجاهات الانفصالية [illegible] بمزيد من الحكم الذاتي في صباح [illegible] الاتحاد.

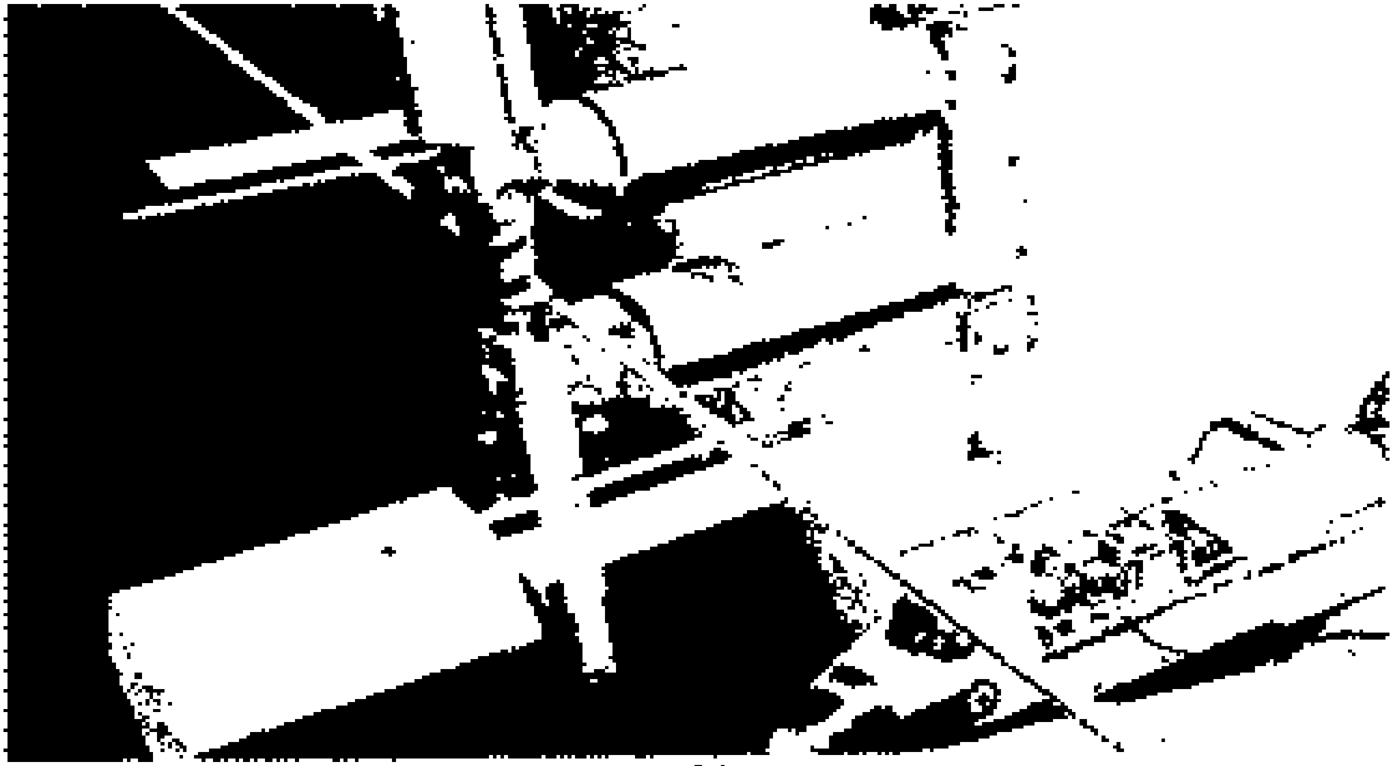
والواقع أن التهديدات من بعض الفئات السياسية بالانسحاب من الاتحاد برزت خلال فترة حكم تون مصطفى هارون عندما كان على رأس سلطة الاتحاد [illegible] في صباح بين ١٩٦٧ و ١٩٧٥. ولكن هذه التهديدات خفت صوتها كثيرا في الأعوام [illegible] التالية بعد أن تولت السلطة حكومة حزب برجايا برئاسة داتو هاريس محمد صالح [illegible] [illegible] الأخيرة [illegible] [illegible] حزب [illegible] الاستراتيجية [illegible] حكومة برجايا [illegible] كوالالمبور [illegible] [illegible] الاتحادية [illegible] صباح [illegible] [illegible] الانسحاب من الاتحاد [illegible] [illegible] علاقات [illegible] [illegible] حزب [illegible] [illegible] ويطالب [illegible] برئاسة [illegible] الولاية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الاتحادية [illegible] الأحزاب [illegible] حكومة حزب صالح عن الحكم.

ويؤكد [illegible] رئيس الوزراء [illegible] في [illegible] على [illegible] الأسبوع الانتخاب [illegible] كل الجهود [illegible] في تطوير [illegible] الاقتصادية والاجتماعية [illegible] [illegible] على [illegible] الأعوام.

هذا عندما ألقى حاكم الولاية عدنان روبرت في ١٦ مايو [illegible] بيرساتو [illegible] الحكومة والتي أعلنت عن تكوين الحكومة الجديدة برئاسة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الولاية [illegible] [illegible] ماليزيا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ماليزيا [illegible] صباح [illegible] [illegible] الاتحاد [illegible] [illegible] في دولة الاتحاد.

ويرغم [illegible] [illegible] [illegible] الأخرى [illegible] [illegible] [illegible] حزب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] صباح [illegible] [illegible] [illegible] صباح [illegible] [illegible] الاتحاد [illegible] مصطفى هارون [illegible] [illegible] [illegible] صباح [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأخيرة [illegible] [illegible] حزب [illegible] [illegible] الحكومة

ولكن [illegible] لا [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] في الوزارة [illegible] حزب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الحكومة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] حكومة الاتحاد [illegible] [illegible] [illegible] للاقليات [illegible]



مستعمرة فضائية تبنى بواسطة المكوك

الفضاء

بقلم سعد شعبان

« قامت قيامة الدنيا ولم تقعد .. ولم يعد لوكالات الأنباء حديث إلا عن آخر أخبار « حرب النجوم » .. وفرض الموضوع نفسه حتى على اجتماع رؤساء دول العالم الغربي الذي عقدوه في بون في شهر مايو الماضي .. كما يفرض نفسه بطبيعة الحال على اجتماع قمة ريجان وجورباتشوف هذا الشهر .. وموضوعه الأول هو مشكلات عسكرة الفضاء .. فماذا سيحدث بالضبط في الفضاء المحيط بنا ؟

ساعد الصراع الدائر بين الدولتين العظميين في المجال ، وهذا جعلهما حقلا للتجارب ، ذلك أن القرار الاستراتيجي الذي أصدره الرئيس ريجان في نوفمبر عام ١٩٨٣ ، بالتخطيط لنقل ساحة الحرب الى الفضاء ، بانتاج سلاح دفاعي فضائي مضاد للصواريخ العابرة ، والتي تطلق من القارات ، والأقمار التجسس ، ولا شك أن هذا القرار ، سيحدث تغييرا في مجرى التاريخ ، وقد أتى على غرار قرار الرئيس الراحل كيندي في الستينات ، بتوجيه الجهود الفضائية الأمريكية لارساء انسان على سطح القمر . ولقد أعقب اعلان الرئيس ريجان ، تصريحات توضح أن الاستراتيجية الجديدة ، لن تكتمل قبل حلول القرن القادم عام ٢٠٠٠ وانها لن تدخل الخدمة قبل حلول القرن ٢١ . ويأتي القرار من منطلق أن التفوق العسكري في كل العصور يمكن أن تحققه بكفاءة وفعالية الاكتشافات العلمية الحديثة والتاريخ خير شاهد على ذلك . فصواريخ ف ٢ الألمانية التي اعتبرت تطويرا بعيد المدى للمنجنيقات القديمة ، لعبت دورا في التمهيد بانهاء الحرب العالمية الثانية . وشجعت الحلفاء الأخرى على استخدام التفجير الذري الذي غرس الرعب في قلوب اليابانيين وحلفائهم . فسلموا أمام شدة الصدمات التجديدية التي حققت بالتخلي عن صنعها . وهكذا تكون التحولات الجذرية في الحروب عن طريق الاكتشافات العلمية الجديدة ، كما حدث عند استخدام الرادار والصواريخ والطائرات والأسلحة الكيميائية . لذلك فانه لأمر طبيعي أن يكون هدف ريجان ، تحقيق التفوق العسكري مرتكزا على مستحدثات العصر ، وهي تقنية الفضاء ، بالاعتماد على خطوة سريعة في مسار التوازن النووي بين الدولتين العظميين ، والسائد بينهما منذ نهاية الحرب العالمية الثانية .

الخطر النووي يعبر القارات

ولو عرضنا ما أوجدته التقنية الحديثة من مستحدثات ، لوجدت أن حلبة التنافس العسكري بين الدولتين العظميين ، بالآلاف من الصواريخ ذاتية الدفع العابرة للقارات ، التي أصبح مدى كل منها يقاس بعشرات الآلاف من الكيلومترات ، والتي تستطيع حمل الرؤوس النووية أو النووية المتعددة . وتستخدم عمليات توجيه دقيقة جعلتها قادرة على بلوغ أهدافها بكل دقة . ولقد تعددت في ترسانات الأسلحة وسائل حمل وطرق انطلاق هذه الصواريخ . اذ أصبح بعضها يطلق من آبار خرسانية مجهزة تحت الأرض . وأصبح البعض الآخر يطلق من غواصات تجوب تحت سطوح مياه المحيطات . أو من فوق منصات متحركة . كل ذلك سانده تدخل تقنية الحواسب الالكترونية في اختزان المعلومات اللازمة لاحكام ودقة التوجيه ، وتوالي التحكم من المحطات الأرضية . ولذلك لا نجد بدعا في احتدام التنافس بين الولايات المتحدة والسوفييت في حقل صناعة الحواسب الالكترونية ، ومحاولة الاتحاد السوفيتي اللحاق بركب هذا التسابق . الأمر الذي كان من نتيجته ظهور سوق كبيرة لتهريب كومبيوتر ، تهريب كومبيوتر ، للتحكم في الظروف المؤثرة على التفوق العسكري . حتى غدت صناعة جمع المعلومات أهم معالم عصرنا . نظرا لأهمية الحاسبات في العاملة في تحقيق عنصر المفاجأة العسكرية لمواجهة الأراضي المعادية بكل وسائل الدمار عليها . ولا نجد من حول الخطر النووي ، الا وجود التوازن بين الدولتين العظميين ، ولكن كلا منهما يرغب بالاخلال بالتوازن .

التجسس أصبح ضرورة

وأعقب ذلك انطلاق عدد من الأقمار الصناعية للتجسس العسكري لالتقاط الصور الفوتوغرافية لأراضي الكتلة الأخرى ، وتحليل هذه الصور بوسائل عدة ، سواء كانت المساحة المصورة تحت ضوء الشمس ، أو مغلفة بأستار الظلام .

فقد تطورت أقمار التجسس في التصوير بالعدسات البصرية ، والمحسات التليفزيونية ، وبكاميرات حساسة للأشعة تحت الحمراء ، للتعامل مع الأهداف التي يكسوها الظلام . وأصبح من تفسير الصور ، أمر يتسم بصعوبة التمييز البشرية ، وقدرة الحواسب الالكترونية أيضا . فتلك تستر كل ما على الأرض من أهداف يزيد طولها أو عرضها عن متر ونصف . حتى يمكن معرفة كل ما على وجه الأرض من

باتصالات ومعدات ، وأجهزتها من شبكاتها والنشاط الذي يدور من حولها .

ولم تستعص الأهداف المخبأة تحت الأرض من عدسات أقمار التجسس ، فقد يمكنها اكتشاف الآبار الخرسانية للصواريخ العابرة للقارات ، وكذلك سبر كل ما تحويه الأرض من كنوز معدنية ومياه جوفية حتى عمق يقرب من ١٠ أمتار . لذلك أصبحت قواعد منصات الصواريخ ، والمطارات ، ومناطق انتشار المدرعات والمخزونات والآليات كلها ، تحت نظر تجسس الأقمار .

وهكذا أصبحت المحطات الفضائية ، مفيدة في كثير من المجالات ، وتخدم الجانبين العسكري والمدني سواء في حقل الاتصالات أو التنبؤ الجوي أو الكشف عن الموارد الأرضية ، أو التغيرات التي تحدث في أي مكان أو التقسيم الجغرافي والزراعي والاقتصادي .

ونظراً لخطورة طبيعتها ، تم تسخير الأمر بالجوانب السياسية والدبلوماسية وجرت مفاوضات بين طرفي القوتين العظميين تحظر أساليب التلف والتدمير بين بعضهما ، بحيث عدم تفوق أحدهما على الآخر ، وتمخض هذا الحوار الدبلوماسي عن اتفاقيتين اثنتين : أولاهما بين الرئيس الأمريكي نيكسون والرئيس السوفيتي بريجنيف ، ووقعت في موسكو عام ١٩٧٢ وأطلق عليها اتفاقية « سالت - ١ » ، وهي اتفاقية الحد من الأسلحة الاستراتيجية ، وثانيتهما وقعت عام ١٩٧٩ في جنيف واسميت « سالت - ٢ » . ولكن الكونجرس الأمريكي رفض التصديق عليها .

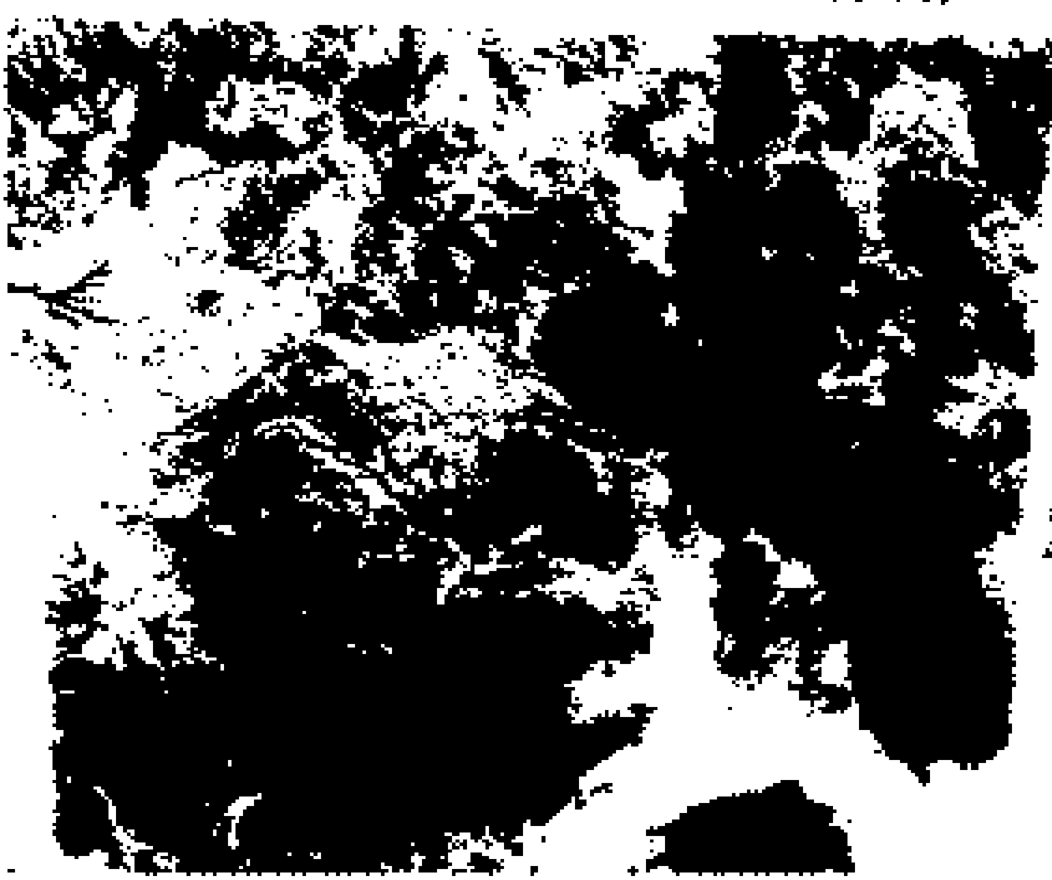
اسم على غير مسمى

واليوم إذا كان قرار ريغان قد حول ساحة الحرب من على سطح الأرض ، إلى الفضاء ، فإن كثيراً من وسائل الإعلام قد تناقلت ذلك تحت اسم « حرب الكواكب » أو « حرب النجوم » . وهي تسمية غير معبرة ، لأن حقيقة الأمر أن المقصود هو تحول رقعة الصراع من على وجه الأرض ، وفي طبقاتها الجوية ، إلى أجواء الفضاء المحيطة . ويرتكز المعنى الأساسي للمشروع الأمريكي عن « حرب الفضاء » على أنه نظام دفاعي ضد القذائف الصاروخية العابرة للقارات . ويمكن أن نصفه بأنه سيكون نظاماً صاروخياً ، دفاعياً ، هجومياً ، إشعاعياً . إذ سيكون الاعتماد الرئيسي في هذا النظام على توجيه « أشعة الليزر » لإعاقة حركة الصواريخ العابرة للقارات ، وتدميرها قبل بلوغها أهدافها . وهي في الحقيقة وذلك باعتبار أشعة الليزر هي سلاح المستقبل ، الذي يجري تطويره الآن في مختبرات منذ حوالي الستينيات . الذي صار يستخدم حديثاً في نطاق محدود تحت اسم « أشعة الموت » . وإن كان قد شاع استخدامه على نطاق واسع في بعض الاستخدامات الطبية ، وخصوصاً الجراحية أو التجميلية . وكان أول استخدام عملي لهذه الأشعة في سبر غور الفضاء خلال رحلات أبوللو الناجحة للهبوط على سطح القمر ، لقياس بعد القمر عن الأرض قياساً دقيقاً . إذ وضع رواد رحلة أبوللو ١١ عام ١٩٦٩ جهازاً خاصاً على سطح القمر يتكون من مائة مرآة عاكسة قطر كل منها ٣,٨ سم في وضع يسمح بأن تنعكس عنه حزمة شعاعية من الليزر موجهة إليها من ثلاث محطات منتشرة على سطح الكرة الأرضية . وظل هذا الجهاز يعمل لمدة عشر سنوات ، تسجل الانعكاسات من سطحه وهو أمر يرجع الفضل لدقة بالغة يحققها شعاع الليزر لشدة التركيز . وهذا ما يتصور معه مدى تركيز من تصور مقدرة اختراقه للمسافات البعيدة ، وقطعت شعاعه مسافة تقترب من ٨٠٠,٠٠٠ كيلومتر .

والحقيقة أن هذا المشروع الأمريكي « حرب الفضاء » ، قد جاء نتائج جهود مكثفة سابقة عبر عشرات السنوات ، ومحاولات لم يفصح عنها بوضوح . كان منها محاولة تصميم « مشروع مضاد للصواريخ » الذي السوفييت نجحت فيه تجارب طائرة « زيوس » عام ١٩٦٣ ، ولم يكن أداؤه دقيقاً التصميم التكتيكي ، لافتقاده وحدات التوجيه الإلكتروني إلى عنصر الدقة اللازمة لاعتراض الصواريخ المعادية . ثم تمت لفترة في نهاية مرحلة الخروج من نتائج « قمر صناعي مضاد للأقمار الصناعية » ، و « مشروع مضاد للأقمار الصناعية » . لكن الركيزة الأساسية في « حرب الفضاء » ، تكمن هي في نظام « محطات فضائية » يمكن منها توجيه أشعة الموت إلى الأقمار الصناعية أو



الروبوتات والمركبات تمهيد للثورة في المستعمرات الفضائية



صورة من الفضاء
لتفاصيل جيولوجية
في أمريكا اللاتينية



الصواريخ المضادة للطائرات والمدافع . لتمنعها من تحقيق الوصول إلى أهدافها . وحسب تقديرات الخبراء الأمريكيين . فإن مساحة المنصات أو المستعمرات الفضائية العسكرية ، ونوعية الأسلحة الإشعاعية عليها لن يبدأ قبل حقبة التسعينات ، ولن يكتمل في صورة فعالة قبل نهاية قرننا . ويكشف منطق التجربة أن عصر يمكن أن يبعث بدءه « عصر الإشعاعات » وسيدفع بعض العلماء إلى عالم النسيان . ثم نوضح هذا العصر النووي من قبل .

الخواص الفريدة لليزر

رغم أن أشعة الليزر عرفت علميا منذ أوائل الخمسينات من قرننا ، إلا أنها لم تظهر بصورة عملية إلا في الستينات . ويصعب نسبة اكتشافها إلى عالم معين . لأن بحوثه حصيلة معرفة خواص الطاقة التي عالجها علماء من مختلفة . على رأسهم « بوهر » أبو الذرة الذي كشف عن الإشعاع الذي يصدر من الذرة عند انتقالها من مستوى طاقة عال إلى مستوى طاقة أقل ، ويليه العالم العبقري « أينشتين » الذي استنتج حساب الطاقة التي يمكن أن تصدر من ذرة . وواصل المسيرة بعد ذلك عدد من العلماء منهم الأمريكي « تشارلز تاونز » والروسيان « ألكسندر بروخوروف » و « نيكولاي باسوف » وقد حصل ثلاثتهم على جائزة نوبل عام ١٩٦٤ .

والأصل في تسمية أشعة « الليزر » (LASER) مشتق من الحروف الأولى من تعبير « تضخيم الضوء بواسطة انبعاث الأشعة المستثارة » (Light Amplifica- tion stimulated Emission Radia- tion) أما عن طبيعة أشعة الليزر ، فهي تقع ضمن نطاق الموجات الكهرومغناطيسية . شأنها شأن أشعة الضوء المرئي كضوء الشمس والأشعة غير المرئية مثل الأشعة تحت الحمراء وفوق البنفسجية وأشعة اكس وجاما ، وموجات الراديو ، وهذه كلها تشترك في كونها تنتشر في الهواء أو الفضاء بموجات ذات أطوال مختلفة ، ولكنها تتحد في السرعة التي تنتقل بها ، فهي سرعة الضوء والتي تعارف العلماء على أنها أكبر سرعة موجودة في الطبيعة وتبلغ حوالي (٣٠٠) ألف كيلومتر في الثانية الواحدة أو ما يعادل (١٨٦) ألف ميل في الثانية .

ولأن شعاع الليزر له هذه الخواص الفريدة ، فقد أمكن توجيهه عبر المسافة الكبيرة من الأرض إلى القمر ، فهو لا يتشتت ولا ينكسر . وأمكن رصد البقعة الساطعة التي يحدثها على القمر بواسطة المراصد الفلكية .

واستغلالا لهذه الخواص دخل الليزر عدة مجالات للتطبيق ، من أهمها حقل الاتصالات ، والبحوث العلمية . ومن أهم المجالات التطبيقية المهمة مجال الطب ، حيث استخدم الأطباء المقدرات الخارقة لليزر وأجروا به بعد تضعيف قوته الجراحات الدقيقة بدلا من استخدام المشارط ، وتفتيت حصى الجهاز البولي ، وإزالة عتامات العين . ولكن لا شك أن العسكريين كانوا يفكرون في استغلال خواص الليزر الخارقة لاستخدامه كسلاح ، وبدأ يتردد من أواخر الستينات مصطلح « الشعاع القاتل » الذي بدأ تطبيقه في مجال توجيه الصواريخ الموجهة المضادة للصواريخ والطائرات جو - جو .

تجارب رائدة على الطريق

● لم يأت تصريح الرئيس الأمريكي ريجان عن الحرب الإشعاعية في الفضاء من فراغ ، بل استند إلى نتائج عدة تجارب أجريت بالكتمان في أول الأمر ، ثم أميط اللثام عن أهدافها فقط دون توضيح النتائج ، خشية حث الاتحاد السوفييتي على المضي في الحوار عن أسلحة الفضاء ، رغم أن السوفييت كانوا يجرون تجارب مشابهة منذ عام ١٩٦٨ . بصنعة قمر صناعي قاتل للأقمار الأخرى ، يعتمد على توجيه قمر صناعي قاتل من الفضاء نحو قمر آخر يحمل كهدف معادي ، وتكون عملية التفجير بالشظايا التي تخرج من القمر القاتل متناثرة في شتى الاتجاهات .

ولقد رصدت المخابرات الأمريكية هذه التجارب التي تمت بين القمرين كوزموس (٢٤٨ ، ٢٤٩) وثبت أن مداها لا يتجاوز ٢٣٠٠ كيلومترا ، وهي لا تشكل خطورة إلا على الأقمار ذات المدارات المنخفضة . فقد تمت التجربة على ارتفاع ٥٩٣

كيلومتر . وثبت أنه منذ عام ١٩٧٩ أجرى الجيش الأمريكي تجارب على أسلحة تعمل بأشعة الليزر ، ثبتت فاعليتها على أهداف مختلفة مثل الطائرات التي تطير بدون طيارين .

وفي عام ١٩٧٣ تمكنت طائرة أمريكية مزودة بجهاز ليزر من تدمير طائرة بدون طيار وتطلق على السلاح « شعاع الموت » . كما وجهت أشعات الليزر أيضاً على الصواريخ المضادة للدبابات من نوع « تاو » . بل لقد انطلقت بندقية أسبيت « بندقية الليزر » في شل حركة الأشخاص أو تحدث في الإصابة بالعمى ، حيث يخترق شعاع الليزر شبكية العين .

وفي عرض عام ١٩٨٢ نجح سلاح إشعاعي يعمل بالليزر في تدمير صاروخ أرضي ـ أرضي من طراز « تو » ثبت على قاعدة إطلاقه . ووجه إليه شعاع ليزر ضعيف على مسافة قريبة فثبتت قدرته التدميرية .

● ثم كرر الاتحاد السوفيتي تجربة اعتراض قمر صناعي لآخر في يناير ١٩٨٦ عندما أطلق القمر كوزموس ١٦٨١ وحطموا القمر ١٦٤٣ يعترضه في مداره على ارتفاع يتراوح بين ٩٣٦ ، ١٠٠٩ كيلومترات فوق الأرض . وقد تمكن القمر الثاني من تدمير الأول عن هذا الارتفاع العالي ـ الذي يكاد يكون ضعف الارتفاع الذي تمت عليه تجربة عام ١٩٦٨ .

ولقد وضع ذلك الأمريكيين في وضع قلق ، لأن هذا معناه القدرة على تحقيق الانتصار في الفضاء ، بواسطة أي سفينة فضاء سوفيتية مثل تلك التي توجه نحو الكواكب .

بعث القمر التجسسي صورة عن تلك المكتشفات للمصورين . وثبت للأمريكيين أن الاتحاد السوفيتي لا يقف في سكون ، وأنه يطور أسلحته المضادة الإشعاعية . ولقد دون ذلك في تقرير قدمته لجنة التسليح في الكونجرس الأمريكي .

وقد ورد في أحد تقارير المخابرات المركزية الأمريكية ، أن الاتحاد السوفيتي قد شرع في إقامة « مجمع فضائي عسكري » سيكتمل في التسعينات ، وسيستهدف إدارة الحرب في المستقبل من الفضاء ، معتمداً على استخدام الأشعة الليزرية في شل فاعلية الأسلحة الأمريكية المصوبة .

تمكنت شركة السلاح الجوي الأمريكي أواخر عام ١٩٨٣ في استخدام أشعة ليزر ذات طاقة عالية في القضاء على صواريخ جو ـ جو تطير بسرعة ٣٠٠٠ كيلومتر في الساعة . وقد عرف بعد ذلك أن هذه الصواريخ من طراز « سايد وايندر » (Side Winder) وكان قد تم قبل ذلك نجاح استخدام أشعة الليزر في تفجير صاروخ بالتشويش على أجهزة توجيهه . ولكن أشعة الليزر كانت تطلق من الأرض ، لذلك فالجديد في الأمر هو انطلاق أشعة الليزر من الجو .

ولقد صرح مسئولون عسكريون رسميون أن الولايات المتحدة ، يمكن أن يكون لديها قبل عام ٢٠٠٠ سلاح أرضي يعمل بالليزر ، قادر على تدمير الأقمار الصناعية كذلك . وتوجد عقبة أمام هذه التجربة في اجتياز طبقة معينة ، وهي التغلب على الظروف الجوية كتحقيق كفاءة إشعاعات الليزر في اجتياز الطبقات الباردة والسحب الممطرة . فهيئة تجهيز يستخدم على ثنى الصعب التجريب في مواجهة حركة الغلاف ، تحويل شعاع ضوئي شديد التركيز بالتبريد الفضائي .

وفي مطلع عام ١٩٨٤ قامت الولايات المتحدة بإجراء أول تجربة لإطلاق صاروخ مضاد للأقمار الصناعية ، انطلق من طائرة من طراز (ف ـ ١٥) ويطلق على الصاروخ اسم « قاتل الأقمار التجسسية » ويسمى أيضاً (Anti Satellite Weapons ASAT) « أساط » . وقد عرف أن الطائرة تستطيع حمل صاروخ حتى من هذا النوع ، وتصعد به حتى ارتفاع ٢٩ كيلومتراً ، ثم توجهه نحو القمر الصناعي لتدميره .

وقد صرحت مصادر رسمية أمريكية أن عملية تصنيع هذا الصاروخ تجري في سرية منذ عام ١٩٧٨ ، وقد تم رصد لتصنيعه ١,٦ مليار دولار . وكانت المصانع الأمريكية قد أوضحت تعديلات منه على الطائرة (ف ـ ١٥) شملت أجهزة الرادار والتصوير لتتلاءم مع مهام مطاردة الأقمار الصناعية المعادية .

جولة بين الخيارات

يتضح من التجارب التي أشرنا إليها سابقا ، أن كلا الطرفين في حالة سباق ، لتحقيق التفوق العلمي ، عبر البحوث في مجال الحرب الإشعاعية المستقبلية . ويعود الفضل في قرار الرئيس الأمريكي ريجان ، إلى عدم تخوفه من المعارضة السوفييتية ، وكأنه أمر لا رجعة عنه ، ولا يستطاع مواجهة التفوق . وحقيقة الأمر أن الرئيس ريجان بتصريحه عن الرغبة في تطوير سلاح دفاعي شعاعي ضد الصواريخ العابرة والأقمار الصناعية ، هو أن مشروعات كهذه قد تحولت إلى العلانية ، بعد أن ظلت محجوبة عن معرفة ، ورغم ما تكرر من كلام منشور في أوساط البنتاجون ، والكونجرس ، والصحافة ، فإنه من الصعب أن نتجاوز نتائج البحوث العلمية التي سيستقر عليها الأمر ، لأن هناك بعض جوانب لا بد من الحقيقة بها .

الخيار الأول : سلاح الليزر الكيماوي

ويعتمد على توليد أشعة الليزر من الفلور والهيدروجين والديوتيريوم ، ويعتبر أن هناك مشاكل تعترض هذه الطريقة ، فمواد الكيماوية المستخدمة شديدة الاحتراق ، ويحدث عنها تآكل ، ويعترف هناك صعوبات في التغلب عليها حتى الآن .

الخيار الثاني : سلاح المرايا العاكسة .

وتتم عملية التوليد هنا على الأرض ، ثم توجه أشعة الليزر من مرايا في محطات الإرسال في الفضاء ، لتنعكس على مجموعة من المرايا المحمولة التي قد يصل قطرها إلى عشرة أمتار . ويمكن أن تحقق هذه المرايا في محطة فضائية ، من السهل تصويبها ، بعد أن حصلت عمليات صب الأجزاء الكبيرة في المحطات الفضائية بوساطة مكوك الفضاء الأمريكي ، وبعد أن نجح مكوك الفضاء الأول ، والذي يمكنه أن يجوب خارج المكوك ، ويمسك بالأقمار الصناعية أو الأجهزة المسبحة في الفضاء . ولقد أثبتت الحركة في الفضاء بدونه منذ يونيو ١٩٨٤ ، باستخدام الكرسي النفاث المتصل به خارج المكوك . وتأكدت هذه القدرة بالنجاح في إنقاذ القمر الصناعي الأمريكي المتعطل عام ١٩٨٤ ، واستبدال الأجزاء المعطوبة فيه . ولذا تعتبر عملية تجميع هذه المرايا في الفضاء أمرا سهلا ، ولكن الصعوبة قد تكمن في أن أشعة الليزر عند مرورها بطبقات الغلاف الجوي ، ثم هذه المرايا لا بد أن تفقد جزءا كبيرا من شدتها . ويحيط بهذا الأمر الذي لم يظهر من ترك ... وجه الليزر . ولا شك أن هناك حلولا تنصب على هذه المصاعب .

الخيار الثالث : سلاح الصواعق

الاسم العلمي لهذا النظام الذي مازال في طوره النظري هو الشعاع الجسيمي ، لأنه يتكون من شعاع من الجسيمات الدقيقة المشحونة بشحنات عالية ، ويمكن أن تحدث مثل ما تحدثه الصواعق الطبيعية في الأماكن التي توجه إليها .

وبعد توليد هذا الشعاع من الجسيمات ، عن طريق تعجيل يزيد من سرعة الإلكترونات والأيونات إلى درجة عالية ، ينطلق منه شعاع عالي الطاقة من الجسيمات المشحونة ، ويوجه نحو صاروخ معادي فيحرقه ، ويحرق الوقود الذي به ، ويعطب أجهزة التوجيه الإلكترونية به تماما كما يحدث عندما يتعرض جسم الصاروخ لصاعقة طبيعية من تلك الصواعق التي يصحبها البرق والرعد . ولكن الشحنة الكهربية التي تحدث الصاعقة الطبيعية لا بد أن تكون ذات قوة عالية للغاية ، قد تبلغ عدة ملايين فولت ، لكي يكون معدل تدفقها عاليا .

ويرى العلماء الأمريكيون أن سلاح الصواعق سيكون أداة مهمة للتدمير ، لكن لا يحتاج إلا ثوان من الثانية ، على خلاف شعاع الليزر الذي قد يحتاج بضع ثوان .

الخيار الرابع : المضخات النووية

في هذا النظام يحدث تفجير نووي محدود ، تتحرر منه حزمة من الأشعة السينية (أشعة اكس) ، توجه بوساطة شعاع من الليزر نحو الأهداف الصاروخية لتدميرها وتحطيمها .

وجهاً لوجه



د. عبدالحميد يونس   فاروق خورشيد

كنز معرفة جديدة إضافة وتركيب واكتشاف .

لا ألوم الفنان واكتشافاته إذا عبرت عن جمال البيئة والاستعمار لأعدائهم

الموروث الشعبي يحقق التحولات في فهمنا لتاريخ الإنسان المصري

الإنسانية هي الخيال . وهي تعود على التفكير وتشجيع التجديد

الأدب يجب أن يكون قائماً على المعايشة الحقيقية .. وتعبيراً عن الواقع .

فقدت شعري حتى الإجابة عندما أحسست وأنا أكتب كثرة الأسئلة .

أتمتع بذاكرة بصرية قوية .. والقراءة والكتابة وسيلتي لتحويل المسموع إلى مرئي

الدكتور عبدالحميد يونس هو رائد الدراسات الشعبية في الجامعات العربية، فهو أول استاذ لكرسي الأدب الشعبي الذي أنشيء في جامعة القاهرة، كما أنه درس هذه المادة في كل الجامعات العربية تقريبا ان لم يكن مباشرة، فعن طريق تلاميذه الذين تخرجوا عليه وتخصصوا في هذا الفرع من الدراسات التي كانت غائبة عن اهتمامات الجامعات العربية من قبل. وقد انتخب الدكتور يونس في شهر أغسطس هذا العام رئيسا لجماعة القصص الشعبي التي عقدت أول اجتماع لها في تونس تحت رعاية الجامعة العربية، وقبل هذه بأسابيع تسلم الدكتور يونس جائزة مؤسسة التقدم العلمي في الكويت فرع الدراسات الأدبية لهذا العام والتي خصصت للدراسات في الفن الشعبي، وذلك لدوره الرائد في هذه الدراسات، وأبحاثه المتخصصة، واضافاته الجديدة والقيمة الى حصيلة المعرفة العلمية في هذا الميدان، ومن قبل حصل الدكتور عبدالحميد يونس على جائزة الدولة التقديرية من المجلس الأعلى للثقافة في القاهرة.

والدكتور عبدالحميد يونس من مواليد ٤ فبراير عام ١٩١٠ ونشأ في حي السيدة زينب بالقاهرة، وكان عضوا في فريق كرة القدم بالخديوية الثانوية. وفي أثناء تدريب هذه اللعبة اصطدمت رأس زميل منافس بوجهه، وأغمي عليه، وفي المستشفى عرف أنه في الطريق الى فقد ابصاره كلي ثم تدريجيا. وقد مضى لتحصيل على شهادة اتمام الدراسة الثانوية رغم الظروف الجديدة التي أحاطت به. ونجح بعد محاولات ثم التحق بكلية الآداب قسم اللغة العربية. وهناك حصل على درجة الماجستير عن سيرة الظاهر، والدكتوراه عن السيرة الهلالية، وانضم الى جماعة الأمناء التي كونها استاذه أمين الخولي.

أجرى الحوار معه فاروق خورشيد أحد الدارسين للأدب الشعبي والمهتمين بالسير الشعبية على الخصوص، وله عدة كتب مطبوعة في هذا الميدان، وله محاولات في ميادين القصة والرواية والمسرحية والنقد الأدبي، وقد عمل فترة في اذاعة القاهرة، ودرس مادة الاعلام في أكثر من معهد اعلامي عربي. وهو صاحب فكرة انشاء مشروع للأدب الشعبي بالمعهد العالي للفنون الشعبية بأكاديمية الفنون بالقاهرة الى جوار عمله الأصلي ككاتب وأديب مخرج.

* * *

قلت له في أول اللقاء: نحن متفقان في أشياء كثيرة، ولكني أحب أن نختلف في حوارنا.

قال: ان لم يكن هناك اختلاف، فلا حوار هناك.

قلت: هذا استهلال مريح، لموعد لعل ألا يغضب الأستاذ من تلميذه.

فضحك وقال: وتعدني ألا يغضب التلميذ من أستاذه.

قلت: ما تعودنا في حياتنا أن يغضب التلميذ من أستاذه، فله حق الرعاية والأبوة والصداقة معا، وكلها تجعل من الخلاف نوعا من الأستاذية لتلميذه عليه أن يفهمه ويدرك مغزاه، ويعطي صدره للعتب عليه..

قال: كلماتي في مناقشة فلست أحسب أن المسافة بيننا تحتاج الى كل هذا، وليتنا ندخل في الموضوع المطروح مباشرة.

- جائزة مؤسسة التقدم العلمي -

قلت: حصلت على جائزة مؤسسة التقدم العلمي في الكويت وهي أول جائزة تمنح لباحث عربي في ميدان الأدب الشعبي. وقد نافسك في الجائزة ثلاثة متقدمون، كما نافسك في الجائزة كل من كتب بحثا في الأدب الشعبي أو الفن الشعبي على العموم، فما تقييمك لهذا السلوك من ناحية، وما رأيك في الجائزة من ناحية أخرى؟

قال: التقدم للجوائز حق مشروع لكل صاحب جهد علمي يرى أنه يؤهله للتقدم الى الجائزة. وكلما ازداد عدد المتقدمين الى جائزة زاد هذا من قيمتها وأهميتها، لأنه يعني أننا قد أصبحنا من الثراء العلمي بحيث أفرز مجتمعنا نخبة كبيرة من أبنائه يحسبون أنفسهم بالاجتهاد العلمي في مختلف التخصصات العلمية، ومنها هذا التخصص وهو ـ كما تعلم ـ تخصص جديد في ميدان الدراسات الأدبية العربية..

قلت: كثيرون من دارسي الفولكلور في عالمنا

الشعبي اليوم .. وقد كثروا عدداً ونشطوا .. يعتبرون اصحاب الدرس الأدبي .. متطفلين على الدراسات الشعبية ، ويصفونهم بأنهم يبحثون عن الفن الشعبي من مكاتبهم .. فما قولك في هذا الموقف .. ؟

قال : الدراسات الفولكلورية في العالم كله قامت على أساس من الدراسات الانثروبولوجية والسوسيولوجية والاثنولوجية ، ومن هنا كان الاهتمام بها يستقطب دارسي الاجتماع والانثروبولوجيا .. وهؤلاء أساساً يعتمدون على مناهج بحث مقررة علمياً من قبل ، وتدور كلها حول الجمع الفولكلوري الميداني ، ثم التصنيف ، ثم المقارنة ، ثم تبويب النصوص الفولكلورية ، وتصنيفها آخر الأمر .. ونحن في كل هذا في مواجهة عمل ميداني ونصي بالدرجة الأولى ولامكان فيه لبروز ذاتية صاحب الأدب وصنعتهم وتذوقهم الشخصي . ولهذا فأنا لا ألوم الدارسين العرب الذين يتحمسون لهذه المناهج التي وإن تعددت إلا أنها تصب آخر الأمر في مصب واحد ، ونتيجة نحو هدف محدد ، هو تقريبه من الكشف عن المجهول الفولكلوري عند الشعوب ، وخصوصاً الشعوب النامية والبدائية .. ولاشك أن الكثير من نتائج هذه الدراسات كان مفيداً في فهم التطور الحضاري للانسان ، وفي تحديد معنى الحضارة ومراحل تطورها سواء عند شعب ما بالذات ، أو عند الانسان بمعناه الأشمل والأكمل .. ولاشك أيضاً ان الكثير من نتائج هذه الدراسات قد أفاد من أرادوا قيادة الشعوب البدائية ، أو التي مازالت تعيش في مرحلة متخلفة وفي بلاد غنية بالثروات الطبيعية المهملة لتطويع هذه الشعوب لارادة من يستغلون نتائج الدرس والبحث الفولكلوري استغلالاً سياسياً أو بمعنى أصح استعمارياً ..

الشعوب النامية

قلت : ألا تظن أننا نقدم بالعلم والكتابات لهم ماسيخدمه رجال السياسة والاستعمار لأهدافهم ؟

قال : بالطبع لا ، ولكني أقرر حقائق علمية لابد من وضعها في الاعتبار الجاد عندنا نحن بالذات فنحن من هذه الشعوب التي تدرس - ومازالت - محل جمع فولكلوري وتصنيف وبحث ..

قلت : نعود الى سؤالنا الذي جر الى كل هذا الحديث .

قال : نحن في صميم الاجابة عن سؤالك .. ان الكثير من أجزاء مجتمعنا وخصوصاً في أفريقيا وفي المناطق الصحراوية البعيدة عن مركز الحركة الحضارية ظلت بعيدة عن نظر الدارسين الفولكلوريين بالمعنى ، من أصحاب كتب الرحلات وكتب الطرائف وكتب العلم المنهجي والمتخصص . وهؤلاء استهدفتهم الابحاث الحديثة بتركيز واهتمام زائد . اما بقية أجزاء مجتمعنا التي تطورت وتحضرت ، في قلب الحركة الحضارية في مراحل متقدمة من التاريخ الانساني ، فهي قد تم مسحها فولكلورياً على أيدي المؤلفين القدامى فدونوا لنا العادات والتقاليد ، وأثبتوا لنا الطقوس والاحتفالات الدينية والموسمية والاجتماعية عبر العصور ، كما دونوا لنا الموروث الفولكلوري الشعبي ، والأدب الشعبي الذي اعتمد عليه واستغله في تكوين ثروة أدبية شعبية هائلة هي التي يهتم بها الآن من اصحاب الدرس الأدبي ، ومن ثم يجب أن نفرغ من دراستها دراسة معاصرة نعتمد على المنهج الفولكلوري والأدبي معا لنحقق نوعاً من التوازن في فهمنا لتاريخ الانسان العربي وشخصيته ومكوناته عبر التاريخ .

قلت : .. بالفعل الانسان يحس في ابرة اللاعب مكونات الشعب الواحد بحس حقيقي في المهرجان الشرقي المتعدد ، وكيفية تجارة المصريين وخلق الاحتفال الطائفية والعرقية في كل مكان في العالم العربي الآن ، وهذه لايمكن ان يتم الا بدراسة عميقة ورؤية للجذور ، وما الجذور الا الجذور الفولكلورية لكل مجتمع .

قال : أنت محق الآن ، ولكن ليس معنى هذا ان نتوقف عن الدراسة بل لابد من الاستمرار فيها وبسرعة ، ولكن على الدارسين الفولكلوريين أن يخرجوا عن مكاتبهم المحصورة ، وأن يخرجوها وبسرعة في خدمة المفاهيم الاجتماعية السياسية الصحيحة ، وان يقدموا نتائج دراساتهم لنا أولاً ثم بعد هذا لأصحاب الأغراض المتنوعة والأجهزة المغرضة والمعادية والمرتبطة المالية ، وأن يكونوا على حذر وهم يعطونه ، حذر العارف والمغامر ، وحذر الوطني الذي يحس

لبلاده وقومه أولاً . والذي يعرف أن العنصر وإن كانت ملكاً للشعب . ولكنه أخيراً عنصر ضرورة قومية في عملية التنمية الاجتماعية وضرورة قومية في عملية التوحيد لا التفريق . وعملية البناء لا الهدم . وعملية تعميق الحس القومي لا تعميق الطائفي أو العرقي .. وإننا ونحن نجد كل الدارسين العرب ، أيا كانت الجنسيات التي تشرف على دراستهم الفولكلورية يعرفون هذا الخط . ويدركون جوهر الهدف .. ويضعون نصب أعينهم أن الخصوصية الفولكلورية لبيئة أو مجموعة إنما هي إحدى المكونات أو الشرائح للكل الفولكلوري العربي الشامل ، فالخاص الشعبية الخصوصية إنما هو وسيلة رئيسية لمعرفة العام المشترك في المكون العربي الكلي . ونحن أصحاب المدرس الأدبي نستفيد من هذه البحوث الميدانية كل الاستفادة . ونحن نقيم نتائج أبحاث السابقة على مخرجات الكشف العلمي الفولكلوري الجديد على أيدي أصحاب البحث الميداني . وبالتالي فالهجوم على المدرسة الأدبية للأدب الشعبي مغلوطة في رأيي ومحتاج إلى وقفة طويلة لأن الدراسات التي قام بها أصحاب المدرس الأدبي للموروث الشعبي قامت وتقوم دائماً إلى سمو القومي وأبرزت وتبرز دائماً وحدة الموقف ووحدة المعاناة ووحدة الأمل ..

قلت : تحمل هذا كثير من أصحاب التحولات الذاتية التي يتخذ لعرض أصحاب تدريس الأدبي عنه . مرة باعتباره من « الفلكلور » عامة . ومرة باعتبارها من الأدب الخاص كما حدث لألف ليلة وليلة . ومرة باعتبارها تخرج من خط الحس الأدبي الصحيح ..

قال : يخطىء من يظن أن أصحاب المدرس الأدبي يلوون عنق هذه الأعمال الشعبية لتنطق بالحس القومي . وبالمعطاء البناء . بل الحقيقة هي أن هذه الأعمال نفسها ناضحة بالموقف والرسالة . وأحسب أن الدارس بعد أن يكمل عملية اكتشافها واستنطاق كل مضمونها وأبعادها .. وهي مهمة نكلها بكل ثقلها وعنائها إلى أصحاب الجد من الدارسين في الأدب الشعبي ، وفي الأدب العربي بعامة

- الأدب والحياة -

قلت : ألا ترى أن الأدب هنا تشابك مع السياسة إلى حد ما ؟

قال : بل قد تشابكت مع الحياة ، فنحن من مدرسة الفن والحياة .. ولذا كان غريباً يعد أن العلم والفن والأدب وسيلة إلى السيطرة والقوة فلماذا لا نفصل نحن هنا أيضاً ؟ سأحكي لك تجربة من حياتي أنا .. عندما كنت طالباً في المدرسة الخديوية كنت في فريق كرة القدم بالمدرسة وحدث في أثناء التدريب أن اصطدم رأسي أحد اللاعبين برجليه فأغمي علي ، وعندما أفقت وجدت الدنيا تظلم في عيني ، ونقلوني إلى المستشفى وبعد عدة عمليات فقدت الأمل في الاستعادة الكاملة للإبصار . ولكن هذا لم يثنني عن مواصلة الدراسة . وبعد توقف عامين كاملين تقدمت إلى امتحان « البكالوريا » وهي المقابل للثانوية العامة هذه الأيام . وبعد عدة محاولات نجحت في الحصول على هذه الشهادة التي تؤهل للالتحاق بالجامعة . ولقد حاولت الالتحاق بكلية الحقوق لرغبتي في ممارسة العمل السياسي الذي كانت شهادة الحقوق ، أيامها ، هي الباب الأمثل إليه . ولكني لم أنجح في هذا فقد كان فقدي للبصر عاملاً أساسياً في هذا الإخفاق .. والتحقت بكلية الآداب . وكانت رغبتي الأولى أن أدخل قسم الفلسفة لأني كنت أريد أن أدرس الحياة الاجتماعية لأن الدراسة في هذا القسم وقتئذ كانت تشمل دراسة الفلسفة والاجتماع معاً .. كما كنت أفكر في الدراسة بقسم اللغة الإنجليزية فقد كنت ولوعاً بقراءة الأدب الإنجليزي وكنت في بعض الترجمات المبكرة لقصص ومقالات نشرت في بعض المجلات . وهنا حدثت مفارقة غريبة هي التي أصابت بشكل هذا الاستشهاد . فقد بدأ الاهتمام بشكل يأخذ شكلاً ملفتاً وذلك من بعض الجمعيات الدينية والإنسانية الخيرية . بل وجدت أن بعض السيدات الأجنبيات والمصريات من هم المثقفات يتصلن بي ويساعدنني في الدرس والقراءة والكتابة .. ووجدت سيلاً من الكتب يتدفق علي . والمدهش أن كل هذه الكتب ترتبط بالدين المسيحي . وبلغت المسألة حد الخطورة حين وجدت رئيس قسم اللغة الإنجليزية في كلية الآداب وهو رجل انجليزي

يدعوني الى الكتابة ويحرضني على حضه الى الدخول قسم اللغة الانجليزية . وقال لي انني سألقى كل العناية والرعاية . ولكن بعد التشجيع والحصول على الموافقة يمكن ان اكمل تعليمي في انجلترا . وشجعني ايضا انه سيخصص لي سكرتيرا يقودني في الطريق ويقرأ لي ويكتب باللغة الانجليزية .. وللمرة الاولى تولدت عندي فكرة مستمدة من تحصيلي باللغة الانجليزية وتفوقي فيها وانه يتوقع لي مستقبلا زاهرا في موضعي بالقسم ..

ـ الاضافة أولا والاضافة أخيرا ـ

قلت ـ ومع هذا لم تلتحق بقسم اللغة الانجليزية .

قال . خفت كثيرا من العملية التبشيرية كانت قد تحصنت لي . ولنا عندما اجد امامي افتراضات في ميزة اتريد منها واجد التفكير مقولا معرفة ما الذي يكمن وراء كل هذه الافتراضات .. ومع هذا كنت من الممكن ان التحق بقسم اللغة الانجليزية لولا انني سألت نفسي سؤالا مهما واننا ما اطرحه على نفسي عندما اجد نفسي في مفترق طريق . وهذا السؤال هو : ماهي الاضافة الحقيقية التي سأضيفها انا في دراسة الادب الانجليزي ؟ وعلى هذا دخلت قسم اللغة العربية وكلي امل ان تكون الدراسات الى اضافة شيء جديد .

ـ سألته وكيف دخولك قسم اللغة العربية يا دكتور ؟

قال : شخصية الدكتور طه حسين . وكنت معجبا به كمثال للقدرة على التغلب على الظروف الشخصية القاهرة . وشق الطريق بالارادة والمعرفة . وكنت قد قرأت له قبل ظروفي البصرية بعض رواياته التي كان ينشرها في كتابه الايام في مجلة الهلال .. ثم اني لا انكر انه بالفعل أحدثت ضجة لدراسة الادب العربي حركت في شوقي لدراسته عن بعد

قلت : تكررت كثيرا كلمة الاضافة كشيء مهم وضروري فماذا تعني بها ؟

قال .. ـ الاضافة هي الغاية .. فليس معقولا ان يقدم جيل جاهد للدرس والبحث دون ان يكون هدفه الاساسي هو الاضافة الى ما هو قائم وموجود . والاضافة في هذه الحالة ترد على القسم في حد ما . والتقديم والتجديد الى ابعد حد . وعندما دخلت قسم اللغة العربية بكلية الاداب كان هدفي توجها ذاتيا . كان هناك من يدرس اللغة العربية والادب العربي بطريقة تقليدية جامدة . وكانت هناك التعريفات



الدكتور عبد الحميد يونس اثناء حديثه مع فاروق خورشيد

ويتحاورون ، والمتعلمون ذلك الاضافة أو الحاجة الفرصة لخلق هذه الاضافات الجديدة . فمثلا لما وجدت مدرس الشعر في الكلية يصر على نص الشعر وجدت تلك تعلمتها في مدرسة محمد علي الابتدائية ، يعني كان هناك أساتذة يطلبون حق الرؤية الجديدة في كل شيء ومنهم الأستاذ ابراهيم مصطفى والأستاذ أمين الخولي الذي أحسست أنني مرتبط بمنهجه ، مرتبط بالحضارة ، مرتبط بالقرية . وكنت أرى أن الكثير من دراساته لا تتناول الأشياء الحقيقية ، أنا لا أعني العلمية الصحيحة ولكن أنا أعني المعايشة ، أن يكون الشخص ابن الحقيقة والواقع . .

ـ أدب الثورة ـ

قلت : لكي يكون درس الأدب مبنيا على المعايشة يجب أن يكون الأدب نفسه قائما على المعايشة الحقيقية ، وصادرا عن الواقع . .

قال : وهذا ما أعنيه ، ولما صدر كتاب اسماعيل الشيخ بأدب سنة ١٩١٩ أدب الثورة ، أدب الخطب والشعر والزجل والأغاني التي تترجم عن عواطف الثورة ، ثم عن ثورة الشعب على الاحتلال . وهذا ما دفعني بعد الانتهاء من الليسانس أن أتجه الى دراسة أدب سنة ١٩ في الماجستير باعتباره أدبا شعبيا يتضمن بلا شك أدبا شعبيا حيا . وقد وافق أستاذي أمين الخولي على هذه الدراسة ولكن واجهتني صعوبة جمع المادة فقد كانت متناثرة ، ولم يكن تجميعها بالأمر الهين عن طريق الصحافة . وبعدها اتجهت الى دراسة أدب (بين يدي) فكانت رسالتي للماجستير عن الظاهر بيبرس ، ورغم صعوبات الدرس فيها إلا أن مشاكلها كانت أخف من مشاكل الدكتوراه التي واجهت فيها صعوبات جمة وخصوصا من جانب المتمسكين بالمحافظة في الكلية . وكانت الدراسة في الدكتوراه كما تعرف عن السيرة الهلالية .

ـ القرية والسيرة الشعبية ـ

قلت : ـ ولماذا السيرة الهلالية بالذات ؟

قال : ـ هناك سبب شخصي ، فعندما كنت أذهب الى القرية كنت أسمع الشاعر ينشد هذه السيرة ، وكانت القرية منقسمة بين من يتعصبون الى الزغبية وبين من يتعصبون الى الهلالية . كما أنني وجدت في (خزانة) الكتب في البيت نسخة قديمة جدا من الهلالية قرأتها في وقت مبكر . وقد أحسست أن السيرة تعيش في القرية ، بل ان السيرة تؤثر في السلوك والعادات بل في الأزياء وطريقة الكلام أيضا عند الناس . . والواقع أن معظم معلوماتي استقيتها من الملاحظة قبل القراءة . ومن هنا كان عملي يتجه الى حد كبير الى الاستفادة من الدرس الميداني الى جوار الاستفادة من القراءة والتدوين .

قلت : ـ عفوا ، لست أفهم هذه النقطة .

قال . أعني بالنسبة للظروف البصرية الخاصة . . أنا بالطبع أتمتع بذاكرة بصرية قوية وهي ذاكرة لونية وضوئية محفوظة أيضا . والقراءة والكتابة وسيلة لتحويل المسموع الى مرئي . . والشعر عندي يتحول الى مجموعة نغمات ، هذه النغمات تتحول الى صور لكي يرتبط بموضوع من خلال النطق الأساسي تتحول الى معنى واضح وهذه الظاهرة أيضا تتمثل عندي في الايقاع المصاحب للكلام . وهو ما يحس في صورته الأخيرة في الرقص ، ولكن في صورته الخفية يمثل الايقاع المصاحب للكلام . ولذا أقول لطلبتي دائما ان الحركة والاشارة والايماءة جزء من الابانة . وهذا هو الذي يجعلني أكثر حساسية لما حولي ، وأكثر استفادة من الملاحظة الدقيقة لكل ما أسمع . .

قلت : ـ فكأن كل معرفة جديدة عندك ، اعادة تركيب .

قال : اعادة تركيب واكتشاف ، ومن هنا كانت محنة الدراسة الشعبية عندي ، فهذا اتجهت اضافة الى مطالعاتي الأدبية من ناحية ، والى دراساتنا الاجتماعية بلقيس العلم من ناحية أخرى . . وبعد هذا أصبح الدرس الشعبي استمرارا للتوعية التخصصية ، واستمرارا في نفس الوقت لمحاولة الكشف . فأنا الى الآن أكتشف . وأنا أقول لطلابي دائما ان التخصص ليس شيئا مغلقا ، بل لا بد من الاضافة والكشف مع الاستفادة من المناهج الجديدة التي تقوم على العمل الميداني والملاحظة الواقعية .

قلت : أنت تكلف الدارس أن يستفيد من عصر قبله ولكن على ألا يردد ما قبله دون مناقشة .

قال : ـ على المستوى الفردي هذا صحيح ، ولكن

على المستوى العلمي هناك أيضا ملاحظة هامة .. فمن سوء الحظ أننا لا ننظر نظرة علمية تكاملية إلى الدراسة الجامعية بمعنى أن كل من صاحب فكرة يسجلها للدراسة الجامعية ويوافق عليها الأستاذ، ويوافق عليها القسم دون مراجعة للدراسات الجامعية السابقة. إذا يجب قبل الموافقة على دراسة علمية جديدة أن نراجع ما تم، ونخطط لما يخصنا في مجال البحث العلمي.

- التخطيط للدراسة الجامعية -

قلت: - تعني داخل التخصص الواحد في جامعة بذاتها.

قال: بل أعني داخل التخصص الواحد في كل التخصصات العربية ككل، بحيث تتكامل الدراسات، فالثقافة واحدة، وهمومنا واحدة، وكل بحث جديد يلقي ضوءا على تراثنا ككل فيجب أن نشترك في التخطيط الكلي لمسير الدراسات في مجالات متكاملة ولا نكرر دراسة سبق أن قدمت بجامعة أو أخرى ليضيع الجهد ولا نحصل جديدا.

قلت: - لا يختلف أحد على أهمية هذا، ولكن هناك ملحوظة هامة بالنسبة لاتجاهك. فأنت كما تهتم بالأدب الشعبي تهتم اهتمامك وتحمسك بالترجمة.

فتطلع قائلا: - هذا تكامل في العمل فالاكتشاف لا ينبغي أن يسير في اتجاه تعميق فقط وإنما ينبغي أن يتجه أيضا إلى الحياة المحيطة حولنا. والحياة المحيطة حولنا لن نعرفها إلا بالقراءة في الثقافات الأخرى وترجمة ما في هذه الثقافات إلى العربية. وفي عهد الشباب كان اهتمامنا بالاطلاع بالإنجليزية كبيرا ومن حسن حظنا أن المجلات الإنجليزية والكتب كانت نيرة وكانت رخيصة الثمن.. وفكرنا أن نترجم دائرة المعارف البريطانية، وكانت فكرة طموحة. واتصلنا بمن طلبوا ثلاثة ملايين جنيه استرليني وكانت هذه في الثلاثينيات، وبالطبع ماتت الفكرة. وأخذنا نترجم بعض القصص والمقالات وننشرها في المجلات الثقافية إلى أن بعث كل واحد منا مع دكتور محمد ثابت الفندي فكرة أن نترجم دائرة المعارف الإسلامية على أن نستفيد من الأساتذة المتخصصين في الرد على آراء المستشرقين في بعض المواد. وبدأنا العمل بالفعل ثم توقف المشروع لأسباب مالية وإدارية. ولكني لم أتوقف عن الترجمة حتى الآن فأنا من هواة الترجمة.

قلت: أي أن الترجمة تدخل في مجال الهواية.

قال: - هي هواية وهي عمل. فالترجمة مكتوبة حقيقية ليست مسألة تحويل الألفاظ من لغة إلى لغة، ولا ترجمة المعاني. وإنما المهم هو ترجمة الأساليب الفنية وخصوصا في الشعر والقصة والمسرح.

قلت: - يدور سؤال هنا عن قدرة اللغة العربية على التعبير عن هذه الفنون والمضامين

قال: - لا ننسى أن اللغة العربية استغرقت بكيانها ثابتة مدة طويلة، وشملتها مفردات جديدة عليها على صعب، ولكننا كنا نتغلب على الصعوبات بعملية نحت وتعبير، دون أن نغير من تقاليد اللغة العربية الفصيحة. وقد صنعنا نقلة حضارية في الفصحى ولكن بحذر

قلت: - يصعب القضية إلا أنني تحفظا في أن تكون أستاذا للأدب الشعبي ولا تكتب بالعامية.

قال: - أنا لا أكتب بالعامية لأن لغتي هي العربية أعتز بها وأكتب بها وأترجم بها أيضا. والأدب الشعبي ليس أدب العامية، وإنما أدب العامية جزء منه يدرس ويناقش. وأنا أحتفي بالنص الشعبي وأحترم نصه ولكني حين أكتب عنه أكتب عنه باللغة الفصحى. وهذه مشكلة قديمة وتاريخية أعني مشكلة الفصحى والعامية، ولكنها بالنسبة لنا محلولة. لأن النص الشعبي لا يأخذ صفة العروبة بعاميته، ثم لا نستطيع من الأدب الشعبي العربي بصفة إلا الأجزاء التي يعرفه بلغة الأدب الشعبي، وهي فصحى أو قريبة جدا منها، ولا تختلف عن الفصحى إلا ببعض الاختلافات الفونولوجية البسيطة. ولكنها أخيرا الأمر تقريب للمستويات العربية المختلفة، وتقريب بينها وبين الفصحى الأم. المهم أن يكون الاتجاه - كما قلت معك في أول حديثك - إلى التوحيد لا إلى التجزئة. والعربية الفصحى تجمع وتحقق الارتباط، وهي قابلة لاستيعاب الاختلافات وتبحث عن صيغ عامة تحقق الارتباط الثقافي والفكري، حتى الشعبي منه في كل المنطقة العربية.

المُرَكَّبَات سريعة التبخر وتلوث البيئة

بقلم: د. عدنان الظاهر

بعيداً عن مفهوم التلوث المألوف وخطر السموم الكيميائية والموت بالأشعة، تمثل بعض المركبات المتطايرة أو سريعة التبخر عاملاً آخر من عوامل تلوث البيئة. لكن هذا العامل له خصائصه المميزة، وعلى رأس هذه الخصائص أنها ليست سامة وأنها لا تمثل أي خطر معروف على صحة الإنسان وعلى مستقبل أجياله القادمة.

لا شك أن نكون متحمسين فضلاً لأن نتعرف على الجوانب البيولوجية لأبخرة مثل هذه المركبات أو نتعرض لها بشكل عملي صحيح.

لم تم تصنيفها كعامل من عوامل تلوث البيئة؟ والجواب: في كونها تنفث روائح كريهة بعضها منفر للإنسان ولا تتقبلها حاسة الشم لديه، فهي والحالة هذه تصنف ضمن ملوثات الهواء تجري بانتشار جزيئاتها فيه بين جزيئات مكوناته الأخرى وهي النيتروجين ٧٨٪ وغاز الأوكسجين وحوالي ٢٠٪.

إذ ليس بالضرورة أن يكون عنصر التلوث قاتلاً، بل يكفي أن من شأنه أن يسيء إلى الذوق العام شيئاً أو يعكر جواً صحياً. نعم، فالأصوات العالية تمثل تلوث البيئة وتسيء لحاسة السمع، ثم إلى الصحة النفسية والبدنية على حد سواء.

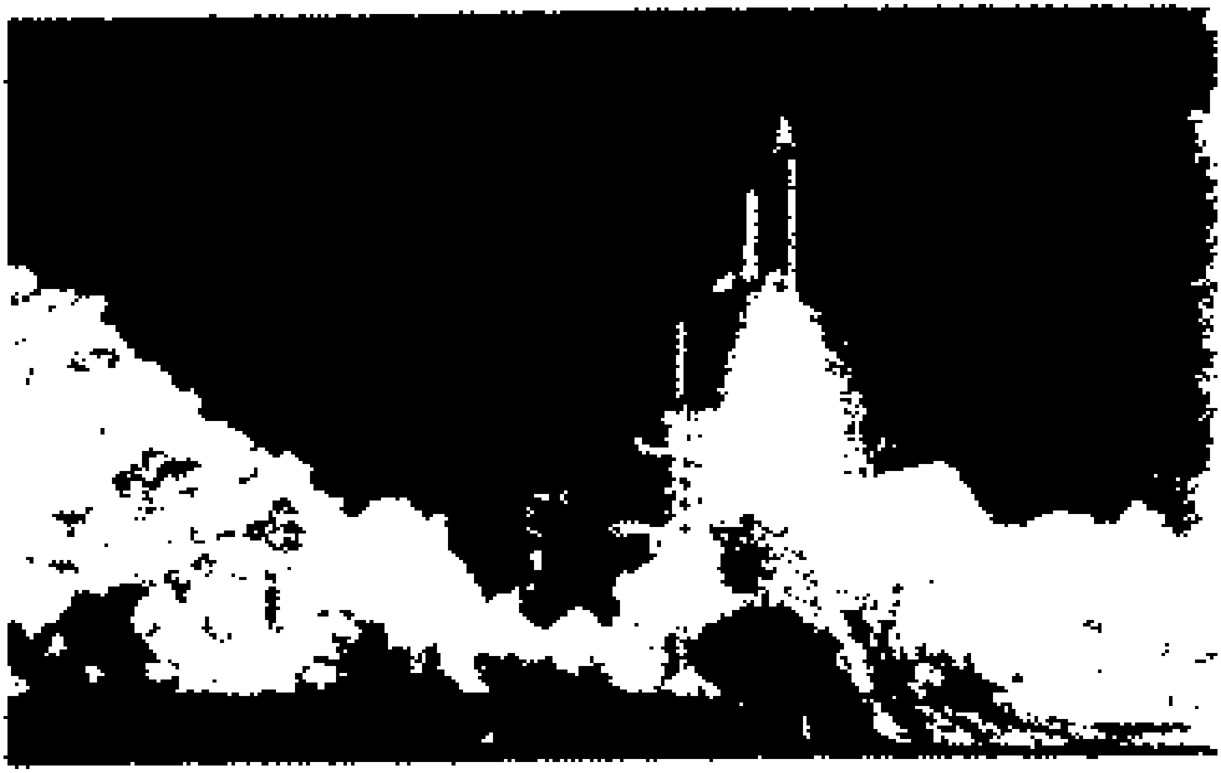
الأمينات والنايتروجين

أظهرت بعض الدراسات أن من بين الروائح الكريهة جداً مركبات عضوية يدخل النايتروجين في تركيبها عنصراً أساسياً، ويستطيع أنف الإنسان وحده تمييز كل من هذه الخصائص المنفرة للذوق. مع أن غاز النايتروجين كجزيئة ذات ذرتين لا رائحة له، ويعتبر بشكل النسبة الأعظم في الهواء الذي نتنفسه نحن.

هذا صحيح، ولكن يوازيه في الصحة القول إن ليس كل المركبات التي تحتوي بنحو ما على ذرة نتروجين أو أكثر تتميز برائحتها الكريهة. والمثال على ذلك محلول الأمونيا (النشادر) أو بخارها. صحيح أنه نفاذ وحاد، لذلك يستخدم أحياناً في المستشفيات للتنبيه من حالة الإغماء أو بعض الحالات الهستيرية، كتنبيه للغائب عن الوعي أو المغمى عليه.

لكن رائحة الأمونيا على أية حال ليست كريهة، ولذا يستخدم هذا السائل كمنظف في البيوت كمنظف جيد.

في جزيئة الأمونيا ذرة نايتروجين واحدة ترتبط بها ثلاث ذرات هيدروجين. لكن هل هناك علاقة بين عدد ذرات النايتروجين في جزيئة ما وبين خصائص هذه الجزيئة الشمية؟ وهل هناك علاقة بين هذه الخصائص وترتيب ونوع ارتباطات ذرة أو ذرات



النيتروجين بذرات العناصر الأخرى التي تشكل البناء الهندسي والتوزيع الفضائي للجزيئة !

ليس من إجابة شافية عن السؤال الأول بعد . ولكن التركيب الجزئي المعروف يجيب عن السؤال الثاني بنصر . فحين تحل مجموعة المثيل CH_3 Methyl group محل ذرة هايدروجين في جزيئة الأمونيا NH_3 يتكون رابطة كيميائية جديدة لم تكن موجودة أصلاً في جزيئة الأمونيا . إنها الآصرة التي تربط ذرة النايتروجين الأساسية المرتبطة بذرة الكربون القائمة في مجموعة المثيل . ويعطي المركب الجديد ويسمى الأمين المثيلي Methy- CH_3NH_2 lamine عبقاً برائحة الأمونيا النفاذة الصادمة خلافها حاسة الشم . ولكن الصورة تنقلب كلية إذ تحل مجموعتا مثيل محل ذرتي هايدروجين في جزيئة الأمونيا . عندئذ يكتسب المركب الجديد ويسمى الأمين ثنائي المثيل رائحة كريهة لا يطيقها المرء .

وكذلك الأمر فيما لو حلت ثلاث مجاميع محل ذرات الهايدروجين الثلاث في جزيئة الأمونيا فهنا تصبح الرائحة أكثر قوة وأشد إزعاجاً للأنسان والحيوان . ويتفاقم الأمر أكثر عندما تحل مجموعتا الـ Ethyl group أو أكثر محل عدد مساو من ذرات الهايدروجين . فتكون الروائح من الأمين ثنائي الأثيل والأمين ثلاثي الأثيل .

ويكون هذين المركبين روائح أشد وطأة لنسيج المخاطي الذي يغطي الأنف والحنجرة وسائر ممرات الجهاز التنفسي الملازمة . الأمور التي تفصح بوضوح الكبير في تغيير رائحة الأمونيا من شيء مقبول إلى أمر كريه لا يطاق يجعلنا نركز على أمر نتوصل أكثر عن طريق الاستدلال بالفرضية . قررت أن أقول إن ذرة الكربون بالذات المحاطة بثلاث ذرات هايدروجين أي مجموعة المثيل هي السبب الأول والأخير في إعطاء المركب الجديد . الأمين ثنائي أو ثلاثي المثيل هذه الصفة الخاصة الكريهة . فالأمر قريب جداً من جزيئة غاز الميثان CH_4 حيث تحيط بذرة الكربون المركزية أربع ذرات هايدروجين كما هو واضح من التركيب الجزئي . ورائحة هذا الغاز السام الخانق معروفة وكثيراً ما يتسبب في خنق عمال المناجم وطيور الكناري وعمال تنظيف البالوعات وحفر بقلبها وعمال الأمينة قبل اتباع هندسة المجاري الحديثة . هناك مركبات كيميائية أخرى مشهورة

بخصائصها السيئة أو بروائحها الكريهة ، تتميز بحصول مركبات معينة في تركيبها الجزئي (وهو أمر يحتاج للمزيد من التعمق) وتبرز هذه الظاهرة في الكبريت كما في حالة غاز كبريتيد الهيدروجين وغاز ثاني أوكسيد الكبريت السام ثم ذرة الفسفور كما في غاز الفوسفين والكلور والكاربون في الفوسجين الخانق الذي ينطلق من أواني ومعدات البلاستيك المصنوع من مادة الكلوريد متعدد الفاينيل نتيجة حرقها أو احتراقها قضاء وقدرا . وأخيرا ذرة النايتروجين كما في حالة غازات النايتروجين . ولا ننسى أول أوكسيد النايتروجين وثاني أوكسيده وهي تعتبر من ملوثات الجو الغازية السامة وذات الخطورة . الغريب في الأمر ، ولا غرابة في العلم ، أن هذه العناصر غير الفلزية تدخل في تركيب مفاصل جسم الإنسان المختلفة . ويقتضي نقصها يؤدي إلى ما لا يحصى له من العيوب والأضرار التي تهدد صحة الإنسان ، فالعنصر نافع والنافع ضار ، ولا ننسى أن في القليل من سموم الأفاعي العلاج الشافي للكثير من الأمراض .

لست أدري لمن المحتمي إثارة السؤال التقليدي حول طبيعة تأثير الروائح الكريهة : أهو ذاتي أم موضوعي ؟ أي أهو كائن في التركيب الخاص لمادة خاصة ، أم أنه يؤثر بخصوص خلايا معينة في أجسامنا ؟ ثم لماذا تؤثر مركبات معينة في خلايا خاصة وكيف ؟ لقد أخلت الفلسفة مكانها للعلم ، وفي التفاعلات الكيميائية نجد مفتاح الجواب الشافي .

تجربة علمية :

قامت مجموعة (٤) من الباحثين الكيميائيين في مركز أبحاث الفنون الطبي في مدينة أوساكا وكلية الهندسة في جامعة هوكايدو في اليابان عام ١٩٨٢ بتجربة ، ولقد اكتشف فيها بطريقة الكروماتوغرافيا الغازية الكيفية تكوينا خاصا للكشف عن آثار بعض الغازات في الجو . لقد ركز هؤلاء الباحثة على أماكن وبيئات خاصة وكما يلي :

١ ـ جمعوا عينات من هواء زريبة مواشي .

٢ ـ وعينات هواء من منطقة صناعة تجميع فضلات المواشي .

٣ ـ وغازات ناتجة عن تخمير فضلات خنازير .

٤ ـ وهواء من حقل دواجن .

٥ ـ والقليل هواء من حوالي جهاز تخمير فضلات دجاج وطيور .

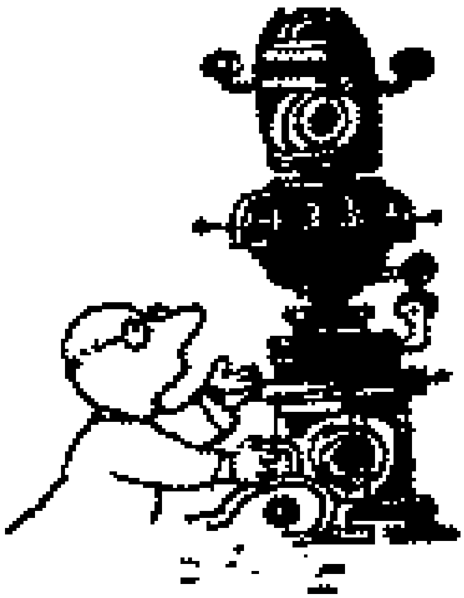
فماذا اكتشف هؤلاء الباحثة ؟ لقد اكتشفوا وجود غاز الأمين ثلاثي المثيل TRIMETHYLA-MINE في هواء زريبة المواشي بتركيز يساوي ٨٨ جزء في البليون كما وجدوا غاز مركب الأمين المثيل Methylamine في الجو المحيط بجهاز تخمير فضلات الدجاج والطيور بتركيز يبلغ ٢٩٧ .. جزء في البليون فضلا عن الأمين ثلاثي المثيل بتركيز مشابه متوجد في أجواء حظيرة الأبقار .

هذه التجربة تثبت بشكل قاطع أن الروائح الكريهة التي نشمها في أو بالقرب من حظائر المواشي والطيور وأماكن لمة فضلاتها (وربما يصح الأمر على الحيوان وفضلات الإنسان أيضا) إنما سببها مركبات كيميائية من نوع الأمينات التي يدخل كل من عنصري النايتروجين والكربون في تركيبها بالإضافة إلى الهايدروجين .

العناية بالتربية البدنية

• من الحكم المأثورة المشهورة : العقل السليم في الجسم السليم ، ولقد اهتم أجدادنا بالرياضة البدنية والألعاب الحرة التي يمارسها الأطفال بلعبهم ويحرصون عليها في تربيتهم وتعليمهم .

قال الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين : ينبغي أن يؤذن للصبي بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعبا جميلا يستريح إليه من تعب الكتب ، بحيث لا يتعب في اللعب ، فإن منع الصبي من اللعب وإرهاقه إلى التعلم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص عليه العيش ، حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسا .



بقلم الدكتور : فاخر عاقل

يستطيع دارس الابداع وطبيعته وركائزه ان يقول مطمئنا إن دراسات الابداع وصلت اليوم الى ما وصلت اليه دراسات الذكاء في خمسينات من هذا القرن . أي أن طبيعة الابداع أصبحت معروفة ، وركائزه مستقرة .

إذا كان النصف الأول من هذا القرن يعد الزمن الذي درس فيه الذكاء من هذا القرن يعد الزمن الذي درس فيه الذكاء وعرفت طبيعته ووضعت روائزه ، فإن النصف الثاني هو الزمان الذي درس فيه الابداع ووضعت روائزه ، وعرفت طبيعة الابداع ، ووضعت روائزه وكثر الكلام عن تربية المبدعين .

وربما كنا بحاجة الى بيان العلاقة الوثيقة بين هذين النوعين من الدراسات ، والعلاقة الطبيعية بين الذكاء والابداع ، كما سنعرض له حين نتحدث عن الابداع حديثا مفصلا . ونحن من المؤيدين لمن يرى ان كل مبدع ذكي ، ولكن ليس كل ذكي مبدعا بالضرورة . ذلك لأن الذكاء شرط أساسي من شروط الابداع ، ولكن الذكاء بحد ذاته غير كاف للابداع .

طبيعة الابداع :

ويرى الدارسون أنه منذ الطفولة يتميز بعض الأطفال المبدعين عن بعضهم الآخر ، انهم فضوليون ومتسائلون ، ويبدون رغبة بالاستطلاع لكل شيء ، ويستجيبون لكل صوت أو لمحة او صورة . إنهم يحسون بسرعة كيف يشعر أصدقاؤهم وجيرانهم في من حولهم ، ويكونون حساسين بمشاعر هؤلاء الذين يحيطون بهم . انهم يتحمسون لكل شيء ، ويريدون ان يعرفوا بأنفسهم حتى يختبروا مواقفهم في كل أمر وحينئذ نقول : انهم موهوبون .

ومن الغريب أن هذه الفروق الفردية في الابداع تمحى بواسطة الطريقة التي يعامل بها الأطفال في مراحلهم هذه الفترة الابداعية عند المدرسين . وبطبيعة الحال فإن الأمر لا يقتصر على الأهل بل

يحددها لكل من يحيط بالطفل ويلعب دورا في حياته . وكلما تقدم العمر بالطفل فان الفروق الفردية التي نلاحظ بينه وبين سواه من الأطفال فيما يخص الابداع تنمو وكلها مختلفة يكتشفها في الخبرة وليس الى الوراثة . وهذا أن تساؤل الأشخاص المحيطين وتساهلهم أمر يزعج الراشدين ويصيبهم فهم لا يشجعون مثل هذه التصرفات والتساؤلات . وليس من المبالغة أن نقول ان الطفل نشيط المخيلة يعاقب على سلوكه هذا أكثر من الطفل (الوديع) المطيع .

ويقول (كاتينا) إنه لو كان السلوك الابداعي محددا بالوراثة فان الأهل والمعلمين لا يستطيعون فعل الشيء الكثير لزيادته . لكن الحقائق تدل على خطأ هذا الاعتقاد ، كما تدل على أن كيفية معاملة السلوك الابداعي للطفل من قبل الأهل ومربيه ومن يحيطون به هي أكثر أهمية .

ومن هنا كان اهتمام علماء النفس بفهم قابليات الطفل الابداعية والمساعدة على تنميتها ، بل انهم تعدوا ذلك الى الاهتمام بالقدرات الابداعية لدى الراشدين ، واقترحوا طرائق عدة لتعليم الأطفال والمراهقين والراشدين كيفية التفكير بطريقة أكثر ابداعا .

ان الأمم المتحضرة اليوم تبحث عن المبدعين من أبنائها في كل مجال من مجالات المعرفة ، بل هي توجههم وتسهل لهم سبل العمل والابتكار ، وتعطيهم من اهتمامها وتشجيعها ورعايتها ما يسمح لهم بالانطلاق في آفاق الاختراع والاكتشاف والتقدم ، وما أحوجنا نحن العرب الى المبدعين المفكرين ، يقودوننا الى حيث يجب أن نكون بين الأمم المتقدمة .

قنوات التفكير المبدع الأربع :

العاملون في دراسة الابداع وبوادره وهم (جيلفورد) و (تورانس) و (كاتينا) يرون أن قنوات التفكير المبدع الأربع هي : الطلاقة ، والمرونة ، والأصالة ، والتوسيع . وسنمر بها سراعا الواحدة تلو الأخرى .

أما الطلاقة فهي القدرة على انتاج العديد من الأفكار فيما يخص مهمة ما . ولنضرب على ذلك مثلا أن انسانا طلب اليه أن يفكر في استعمالات غير عادية للقرميد ، وحينئذ فانه قد يقول : « انه من الممكن قذف الآخرين به ، أو استعماله كثقل يوضع فوق الأوراق ليمنع تطايرها ، أو تغليفه بالشكولاته وتقديمه الى صديق بوصفه قالب حلوى ، وذلك بمناسبة عيد ميلاد الصديق بقصد النكتة ، أو سحقه واستعماله كبودرة ، أو وضعه فوق قطعة خشب لتغطيسها في الماء .

لقد أعطى هذا الشخص ستة استعمالات للقرميد غير مألوفة ، فاذا ما أعطيت علامة واحدة لكل استعمال فان هذا الشخص ينال ست علامات ، ولو أنه أعطانا عشرين فكرة فانه ينال عشرين علامة في الطلاقة . وبالطبع فانه كلما زاد عدد الأفكار المعطاة ارتفع مستوى الانسان في الطلاقة .

وأما المرونة فهي القدرة على انتاج الأفكار التي تظهر تحرك الانسان من مستوى تفكيري الى آخر ، أو نقلاته الفكرية بالنسبة الى مهمة معينة . ان الأفكار التي تكرر الأعمال ذاتها لا تظهر مثل هذه النقلات الفكرية ، ومثال ذلك أن اثنين من استعمالات القرميد الستة المذكورة هما : استعمال القرميد كثقل يمنع تطاير الأوراق ، ووضعه فوق الخشب لتغطيسه في الماء ، ان هذين الاستعمالين متماثلان ، ففي الحالتين يستعمل القرميد كثقل ولذلك فليس ثمة أية نقلة في التفكير . أما الاستعمالات الأربعة الأخرى فتقوم بمهام مختلفة ، وتظهر نقلات في التفكير أو أصالة فيه . وهكذا يحصل الشخص المذكور سابقا على أربع علامات فقط فيما يخص المرونة .

وأما التوسيع فهو القدرة على اضافة التفاصيل الى فكرة أساسية ثم انتاجها . لنفرض أنك أعطيت انسانا عددا من المربعات ، وطلبت اليه أن يفكر وأن ينتج أفكارا لم يسبق اليها وأن يرسم صورا مستعملا هذه المربعات . انه قد يستعمل المربع في رسم (بيت) ، وبعد أن يعطي الصورة اسم (بيت) فانه اذا ما أضاف الى الصورة تفاصيل وتزيينات ، ووضع عليها لوحة باسم صاحب البيت ، وكتب قطعة شعرية وغير ذلك ، فانه يكون قد وسع فكرة البيت الأساسية ، وحينئذ يمكن أن يعطى علامة على كل تفصيل اضافة الى الفكرة الأساسية ، « فكرة البيت » . لكن وضع

الشخص لا يعطي أية علامة بالنسبة للتوسيع وذلك على اعتبار أنه بدون شخص لا يكون التوسيع جيدا .

ولهذا فإن الأصالة القدرة على انتاج أفكار غير عادية ولا يستطيع انتاجها الكثيرون من الناس ، انها أفكار بعيدة وذكية . وواحدة من أكثر الطرائق المستعملة في وزن الأصالة ، هي وضع علامات للأفكار التي ينتجها خمسة أشخاص أو أقل من بين مائة شخص ، وفي بعض الأحيان تعطى للأفكار [illegible] علامات للأفكار الغريبة جدا ، وعلامة واحدة للأفكار المألوفة . والأفكار التي ينتجها أكثر من خمسة أشخاص من بين مائة شخص تعطى صفرا ، وهذا ما يحدث في العلامات التي يحصل عليها الأصيل [illegible] على تقدير رقمي لأصالته .

وقد أضاف (تورنس) ومعاونوه مؤخرا قدرات جديدة إلى القدرات الأربع المذكورة أعلاه . ألا وهي : القدرة على التحليل والتجريد ، والقدرة على الانغلاق أي القدرة على تأجيل إكمال مهمة ما إلى وقت يسمح بانتاج الأفكار الأصيلة .

التفكير المطابق والتفكير المخالف :

ويميز علماء النفس بين نوعين رئيسيين من التفكير هما : التفكير المطابق والتفكير المخالف .

والتفكير المطابق هو ممارسة التفكير وفق الطرائق التقليدية المألوفة . أما التفكير المخالف فهو التفكير وفق طرائق جديدة غير مألوفة ولا مكرورة .

ويرى علماء النفس أن الناس بصورة ضمنية ـ ينقسمون إلى قسمين أساسيين وهما . المفكرون تفكيرا مطابقا ، والمفكرون تفكيرا مخالفا ، كما يرون أن المبدعين الأصليين هم ذوو التفكير المخالف .

ومن سوء الحظ أن التفكير المطابق أي التفكير وفق الطرائق المألوفة هو ما يشجعه المربون غير الواعين من آباء ومعلمين ومسؤولين ، كما يتمثل في خنق القدرات الابداعية ، ويعني ذلك قتلها عمليا لا يفكر ولا يبدع ولا يبتكر . ولذلك فهو في تعارض مع [illegible] وهو [illegible] فيما يرجعون ، بالتشجيع والتقدم .

والحق أن التفكير المخالف هو التفكير الذي يقود إلى الابتكار والاختراع والابداع . ولذلك فإن علماء النفس والتربية اليوم يشجعون هذا النوع من التفكير ويوجهون الطرائق والوسائل التي تعين على استعمال هذا النوع من التفكير بعد تنميته وتطويره .

إن واحدة من الأمور المهمة التي قام بها (جيلفورد) هي توجيه انتباه علماء النفس لا إلى الطرق المختلفة التي تظهر ذكاء الانسان وقدراته فحسب ، وإنما بالاضافة إلى ذلك ـ إلى التفكير الذي يستطيع أن يقود إلى العديد من الحلول المختلفة ، التي توصل إلى الأجوبة عن التساؤلات وحلول المشكلات ، وبالتالي إلى الابداع . إن هذه القدرة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتفكير المخالف والقدرة على التجريد والتركيب وإعادة التعريف .

ويرى علماء النفس أن كل إنسان يولد وهو يمتلك أن يكون مبدعا في مجال ما من مجالات معينة . ولكن يبقى أن نعي التربية ويعرفون بالقهر قدرات الأطفال كي يساعدوا وأن يفتحوها ويشجعوها ويهيئوا لها الفرص اللازمة . وحينئذ يتقدم الفرد لذاته وابتكاراته لمجتمعه ووطنه ، لا سيما وأن الأمم تتنافس الآن في عدد المبدعين في كل منها وتوجيههم وتدريبهم من الصغر .

٤٦

■ قال أحد البخلاء الأغنياء لخادمه : هات الطعام .. وأغلق الباب .

فقال الخادم .. يا سيدي هذا خطأ ..

قال : ولماذا ؟

قال الخادم : أن أغلق الباب .. وهات الطعام ..

فقال له السيد : أنت حر لوجه الله .. لمعرفتك بحزم الأمور .

غارقة في العيون

شعر: فاروق شوشة

(من وحي المهرجان الشعري الذي عقد في بغداد - في إطار احتفالات أعياد الثورة العراقية - وشارك فيه الشاعر ممثلاً لشعراء مصر) .

أغرقتني العيون والأحداقُ
فكلامي الشرودُ، والإطراقُ
نظرةٌ خلسةٌ، وبعضُ ابتسامِ الخفيِّ
وحياءٌ وفرحةٌ واشتياقُ
وجناحان من حنينٍ يرفّا
نِ، فيهفو المدى فسيحٌ والعناقُ
والهوى مركبي لتاج حلمنا
وحملنا النجومَ والآفاقُ
فتنتني سبيكةُ الحسن فارقتـ
ـتُ وللسحر سطوةٌ ووثاقُ
واحتوتني مغاني السحر، حيث
بابليٌّ، وكرمةٌ وعناقُ
واستبيحت عيناي، لخيالي
مشرئبٌ بأفقه، وغنائي مساقُ
والهوى دائرٌ لمنتهينا، فقلبي
مستجيبٌ للمطلق، وقلبٌ مراقُ
عنفوانٌ بجمعه، بنشوى، فالحلم
وحنيني من لذة احتراقُ



حسبتني عزت ، بصمة الحدقة طفقا
عسقرها ، وجهش الأعمق
ويقيت الحقل يخصب ، وحيا
من بهيه وتنبت الأورق
تختمر في العيون ، لا تكسر البحيرة
وتنفجر في العيون المشتاق
وترشدها إلى الصباحات يشتاقين ،
وسناكي الوميض والإشراق
العيون التي تطعمنا .. المعرفة
والطريق التي نحتوثنا طرق
غارق في العيون ، سبحات الكفر
يتلقف يلفه الأزرق
رب الشمس يوم طفيل
تشمس زرقة العشاق
ما الذي الآن تشتكي ؟ رب تنقضي
استلتني ، وتقصير المتعانق
قد ينطلق الجمال فرداً ولكن
كل هذا الجمال كيف ينطلق !

حكايات شرق وغرب

عيد ميلاد ، سعيد جداً !

● كانت مفاجأة حراس السجن في لوس أنجلوس بولاية كاليفورنيا الأمريكية، عندما عرض السجين «سوتيلو» أن يعد لهم وليمة عشاء فاخر بمناسبة عيد ميلاده الأربعين. فقد كانوا يعلمون أن سوتيلو كان يعمل رئيسا لطهاة أحد الفنادق الكبرى، قبل أن يدخل السجن بتهمة الاعتداء على الزبائن!

وأعد الحراس مطبخ السجن.. واشتروا اللحوم والخضراوات والأسماك التي سيقوم الطاهي بإعدادها بنفسه وتقديمها لهم في عشاء المناسبة.. وبدأ «سوتيلو» المكسيكي الأصل يعمل في صمت، وملأ الجو برائحة اللحوم والأسماك المشوية، وسال لعاب الحرس، وراحوا يستعجلون الرجل لكي يفرغ من إعداد الأطباق الشهية التي كانوا ينتظرونها!

وأخيرا خرجت الأطباق من المطبخ يحملها «سوتيلو» ويرصها بنفسه فوق المائدة.. وجلس الجميع حولها يأكلون ويمدحون صاحب هذه الأيدي الماهرة، التي قدمت لهم ألذ وأشهى وجبة منذ جاءوا لحراسة المسجونين في هذا السجن المظلم القديم!

ثم حدثت المفاجأة عندما بدأ رجال الحرس يشعرون بالنعاس.. وفي البداية حاولوا مقاومة هذه الرغبة الملحة للنوم حتى يستطيعوا الاستمتاع بتناول الأطباق اللذيذة.. ولكن مقاومتهم ما لبثت أن انهارت.. وذهب الجميع في نوم عميق..!

ومن وراء باب المطبخ كان الطاهي الماهر ينتظر هذه اللحظة.. حتى إذا ما تأكد من أن جميع الحرس وعددهم ثمانية غير مدير السجن الذي وجهوا إليه الدعوة ليشاركهم هذا العشاء الشهي، قد استسلموا واستغرقوا في النوم، بدأ بنقلهم الواحد بعد الآخر إلى زنزانته التي كان يقيم بها، ثم أغلق عليهم الباب بالمفتاح الذي ألقى به بعد ذلك في بالوعة المطبخ، ثم خلع ملابس السجن، وارتدى ملابسه في هدوء، وخرج من الباب الرئيسي، وقد وضع فوق رأسه قبعة مدير السجن، وراح يرد تحية الحرس الخارجي في كبرياء حتى اختفى تماما!

ماذا حدث؟ لقد وضع «سوتيلو» الأقراص المنومة التي هربها إليه أصدقاؤه داخل أرغفة الخبز التي كانوا يحضرونها إليه في أطباق الطعام الملكي للحرس في عيد ميلاده.. ولقد اتضح أنه كان يستعد للاحتفال بهذه المناسبة داخل السجن، منذ أن دخله قبل ثلاثة أشهر!!



● الأطفال الذين يولدون اليوم لن يتجاوزوا الرابعة عشرة من أعمارهم ، عندما يحتفل العالم باستقبال سنة ٢٠٠٠ . سوف يعيش الطفل الذي جاء إلى الدنيا في هذه الأيام ، شبابه ورجولته في القرن الحادي والعشرين . وسيكون عالمه مختلفا اختلافا ملحوظا عن العالم الذي نعيش فيه اليوم ، كما اختلف عالمنا عن عالم أجدادنا وربما أكثر !

سوف يصبح هذا الطفل قادرا على أن يعرف في خلال ثوان معدودة الإجابة عن أي سؤال بمجرد الضغط على زر صغير من أزرار الكومبيوتر . سوف يقف وسط بيته ويعطي الأوامر شفويا إلى الفرن الذي يعمل بالموجة القصيرة ، وإلى ماكينة غسل الأطباق ، والإنسان الآلي الذي يعمل في خدمته .

أما سيارته فلن تكون في حاجة إلى البترول ، فسوف نستعيض عن هذه الطاقة التقليدية بالفحم النباتي أو عصير قصب السكر . وسيحتوي طعامه على بعض أنواع أوراق الشجر والطحالب . وسوف يتمكن الجراحون من إجراء عمليات زرع مخ جديد ، وقلب صناعي كامل يعمل بالطاقة الكهربائية .

هذه بعض التنبؤات التي ظهرت حديثا في كتاب جديد بعنوان « الحياة في المستقبل » الذي حاول فيها المؤلف « اسيموف » أن يرسم لنا صورة لشكل الحياة سنة ٢٠٠٠ ، أي بعد مرور بضع سنوات من اليوم .

ويقول المؤلف في كتابه : « ولو تقدمت صناعة السيارات بنفس السرعة التي تقدمت بها صناعة أجهزة الكومبيوتر ، فسوف نجد سيارة الأسرة الصغيرة تسير بلتر واحد من الوقود الذي يكفيها مدى الحياة . ولا تكلف صاحبها أكثر من خمسة جنيهات استرلينية ؟ »



ثم يقول : « إن اليابانيين قد تمكنوا حديثا من انتاج آلة تستمع إلى أي حديث بالانجليزية وتترجمه فورا إلى اليابانية ، وهم يؤكدون أن الترجمة الفورية من أية لغة إلى لغة أخرى سوف تتحقق بفضل هذه الآلة مع قدوم عام ٢٠٠٠ ! »

ومع انطلاقة القرن الجديد الحادي والعشرين سوف يتمكن الإنسان من الحديث إلى أي شخص في أي مكان من العالم عن طريق الراديو ، في ساعة اليد الصغيرة التي يضعها حول معصمه ، وبفضل الأقمار الصناعية القوية التي تنتشر في الفضاء !

وسوف يعمل الملايين من البشر من منازلهم ، عن طريق أجهزة الكومبيوتر ، وإذا أراد أن ينتقل من مكان لآخر ، فسوف تتولى السيارة التي يوجهها جهاز الكومبيوتر ، أو القطار الذي ينطلق بلا سائق بسرعة لا تسمح بملاحقته للخط الحديدي الذي يسير ، مهمة نقله إلى المكان الذي يريد الذهاب إليه .

بقي بعد هذا الشبح المظلم الذي يخيم على الحياة في القرن الحادي والعشرين ، وهو الحرب النووية . ثم يعدد الكاتب بعض الدول الصغيرة التي قد تسعى لامتلاك القنبلة الذرية قبل مجيء القرن الجديد !!

.. ويوجد الأب « الطريقة » التي يبحث عنها !

● عندما ترك كالفين موس بيته وزوجته وطفله الصغير روبرت الذي لم يكن قد بلغ بعد العام الخامس من عمره ، كان يريد أن يجد « الطريقة » التي تنقذهما بعد الزواج ؟ فقد كان موس يقول لأصدقائه إن الزواج سجن بلا أبواب ، ولابد من تحطيمه إذا كنت تريد الخروج منه !

وذهب موس الى حيث لا يعلم أحد . وابتلعه الشارع بمدينة كليفلند بولاية أوهايو الأمريكية ، ومضى على هذا الحادث أكثر من اثنين وعشرين عاما . انقطعت خلالها كل صلة كانت تربط الأب الهارب وأسرته الصغيرة !

ثم كان اللقاء أخيرا ، ولكنه كان لقاء مثيرا حافلا بالذكريات التي صنعت فجيعة من رقائقها .. فقد ألقى بوليس الولاية على الأب كليفورد موس وقدم للمحاكمة بتهمة تعاطي المخدرات وبيعها ، وحكم عليه بالسجن لمدة خمسة عشر عاما !

ودخل موس زنزانته ، ومرت بضعة أيام قبل أن يكتشف أن جاره في الزنزانة الملاصقة له كان يحمل نفس الاسم ، وسأله : « من تكون أنت يا بني ؟ » فقال : « أنا روبيرت موس . وقد دخلت السجن لأمضي فيه عشر سنوات ، بعد أن اعترفت بتهمة السرقة من أحد المحال التجارية الكبرى ! »

وركع الأب يتفرس في وجه الشاب الذي كان يحدثه وهو يبكي : « لقد تركتنا أبي ورحلت منذ سنوات طويلة مضت .. رحلت ، كما قالت لي أمي ، بحثا عن الحرية .. ولا بد أنك وجدتها ، لأنك لم تعد إلينا مرة واحدة منذ رحيلك ! »

وسقط الأب على الأرض بعد أن عجزت ساقاه عن حمله .. سقط وهو يتمتم : « روبيرت ابني ، سجين مثلي لأنه لص ، يالها من حرية .. ! »

وفي صباح اليوم التالي عرف الابن القصة .. عرف أن جاره هو والده الذي لم يكف عن البحث عنه لسنوات طويلة بعد رحيله .. عرفها من حارس السجن الذي كان بجواره وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة !

.. ومات المدرس بطلا !

● كان الملازم السابق في الجيش السوفيتي ، يوري نيكولوف ، يشرح لتلاميذه الصغار في الفصل كيفية إبطال مفعول القنابل اليدوية ، كجزء من التدريب العسكري في المدارس ، وقال الملازم المدرس لتلاميذه وهو يمسك بإحدى هذه القنابل بين يديه : « كل ما يجب عليكم أن تفعلوه هو الضغط على صمام الأمان ، ثم شد الحلقة إلى الخارج !

راقبوني جيدا وأنا أقوم بهذه العملية البسيطة أمامكم !! »

وضغط المدرس على الصمام وشد الحلقة إلى الخارج ثم عاد يوري يقول : « والآن عندما أترك الصمام ويعود إلى مكانه الأول سوف تسمعون صوتا يشبه دقة الساعة ، لأن هذه القنبلة هي مجرد نموذج لقنبلة حقيقية . فالأمر يختلف مع الثانية ، لأننا عندما نعيد الصمام إلى مكانه ينطلق صوت يشبه صوت الفرقعة ، ثم يحدث الانفجار بعد لحظات من إلقاء القنبلة على الهدف ! »

وقام نيكولوف ، بما كان يزمع القيام به وهو متمهل في الشرح لتلاميذه ، ولكنه ما كاد ينتهي حتى شاهد عمودا من الدخان يخرج من القنبلة ، فهي لم تكن



نموذجا كما توقع ، وإنما كانت قنبلة يدوية حية وضعت بطريق الخطأ !

وراح المدرس يفكر بسرعة .. إنه لا يستطيع أن يلقي بها من نافذة الفصل لأن التلاميذ يقفون في فناء المدرسة ، ولا يستطيع أن يلقي بها من الباب ، لأن هناك فصولا أخرى على جانبي الممر الطويل الذي تقع الفصول الدراسية على جانبيه ... ماذا يفعل إذن ، والقنبلة توشك على الانفجار خلال ثوان معدودة ؟!

لقد أمسك بها بكلتا يديه ، وانحنى حتى اقترب من

الملاحظ ثيابها، والتصقت القنبلة بجسمه من الأمام، بعد أن أدار ظهره إلى تلاميذه..

وانفجرت القنبلة أخيرا.. ومات «بليكوف» بعد أن مزقت القنبلة جسده، ولكن أحدا من تلاميذه لم يصب بسوء!

لقد استطاع بجسده أن يمنع الشظايا الصغيرة من الانتشار في الفصل الذي كان يضم أكثر من ستة وعشرين تلميذا بين الرابعة عشرة والسادسة عشرة.

وعندما علمت زوجة الملازم السابق بما فعله زوجها لانقاذ تلاميذه من موت محقق، قالت: «لقد مات بوري بطلا.. وسوف أروي لابنه الصغير ما صنعه والده حتى يستطيع أن يمشي دائما مرفوع الرأس بين زملائه!»

أغنية العصافيـــــر!



● عندما انزلقت تريزا جيرشيل توازنها وسقطت على الأرض في مطبخ البيت الصغير الذي تعيش فيه مع الوحدة والآلام الشيخوخة بمدينة ميلانو، أدركت على الفور أنها لن تستطيع الوقوف على قدميها مرة أخرى.. فقد تحطم بها العمر وأصابها الوهن والضعف.. لقد جاوزت الثمانين!

ولكنها لم تنس في تلك اللحظة صديقيها اللذين ظلا يؤنسانها في وحدتها.. إنهما كانا لا يزالان العصفوران الصغيران الكناريان اللذان كانا يملآن البيت بصفيرهما! وسألت تريزا العجوز نفسها: ترى ماذا سيكون مصيرهما وأنا راقدة في مكاني غير قادرة على الحركة أو حتى الاستغاثة؟!

كانت تعلم أن أحدا لن يسمعها حتى لو استطاعت أن ترفع صوتها طالبة النجدة.. ولم يكن في البيت جهاز تليفون أو أقارب أو أصدقاء قريبون منها.. وأدركت أن رحلتها مع الحياة سوف تنتهي في هذا المكان الذي سقطت فيه.. ولكنها لم تستسلم رغم الآلام الشديدة التي كانت تكوي جسدها الضعيف العجوز.. وراحت تزحف بكل جسمها المنهك في اتجاه القفص الصغير الذي يعيش فيه صديقاها كارلا وبولا. كانت تريد أن تفتح لهما باب القفص لتخرجهما منه لأنها لا تريد لهما أن يموتا معها من الجوع والعطش!

ووصلت إليه أخيرا وفرح الصديقان، وانطلقا عبر نافذة المطبخ الصغيرة، ثم أغمي عليها!

ولكن الصديقين لم يتركا صاحبتهما.. فقد كان في وسعهما أن يتمتعا بالطيران في الحرية التي أعطتها لهما صاحبتهما ولكنهما لم يفعلا.. لقد بقيا هناك فوق سور شرفة البيت المطلة على الشارع، وراحا يصفران ويملآن الدنيا بغنائهما الجميل!

ولفت هذا المنظر غير المألوف أنظار الجيران.. لقد تعودوا أن يروا العصفورين الصغيرين، ولكن داخل القفص، أما هكذا وهما خارجه وفي مكانهما لا يبرحانه فهذا الشيء الجديد الغريب!!

وأشفق الجيران على العصفورين من الضياع وسط هذه البيئة التي لم يألفاها، فأسرعوا إلى البيت يطرقون الباب، ولكن أحدا لم يجب.. فقد كانت صاحبته العجوز ما تزال في غيبوبتها!

واستنجدوا بالشرطة وفتح باب البيت أخيرا. ووجدوا صاحبته ملقاة على الأرض وقد أصيبت بكسور في ساقيها.. ونقلوها إلى المستشفى للعلاج، وعلى فراشها الأبيض، قالت وهي تتطلع إلى عصفوريها الجميلين: كنت أعرف أنهما كل ما تبقى لي في هذه الدنيا.. لقد أنقذا حياتي!

قال رجال الشرطة وهم يتطلعون في إعجاب إلى هذا الوفاء: هل تعرفين يا سيدتي أن صديقيك عادا إلى القفص عندما أدركا أنك لم تعودي وحدك؟!

إننا ما كدنا نحملك إلى الخارج ونمضي بك في طريقنا إلى المستشفى، حتى فوجئنا بهما يعودان إلى بيتهما الصغير، فعدنا نغلق الباب عليهما، وتركناهما هناك ليكونا بجوارك عندما تفتحين عينيك مرة أخرى على المكان الذي تصورت أنها تلك النهاية!

الايدز

قصة مرض .. وصرخة تحذير

بقلم : الدكتور عماد شمسي باشا

تاريخ الانسانية حافل بما لا يحصى من الانجازات العظيمة والاكتشافات الباهرة ، وفي مجال الطب بالذات تلتقي روائع وأسماء عظماء .. وفي العقد الذي نعيشه من تاريخ الانسانية شهدنا مقدم مرض حاد الأنياب والأظافر ، ثم شهدنا الضيوف تنسل من كل حدب لمواجهته والاجهاز عليه .. انه « الايدز » ، ورواية قصة اكتشاف فريدة لمرض كان مؤهلا لأن يكون أخا للطاعون والجدري والسل ...

[الكثير] من المعلومات لمناقشتها في قاعة المؤتمر . فقد مضى معظم الوقت وبدا عليهم التعب ، ولكن القلة الباقية منهم أصروا على البقاء ليستمعوا إلى المحاضرة الأخيرة التي سيلقيها العالم الفرنسي لوك مونتانييه والتي سيعرض فيها اكتشافه لفيروس جديد يعتقد أنه العامل المسبب لمرض الايدز . هذا المرض الذي تسبب حتى ذلك الوقت في وفاة ما يزيد على ألفي شخص والذي يهدد آلافا أخرى غيرهم بالموت

ومع ما كان مونتانييه يتمتع به من مكانة علمية مرموقة ، إلا أن عرضه لنظريته الجديدة حول هذا الفيروس لم يلق [illegible] لدى الحاضرين ، بل لقد كان مثار جدل علمي عنيف بينه وبينهم . ولقد كان أكثر الحاضرين شعورا بخيبة الأمل العالم الأمريكي روبرت جالو ، حين [illegible] طالب الحاضر بمراجعة [illegible] أقواله ، وخرج بها إلى حيز التطبيق وأمام هذه المعارضة العلمية لم يجد مونتانييه أمامه من سبيل إلا أن يوافق على وجوب إجراء المزيد من الأبحاث لتأكيد النظرية وتوثيقها ، وهكذا . لم يكن ليدور في خلد أحد من الحاضرين ، حتى ولا في خلد مونتانييه نفسه ، أنه وضع يده على كشف علمي جديد ، وأن تلك المناقشات الحامية التي شهدتها قاعة المؤتمر لم يكن لها أن تحجب حقيقة غائبة . وإن كانت قد أسهمت في إذكاء حماسة العالم الفرنسي لإثبات نظريته ، وإزالة الغموض المخيم حولها .

كان ذلك اللقاء في الخامس عشر من شهر سبتمبر / أيلول عام ١٩٨٣ .. وكان المؤتمرون نخبة من جلة العلماء المعنيين بموضوع الفيروسات وبدراسة أبحاثهم فيها . ولقد أعقب هذا المؤتمر ستة أشهر كاملة من البحث الجاد الدؤوب ، حتى تمكن مونتانييه من إقامة الدليل على صدق ما أشار إليه في محاضرته ، وحتى أثبت بالبرهان القاطع أن ذلك الفيروس الذي وصفه هو بالفعل الفيروس المسبب لمرض الايدز

القصة من بدايتها :

كانت البداية في صيف عام ١٩٨١ . حين أصيب عدد من الشبان في ولايتي كاليفورنيا ونيويورك الأمريكيتين بمرض غير مألوف .. مرض مجهول الهوية .. مرض غامض ومتطور حتى انتهى بفريسته إلى الموت .. قبل أن يتمكن الطب من الاهتداء إلى العلاج . وكانت الملاحظة اللافتة للنظر في هذا المرض أن ضحاياه مشتركون في ظاهرة واحدة . وهي أنهم جميعا من الشاذين جنسيا ، ومن المصابين من الأشخاص الذين يمارسون الجنس مع آخرين من بني جنسهم . ولقد غلب على ظن الأطباء وهم يتعاملون مع هذه الحالات المرضية أنها حالات عابرة وغير خطيرة ، وأنها لا تستحق من الاهتمام إلا قدر ما يثيره الفضول العلمي ، ولم يكن في وسع أحد أن [illegible] أن هذه الحالات إنما هي بداية الخطر [illegible] مرض جديد



مريض يعتمد على عطف الغرباء

يهدد المجتمع بأكمله ، ويستوجب استنفار الطاقات العلمية بمختلف الأسلحة . لقد بدأ هذا الخطر الداهم ، حين سجلت الإحصاءات وسجلات [illegible] المتخصصة في [illegible] الكبير . فقد تخطى الرقم الحالي للإصابات المسجلة بـ ٦٠٠٠ إصابة ، كان مصير أكثر من نصفها الوفاة . ويتوقع وفقا للمصدر الأمريكي في غضون السنوات الثلاث القادمة ، أن هذا العدد قد يرتفع في غضون السنوات الخمس القادمة إلى ما يقرب من ٣٠٠٠٠ إصابة . ولم [illegible] عدد قليل من هذا العدد مصابون بالفعل ، ولكنهم لم يكتشفوا إصابتهم بعد .

ومع هذه التوقعات المتشائمة اعتبر مرض الايدز المشكلة الصحية الأولى في الولايات المتحدة ، وخصص لمواجهتها ميزانية تقدر بـ (٩٦) مليون دولار .. انتهت الى ان هذه المشكلة أصبحت الشغل الشاغل لأكثر العلماء والباحثين شهرة في مجال الفيروسات والأمراض الوبائية ، وفي مقدمة هؤلاء عالمان أمريكيان وثالث فرنسي .. فمن هم هؤلاء الثلاثة ، وكيف استطاعوا بجهودهم المتضافرة أن يصلوا بنتائج الأمر الى تحديد هوية مرض الايدز ؟

فأما أول الأمريكيين فهو روبرت جالو الذي اتينا على ذكره في صدر هذا المقال ، والذي يرأس معمل خبير أبحاث بيولوجيا السرطان في معهد السرطان القومي في ولاية ماريلاند الأمريكية ، والذي كان اهتمامه منصبا بالأساس على دراسة نوع نادر من سرطان الدم (Leukemia) الذي يكتشف في اليابان وبعض مناطق افريقيا ، ولم يكن مرض الايدز داخلا في نطاق اهتماماته بأي شيء .

وأما الثاني فهو العالم الأمريكي ماكس ايسكس الذي كان يجري أبحاثه في منطقة قريبة من مدينة بوسطن ، والذي كان مهتما بالفيروسات التي تسبب الاصابة بسرطان الدم عند القطط ، كما كان مهتما بتأثير هذه الفيروسات على الجهاز المناعي عند القطط ، ولقد كان هو الآخر غافلا عن الايدز منصرفا عن الاهتمام به ..

وأما ثالثهم الفرنسي فقد كانت اهتماماته محصورة في مجال أبحاث سرطان الثدي ، وفي محاولة ربطه بأسباب فيروسية ، بعد أن استطاع أن يثبت علاقات الفيروسات بالسرطان لدى حيوانات التجربة .. ولم يكن هذا العالم سوى مونتانييه نفسه ... ومن العجيب أنه حتى مونتانييه هذا لم يكن مدركا لعلاقة أبحاثه هذه بمرض الايدز .

كانت حالات الايدز الأولى قد ظهرت ، وبشكل محصور نسبيا ، في منطقتين محددتين ، وكان الظن أولا أن الأمر قد يكون وباء .. ولكنه جاء محدود الانتشار ، ومن هذا المنطلق عهد مركز مكافحة الأمراض في مدينة أتلانتا - وهو الجهة الأمريكية المتخصصة بأمور الأوبئة ودراستها والعمل على احتوائها - عهد هذا المركز الى فريق من الباحثين مكون من عشرة أشخاص للتصدي لهذه المشكلة ، واقتراح الحلول اللازمة لمعالجتها .. ومن الطريف ألا يكون لأي من العلماء السالف ذكرهم وجود في هذا (الفريق) من الباحثين ، وأن تلقى مهمة ترؤسه الى طبيب متخصص بالأمراض التناسلية ، هو الدكتور جيمس كوران ، ولم يكن مستغربا وقتها أن تلقى هذه المهمة على عاتق المتخصص في الأمراض التناسلية ، على اعتبار أن المرض كان ينتقل عن طريق الاتصال الجنسي ، اعتمادا على المشاهدات الأولية ، وعلى القصة السريرية للحالات المرضية ..

وبدأ أعضاء الفريق عملهم بالانتشار في الأحياء التي يكثر فيها أصحاب الشذوذ الجنسي ، في كل من مدينتي سان فرانسيسكو ونيويورك ، وحصلوا على جميع المعلومات المبدئية المتعلقة بالموضوع ، من مقابلاتهم للعديد من أصحاب الشذوذ الجنسي ، وبمحاولة معرفة التفاصيل المتعلقة عن ممارساتهم الجنسية .. لقد كانوا يريدون أن يعرفوا - قبل كل شيء - لماذا يصاب بعض الأشخاص بهذا المرض ، ولا يصاب به البعض الآخر على الرغم من اشتراكهم جميعا بصفة الشذوذ الجنسي ..؟ ولم تكن هذه المهمة بالمهمة اليسيرة ، فقد تطلب ذلك منهم الدخول الى صميم حياة تلك الفئة من الأشخاص مع كل ما يكتنفها من السرية والانغلاق ، والى القيام بزيارات عديدة الى الملاهي والخمارات ، والى الأقبية السرية الملحقة ببعض النوادي ، حيث كانوا يجتمعون ويمارسون شذوذهم ... وقد بينت هذه الاستقصاءات أن الأشخاص المصابين بالايدز هم من أصحاب النشاط الجنسي المتسم بالافراط ، ومن المتعاطين لأنواع من المخدرات تساعدهم على تحقيق المزيد من النشوة الجنسية .

ورغم أن هذا العمل استغرق شهورا عدة ، الا ان الفكرة التي كانت منطلق البحث ، وهي أن الايدز مرض يتحصر وجوده عند هذه الفئة من الناس ، تلك هي الفكرة الراجحة ، الى أن ظهرت في الميدان حالات جديدة من الايدز لم يكن لضحاياها أية علاقة بهذا الشذوذ ..

ومن هنا بدأت المشكلة تأخذ أبعادا جديدة أكثر خطورة ، وبدأت جهات عديدة ومن أنحاء متفرقة من العالم ، تتنافس لبحث الموضوع بشكل أكثر عمقا

وتوسيع اطاره .. لقد بدأ المرض يصيب - اضافة الى الفئة السابقة - الأشخاص المدمنين على المخدرات ، ولا سيما المخدرات التي تحقن وريديا ، ثم ظهرت اصابات بين الأشخاص المصابين بمرض الناعور (الهيموفيليا) - وهو مرض دموي وراثي ، يتظاهر بالنزف المتزايد عند الملمس ، التالي لاصابات مرضية - ويتطلب علاجه حقن المريض دوريا بمشتقات النزف - كذلك ظهرت اصابات عديدة بين المهاجرين من أصل هايتي ، وحالات أخرى أعطيت عملية نقل دم لاصابتها لأسباب مختلفة .. كل ذلك الاختلاف في نوعية المصابين أظهر أن المشكلة لن تحل بتوجيه الجهود والانتباه ناحية أصحاب الشذوذ الجنسي وحدهم ، وأن جهودا أخرى لا بد أن تبذل ، وعلى مستويات مختلفة ، للوصول الى حل ، وأن جهود اختصاصيي الأمراض الجلدية وحدهم لن تكون كافية للتعرف على كنه هذا المرض وسببه .

ومضى عام :

في صيف ١٩٨٢ .. وبعد مرور عام كامل على ظهور الحالات الأولى لهذا المرض ، كان عدد الاصابات في أمريكا قد وصل الى ٢٠٠ حالة ، وعلى الرغم من أن اختصاصيي الأوبئة لم يكونوا قد توصلوا بعد الى معرفة أصل المشكلة ، الا أن بعض الحقائق كانت قد بدأت تتكشف في المختبر السريرية .. فقد أظهرت تلك المختبر أن أساس العلة يكمن في دماء أولئك المصابين ، وبشكل أوضح أن دماء أولئك المصابين كانت تفتقد الكريات البيضاء اللمفاوية المتخصصة بمقاومة الأمراض ، والتي تشكل عند الانسان خطا هاما من خطوط الدفاع عن البدن ضد الجراثيم والفيروسات ، وحتى السرطانات التي تهدد بالمرض ، ويبدو أن الايدز لم يكن سوى نتيجة لفقدان هذه الكريات البيضاء ، وبالتالي لانهيار أجهزة الدفاع عن البدن ، وجعله فريسة للعلة السهلة أيا كان أي عرض مشكل في مرض من الأمراض . وقد فسرت لنا هذه الملاحظات المتمة لماذا يتعرض مصابو الايدز الى أمراض وعلل مختلفة ، ولماذا يتنوع السبب المباشر للوفاة .. فمنهم من يصاب بنوع خبيث من السرطان (سرطان كابوزي الذي يصيب عادة المتقدمين في السن) ومنهم من يصاب بنوع نادر من التهاب الرئة الذي يصيب في العادة الأشخاص الذين يتعاطون أدوية معينة ، تضعف عندهم أجهزة المناعة والدفاع ، لأغراض طبية خاصة ، أو يكونون عرضة لأمراض خلقية قليلة الحدوث ، يصاب بها بعض الأطفال المولودون بفقد خلقي بجهاز المناعة عندهم .. وهكذا تتنوع الاصابات ، ولكنها كلها انعكاس لما فقده الجسم من أسلحة الحماية والمناعة .. ومن هنا سمي هذا المرض بالايدز ، وهي حروف مختصرا تعبر عن المرض المميز بضعف الجهاز المناعي ، ولقد كان لتكشف هذه الحقيقة أهمية بالغة في توجيه دفة البحث والاستقصاء ، وفي لفت انتباه الكثير من الباحثين المهتمين بأمور المناعة وأمراضها ... وهذا ما حدث بالفعل ، فقد وجد علماء المناعة بين أيديهم فرصة متميزة بحصيف جهاز المناعة وحده دون أجهزة الجسم الأخرى ، وقد اعتبروه - أي الايدز - وسيلة فريدة لكشف الكثير من الغموض الذي يكتنف موضوع المناعة عامة ..

ولقد كان من هؤلاء العلماء الذين أثار الايدز اهتمامهم العالمان ماكس ايسكس وروبرت جالو ، فأما ايسكس فقد لفت نظره أن الايدز يدمر جهاز المناعة بطريقة تشبه عمل الفيروس (FELV) المسبب لسرطان الدم عند القطط ، وأما جالو فقد جذب انتباهه حقيقة أن الايدز يقضي على الخلايا اللمفاوية ، ويؤدي الى انقاصها من دم المصابين ، وهذا يماثل ما يفعله فيروس آخر هو فيروس (HTLV) الذي يسبب تضخم الخلايا اللمفاوية ، ويحدث نوعا من سرطان الدم عند الانسان .

وهكذا احتل الايدز مركز الصدارة في اهتمام العالمين المذكورين ، لاسيما أن الفيروس (FELV) الذي يدرسه ايسكس والفيروس (HTLV) الذي يدرسه جالو ينتميان الى مجموعة فيروسية واحدة ، وهي المجموعة المسماة بـ (الرتروفيروس) وهكذا أيضا نشأ سؤال جديد ولمع في ذهن كل من العالمين : ألا يمكن أن يكون الايدز ناتجا عن فيروس مشابه لفيروس الـ (HTLV) ؟

رحلة البحث عن السر :

رغم أن الهدف كان واحدا لكل من إيسكس وجالو إلا أن كلا منهما سلك إليه طريقا خاصا، فبينما كان يسعى لمعرفة ما إذا كان الإيدز ناتجا عن الإصابة بفيروس ينتمي إلى مجموعة الرتروفيروس، ولكن كلا منهما نحا نحوا مستقلا . .

ثم جالو فقد وجه اهتمامه للكشف عن الفيروس المتشوه في أنسجة الشخص المصاب بالإيدز، وخصوصا في خلايا الليمفاوية التي هي الهدف الأول للإصابة، مثله في ذلك كمثل رجل الشرطة الذي يبحث عن الجاني نفسه في مسرح الجريمة، وأما إيسكس فقد توجه للكشف عن الفيروس بالبحث عن الأجسام المضادة الخاصة، التي يكونها الجسم عندما يتعرض لغزو جرثومي أو فيروسي، فمثله كمثل من يقوم بالبحث عن بصماته .. وفي الواقع فإن تشبيه الأجسام المضادة التي يشكلها الجسم ببصمات الأصابع تشبيه صحيح إلى حد بعيد، ذلك أن البصمات تخص فردا بذاته. فالأجسام المضادة كذلك توجه ناحية نوع معين وواحد من الغزاة، في حين تتوجه أجسام مضادة أخرى ناحية غاز من نوع آخر .. واعتمادا على هذا في الأجسام المضادة يمكن الكشف عن وجود الغازي. فعن طريق الكشف عن الأجسام المضادة لفيروس الحصبة مثلا يمكن البرهنة على فيروس الحصبة ذاته .. وهكذا كانت محاولة إيسكس منصبة على الكشف عن أجسام مضادة لفيروس (HTLV) في دم المصابين بغرض الكشف عن تعرض الجسم للإصابة بفيروس الـ (HTLV) .

وهكذا تحدد أسلوب البحث وخطة العمل، وبدأت العينات من المرضى المصابين بالإيدز ومن أولئك الذين تعتبر حالتهم سببا تصل تباعا إلى مختبري الأبحاث، حيث يعمل كل من إيسكس وجالو .. وكان ذلك في خريف عام ١٩٨٢ .

لقد عمد جالو إلى البحث عن الفيروس في الخلايا الليمفاوية بالذات، فهي كما ذكرت هدف الإصابة الأول، ولم تكن مهمته تلك بالمهمة اليسيرة، فهو يبحث عن شيء لا يعرف شكله أو صفاته، والأسلوب المتبع علميا في مثل هذا البحث أن يعمد خبير الفيروسات إلى محاولة تكثير عددها، إلى حد يمكن معه كشفها والتعرف عليها، وهذا التكثير إنما يتم بمحاولة استنبات الخلايا التي يظن بإصابتها بذلك الفيروس في محاليل خاصة، وحينما تزداد أعداد تلك الخلايا ستزداد معها أعداد الفيروسات المطلوبة، ويسهل وقتئذ تخصيصها وتمييزها عن سواها. وهذا بالضبط ما فعله جالو، فقد وضع الخلايا التي يعتقد أنها مصابة بالفيروس في محاليل الزرع الخاصة، وراح ينتظر أن تتكاثر أعداد تلك الفيروسات .. ولكن النتيجة جاءت عكس توقعه، فعلى الرغم من تكاثر أعداد الخلايا واستمرارها في الحياة لمدة أسابيع، إلا أن جالو فشل في كشف الفيروس الذي يبحث عنه. لقد ظلت تلك الخلايا حية لمدة ثلاثة أسابيع كاملة ثم أخذت بالموت والاختفاء. الأمر الذي أزعج جالو كثيرا، فقد كان يعتقد أن هذه الخلايا ستستمر في التكاثر والحياة لفترات طويلة غير محددة، وبنفس النمط الذي تتكاثر به الخلايا السرطانية، عندما كانت الخلايا المزروعة خلايا مصابة بفيروسات من نوع (HTLV) التي سبق لجالو أن أثبت أنها تسبب التكاثر السرطاني اللاعضوي. وهكذا أحبط في يد جالو وفشل في الكشف عن الفيروس، كما فشل حتى في إثبات أثره على الخلية المصابة به .

لقد كانت النتائج السلبية السابقة كفيلة بأن تقعد جالو عن الاستمرار في محاولاته، لولا ما بلغه من حصول إيسكس على بعض النتائج المشجعة، باستخدام طريقة الأجسام المضادة، فقد تمكن إيسكس من كشف الأجسام المضادة لفيروس الـ (HTLV) في أكثر من ثلث عينات الدم الخاضعة للدراسة، وكانت هذه النتيجة مذهلة حقا، لا سيما بعد أن تحرى عن مثل هذه الأجسام المضادة لدى الأشخاص الأصحاء، للمقارنة، فلم يعثر لها على أثر. وهكذا بدا يتضح أول معالم الطريق، فلو لم يكن لفيروسات الـ (HTLV) علاقة بالإيدز لما ظهرت أجسامها المضادة في دم المصابين، في حين يخلو دم الأصحاء من هذه الأضداد. في الوقت نفسه بقي في ذهن إيسكس تساؤل له هام،



صورة مجهرية لفيروس مرض « الايدز »

كان لا بد معه من جولة أخرى من جولات البحث العلمي الدؤوب : على فرض أن هذه الفيروسات علاقة بالايدز . فإن هذا يعني حتمية كشفها أو كشف أضدادها في دماء كل المصابين بهذا المرض ، الأمر الذي لم يمكن تأكيده وخصوصا بالنسبة للمشريط . فما الذي يمكن عمله إزاء تفسير مثل هذا الغموض أو التناقض ؟

طرح جاليو على ايسكس تعليلا يمكن أن يعزى إليه هذا الغموض فقال : أفكر في أن نجد التعليل في ظاهرة التفاعل المتصالب ، وهذه الظاهرة معروفة في علم المناعة والأجسام المضادة ، وتعني أنه إذا وجد نوع من التشابه في التركيب الكيميائي لنوعين من الجراثيم أو الفيروسات مثلا فإن الأجسام المضادة التي يشكلها البدن ضد واحد من هذين النوعين ، حين يغزو الجسم ، يمكن أن تتفاعل وتهاجم النوع الثاني حين يغزو الجسم . بالرغم من أنها ـ أي الأجسام المضادة قد تشكلت أصلا ضد النوع الأول من الفيروسات .. وبمعنى آخر فكأن الأمر يلتبس على هذه الأجسام المضادة ، فتهاجم فيروسات مشابهة نوعا ما للفيروسات الخاصة بها ، والتي تشكلت أصلا لمقاومتها ومكافحتها

واعتمادا على هذه النظرية افترض جاليو أن الفيروس الذي يحدث الايدز ليس هو الفيروس (HTLV) ـ الذي أثبت أنه يحدث نوعا من سرطان الدم في اليابان ـ وإنما هو فيروس مشابه له في التركيب الكيميائي لحد ما .. ومن هنا فالأجسام المضادة التي تشكلت في دماء المصابين بالايدز ضد هذا الفيروس ، لها المقدرة على مهاجمة فيروسات الـ (HTLV) إضافة لقدرتها على مهاجمة فيروسات الايدز طبعا ، نظرا للتشابه الكيميائي بين الفيروسين .. وهكذا تنتهي إلى نص ايسكس أن الأجسام المضادة التي كشفها إنما هي أجسام مضادة ليست موجهة ضد فيروسات الـ (HTLV) أصلا ، بينما هي في الواقع موجهة ضد فيروسات مشابهة . وقد حدث هذا اللبس بسبب ظاهرة التفاعل المتصالب .

الدور الفرنسي في الموضوع :

ننتقل الآن إلى مكان آخر من العالم ، وبالتحديد إلى فرنسا موطن العالم المتخصص بالفيروسات ـ مونتانيير ، والذي يرأس قسم الفيروسات في معهد باستور الشهير . ولنتتبع عمله في محاولة من جانبنا لمعرفة ما توصلت إليه أبحاثه في هذا المضمار .

بدأ مونتانيير أبحاثه بطلب عينات دم من الأشخاص ، المشتبه في إصابتهم بالايدز وليس من المصابين به فعلا ، أي من الأشخاص يظن أن بعض الأعراض مثلا أنهم قد يكونون في المرحلة البدائية للمرض . ومن ضمن هؤلاء تم اختيار أشخاص يعانون من تضخم في الغدد البلغمية ، مع كونهم من الفئة التي يكثر الايدز بينهم ، لأنهم من الشاذين جنسيا .

لقد ظهر لمونتانيير ـ ولأسباب غير معروفة ـ أن عدد فيروسات الايدز يصل إلى حد كبير في عينات الخلايا اللمفية خلال فترة أسبوعين ، ثم يبدأ هذا العدد بالتناقص السريع في الوقت الذي تبدأ فيه الخلايا بالموت والاختفاء ـ وهذا يفسر السبب في أن جاليو لم يتمكن من كشف الفيروس في الخلايا التي أخضعها للدراسة ، بعد أن زرعها لمدة ثلاثة أسابيع . ذلك أن معظم الفيروسات كانت قد اختفت حينما بدأت الخلايا بالموت .

ويكون كشف جديد لم يكن مونتانيير وأتباعه كل

خشية من أن ما عثر عليه في الخلايا هو فيروسات الايدز، وخشي أن تكون هي فيروسات الـ (HTLV) المشابهة لها. ولكي يقطع الشك باليقين اتصل بزميله جالو وطلب منه ارسال بعض المواد الكيماوية، والتي يمكن بواسطتها التحقق من كون الفيروسات الجديدة هي الفيروسات التي يبحث عنها.. وأرسلت المواد الكيماوية المطلوبة إلى فرنسا على جناح السرعة، وبعد اسبوع من العمل المتواصل ظهرت النتيجة: ان الفيروسات المكتشفة ليست بفيروسات الـ (HTLV) وانما هي فيروسات أخرى.. لقد اكتشف الفرنسيون اذن فيروسات جديدة من مجموعة الرتروفيروس مسئولة عن مرض يصيب الانسان، وكان هذا بعد ذلك كشفا علميا رائعا. ولكن هل هذه الفيروسات المسببة للايدز؟ أم أنها فيروسات جديدة حقا تم اكتشافها بالصدفة، ولا علاقة لها بالايدز.. وتأتي الأيام بعد ذلك لتثبت أن ما كشفه الفرنسيون ـ ولم يكن باستطاعتهم وحدهم تأكيده ـ انه هو الفيروس المسئول عن الايدز بالفعل.

مع حلول ربيع ١٩٨٣ أصبح الايدز مشكلة عامة، وأصبح موضوع حديث ومصدر المخاوف للعامة والخاصة على السواء، وخرج عن كونه فضولا علميا أو مرضا طبيا ليصبح قضية لها آثارها العميقة على المجتمع الأمريكي.

ومع قدوم صيف ١٩٨٣ أصبح عدد المصابين بالايدز يقدر ب ١٩٠٠ مصاب، توفي منهم ٦٠٠ شخص، وينتظر الباقون نفس المصير في غضون سنوات ثلاث.

البرهان على الاكتشاف الجديد:

على الرغم من أن الفرنسيين استطاعوا اكتشاف الفيروس، إلا أنهم ظلوا يفتقرون إلى الطريقة التي بواسطتها تأكيد ما توصلوا اليه. وكانت المشكلة الرئيسية بالنسبة اليهم هي في الحصول على عدد كاف من الفيروسات لدراستها... أي بمعنى آخر زراعتها بأعداد كافية. ولما كانت هذه الفيروسات قد اكتشفت في خلايا شخص مصاب بتضخم في الغدد الليمفاوية، فقد أطلق على هذه الفيروسات اسم (LAV)، أي الفيروسات المرتبطة بتضخم الغدد الليمفاوية، إلى أن يثبت أنها السبب الرئيسي للاصابة بالايدز.

وكما يقول المتخصصون بأمور الفيروسات، فإن استزراع هذه الفيروسات والعثور على الخلايا الملائمة لتكاثرها ليس بالمهمة اليسيرة دائما. وقد حاول جالو أن ينجح في هذا المضمار، بعد أن خانه حظه وحدسه العلمي في المرحلة الأولى من الكشف، وقد كان قلب فريقه ثم أعين من الجميع. وكان أول ما فعله هو أن أعاد فحص العينات التي سبق له أن فحصها للرتروفيروس في ٤٨ عينة من عيناته، وبذلك يكون قد تحقق مما ذكره الفرنسيون، بعد أن اتبع طريقتهم في البحث.

ولكن السؤال الجديد الذي برز والذي بات يتطلب الاجابة: هل جميع هذه الفيروسات الشاملة في العينات مسئولة عن الايدز أم أن بعضها فقط هو الذي يحمل هذه الخاصية؟

وهل هذه الفيروسات من نوعية واحدة أم أنها مختلفة بعضها عن بعض؟ لقد افترض أنه لو كانت هذه الفيروسات مختلفة بعضها عن بعض، فان هذا يعني أن وجودها في تلك العينات الفيروسية انما يصور في الواقع ان كون المصاب بالايدز شخصا معرضا للاصابة بكل أنواع الفيروسات وأن وجود هذه الفيروسات، ما هو الا نتيجة لاصابته بفقدان المناعة، وليس هو سبب الاصابة بالمرض ذاته..

ولاثبات الاختلاف أو التشابه أو نفيهما في تلك الفيروسات، كان لابد من الحصول على عدد كبير منها لاستزراعه وفرزه. وهذا يعني أن أمام جالو مهمتين أساسيتين: اولاهما أن يحصل على الخلايا الملائمة القادرة على الحياة لمدة طويلة، بالرغم من اصابتها بالفيروس، أي خلايا مقاومة للموت نسبيا. والمهمة الثانية ايجاد وسيلة لانتاج العدد الكبير اللازم من هذه الفيروسات. ومن الجميل أن تتم العمليتان معًا في وقت واحد.. ولكن ليس على يد جالو نفسه، وانما على يد أحد مساعديه في المختبر ويدعى بوبوفيك. لقد كان بوبوفيك معتقدا بأنه لن يكون من السهل الاعتماد على الخلايا الليمفاوية الطبيعية في انتاج فيروسات الايدز، على الرغم من كون تلك الليمفاويات الهدف الأول للاصابة بالفيروس.. لذلك فقد سعى إلى البحث

من نوع آخر من الخلايا ، له قدرة أكبر على الهبوط والتمو ، ثم بدا له أن يستخدم الخلايا الليمفاوية المحصولة من جسد المرضى المصابين بسرطان الدم ، لأن مشاهداته السابقة أكدت له أن تلك الخلايا تتمتع بقدرة أكبر على مقاومة تأثير الفيروسات عموما .. وهنا طلبه بالضبط ، فقد قام بمساعدة زميله في المختبر (البزابيث ريد) بمزج الخلايا الليمفاوية من مرضى سرطان الدم بالعينات المحتوية على فيروسات الرتروفيروس المشتبه بأنها سبب الأيدز ، وأخذا يرقبان تطور الأمور ، ومضت أسابيع قبل أن تظهر أية نتيجة مشجعة ، وفي غضون ذلك طار بوبوفيك عبيره لتمضية إجازته السنوية في موطنه سويسرا ، تاركة مهمة المتابعة لزميله اليزابيث ..

وفي عصر يوم من أيام الكريم من عام ١٩٨٣ ، وبينما كانت اليزابيث تقوم بالفحص العلمي لأنابيب التجربة ، اكتشفت ما طال انتظارها له .. لقد لاحظت نشاطا فيروسيا كبيرا في العينات الخاضعة للمراقبة ، وبشكل لم تر له مثيلا من قبل ، ولم تصدق عينيها بادئ الأمر ، فأعادت النظر مرات ومرات .. وكانت الحقيقة : وكان ما ضاعف من دهشتها أن الخلايا الليمفاوية الممزوجة مع تلك الفيروسات لم تمت ولم تضعف ، بل ـ على العكس ـ تكاثرت وتضاعفت أعدادها ..

وحين عاد بوبوفيك من إجازته وعلم على هذا التطور الجديد لم يشأ أن يخبر صحيفته جاللو بالأمر ، بل أراد التأكد بنفسه من تلك النتيجة ، وأن يطمئن إلى صحتها ، وأخذ بوبوفيك العمل بنفسه وبقي فيه طويلا حتى حصل على النتيجة ذاتها ، بل كان استطاع إضافة إلى ذلك ، أن يعزل الخلايا الليمفاوية

عودة إلى فرنسا :

في الوقت الذي كان فيه الأمريكيون مشغولين بموضوع زراعة الخلايا الليمفاوية ، وتكثير أعداد الفيروسات اللازمة للدراسة ، كان الفرنسيون مهتمين بموضوع فيروس الـ (لاف LAV) الذي كشفه مونتانييه في دماء المرضى المشتبه بإصابتهم بالأيدز ، وكانوا في عجلة للبحث عن البرهان على أن تلك الفيروسات ـ التي هي من مجموعة الرتروفيروس ـ هي بالفعل سبب الأيدز . واستمر التعاون بين العلماء الفرنسيين والأمريكيين ، واتصلت مقابلاته ، فقام مركز مكافحة الأمراض في « أتلانتا » بتزويد المختبر الفرنسية بالعديد من العينات المأخوذة من مرضى مصابين بالأيدز ، أو من آخرين تحوم الشكوك حول إصابتهم به ، وذلك للكشف عن فيروس الـ (لاف LAV) في تلك العينات . وكان الرأي يتخذ أنه لو أثبت الفحص وجود فيروس الـ (لاف LAV) في جميع تلك العينات ، أو في غالبيتها على الأقل ، كان ذلك دليلا قويا على علاقة الـ (لاف LAV) بالأيدز . وجاءت نتائج الفحص كما كان مرجوا ومتوقعا ، فقد عثر على فيروس الـ (لاف LAV) في كل العينات المأخوذة من الأشخاص المشتبه بإصابتهم بالأيدز ، كما عثر عليه في غالبية الأشخاص المصابين به بالفعل .

وهكذا أصبحت علاقة الأيدز بـ (لاف LAV) علاقة شبه مؤكدة ، واقتنع الكثيرون بأن الـ (لاف LAV) هو الفيروس المسبب للأيدز .

المعضلة التالية :

والآن وقد تم للعلماء معرفة سبب الأيدز ، فقد أخذت الجهود تتجه نحو المعضلة التالية : كيف يمكن اكتشاف المرض في مراحله المبكرة عن طريق فحص مخبري بسيط ؟ ثم يأتي بعد ذلك الهدف الأهم وهو كيف تتم معالجة علة المرض ؟ .

أما بالنسبة لعملية اكتشاف المرض فإن بعض شركات الأدوية على وشك أن تطرح في الأسواق بعض المصول التي يمكن استخدامها من قبل الأطباء للتحري عن وجود الفيروس في دم المشتبه به .. وقد تكون هذه هي الخطوة الأولى نحو تصنيع لقاح واق من المرض ، وهذه الخطوة لن تكون بعيدة المنال كما تشير الدلائل . إلى ذلك .

وأما العلاج .. فحتى يومنا هذا ما يزال الطب عاجزا عن تقديم المعونة الفعالة لهذا المرض الذي يجرد الإنسان من وسائل دفاعه ، ويجعله لقمة سائغة لأضعف الكائنات ولكن البحث جار ، وبشكل حثيث ، لاختبار تأثير العديد من الأدوية على هذه الفيروسات ، التي يقع ضحيتها كل يوم ثلاث عشرة حالة في أمريكا وحدها ، فيما عدا ظاهر للعيان فقط .. ⚙

الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوي

خلق الانسان من طين

منذ أيام شارلز داروين والاعتقاد السائد بين العلماء هو أن الكائنات الحية ظهرت أول ما ظهرت في الماء ، لا في الطين .. ولكن هذا الاعتقاد الذي وجد تربة خصبة لدى الكثيرين قد تعرض لهزة عنيفة في الشهور الأخيرة .. ولم تأته هذه الهزة من أوساط التفكير النظري الفلسفي ، وإنما من أحد مراكز الأبحاث والتجارب العلمية المعروفة « مركز أبحاث أيمس في كاليفورنيا » التابع لوكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) .

ثمة لفيف من العلماء العاملين في هذا المركز مترابطوا يركزون أبحاثهم وتجاربهم على الأصول الطبيعية المختلفة التي يمكن للكائنات الحية أن تكون قد انبثقت منها . وقد وضعوا جهودهم كلها على هذا الموضوع بالذات خلال السنوات الخمس عشرة الماضية ، ولعلك تتساءل عن العلاقة بين أبحاث كهذه وبين الفضاء الخارجي البعيد ، الذي لا أمل يرجى في ارتياده حتى الآن .. والسبب يعمل المختصون في وكالة ناسا على تصميم السفينة الفضائية التي يمكن أن تنطلق بسرعة الضوء أو ما يقاربها والتي قد تنجح في نقل رواد الفضاء إلى المجرات أو أغوارها السحيقة .

مثل هذه الرحلات التي قد تستغرق عدة سنوات لا يجوز القيام بها قبل أن يتوصل العلماء إلى فهم أعمق لنشأة الكائنات الحية وأصولها المحتملة المختلفة . من هنا كانت الجهود المتواصلة التي كان يقوم بها لفيف العلماء السالف الذكر ، منذ مطلع السبعينات . والدكتورة لينا كرين والتي أعطت تصريحها الأول في مطلع شهر أبريل الماضي (١٩٨٥) فما الذي اكتشفه هؤلاء العلماء ؟

اكتشفوا أن في الطين العادي معادن وبلورات تتميز بخاصيتين : تخزين الطاقة وتحويلها ، ولكن من أين تأتي هذه الطاقة الموجودة في الطين ؟؟ تأتيه من باطن الأرض ، بل من انحلال النشاط الإشعاعي الذي يتم تحت سطح الأرض .. وتأتيه أيضاً من الشمس .. ومن خلالها الأشعة على وجه التحديد .

أما بلورات الطين ومعادنه فقد استطاع العلماء تصنيعها أو إنتاجها في المختبر ، إلا أنهم لم يكونوا بحاجة إلى ذلك نظراً لأنها توجد في الطين بصورة طبيعية .. وقد حللوها في المختبر فاكتشفوا في كريستال الطين خللاً في صميم بنيته .

واكتشفوا أيضاً أن هذا الخلل بالذات هو سر قدرة الطين على الاحتفاظ بالطاقة ، وعدم التخلي عنها إلا تحت ظروف معينة . ويمضي العلماء في تجاربهم وأبحاثهم حتى تبين لهم أن الطين يعطي تلك الطاقة بصورة أشعة بنفسجية ، ولا يعطيها إلا في حالة تفاعل مكوناته مع الماء ، أو مع عوامل أخرى . وهكذا فإن الطين يستطيع تحويل المواد غير العضوية إلى مواد أكثر تعقيداً أو حتى شبه عضوية حتى أنهم لم يقفوا عند هذا الحد . فهم

ملحوظ في إجراء التجارب على التقاوي أو الاستقطاب القائم بين السطوح والمواد الكربونية ، إذ لا بد للمستحثات التي في الطين من التفاعل مع مركبات كربونية ، لتتكون من ثاني أكسيد الكربون الذي في الجو ، لتكون القاعدة التي يقوم عليها التركيب الكيميائي العضوي (الحيوي) وتتحقق الحياة .

مع الكذابين

■ كثر الحديث في الآونة الأخيرة حول الكذب والأجهزة الكاشفة التي تستعملها دوائر المباحث والشرطة في تحقيقها مع المجرمين . والظاهر أن الدراسات العديدة التي أجريت في الشهور الأخيرة لموضوع الكذب والكذابين زعزعت الثقة في الأجهزة الكاشفة المذكورة وألقت ضوءا جديدا على ظاهرة الكذب ، وعلى حرص الكذاب الشديد على إخفاء كذبه .

وقد بينت تلك الدراسات أن المؤشرات التي اعتمدت حتى الآن باعتبارها مؤشرات كذب قد تكون مضللة إلى حد كبير . فلعلها مؤشرات في حالة الكذب العفوي ولكنها ليست كذلك في حالة الكذب المتعمد والمخطط له مسبقا .

وعملت إحدى تلك الدراسات التي أجريت برئاسة عالم النفس المعروف البروفسور إكمان المؤشرات التي يعجز الكذابون عن إخفائها ، حتى لو كانوا محترفين ، ويتقنون الكذب ، ومنها التعبيرات العاطفية . ولعل أكثر تلك المؤشرات هي المبالغات وانعكاسات العواطف . وقد نذكر منها التعبيرات الانفعالية ، كالتذرع بارتباط سابق وذلك تفاديا لاجتماع لاحق .

من تلك المؤشرات التي يعجز الكذابون عن إخفائها الشفة المضغوطة ، وهي التي غالبا ما تعبر عن الغضب وتقطيب الحاجبين مع رفع الحاجبين ، وتعبر في الغالب عن الدهشة من مأزق أو كارثة والخاصة إلى تصديقه (انظر الصورتين) .

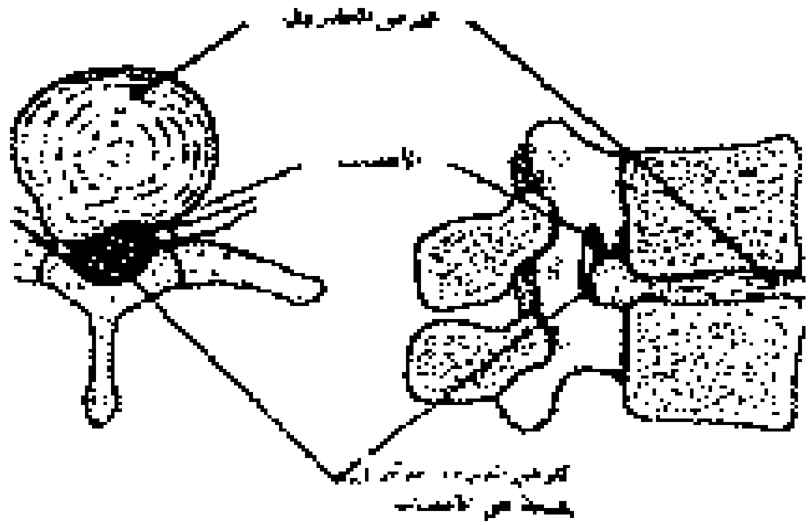
الانزلاق الغضروفي ومعالجته بالأنزيمات

■ عقار الكيمكيز ([illegible]) المستخرج من فاكهة الباباية ، من عصارتها إلى خلايا بالتحديد ، عقار نافع وخطير . فهو يعالج الأمراض الغضروفية التالفة (الديسك) ، ويغني عن إجراء العمليات الجراحية .. وقد كتبنا في هذا الموضوع بشيء من التفصيل في مقالنا ؟

ونعود إلى الكتابة عن العقار خاصة .. لا يخفى ما أثير من قلق لدى الكثيرين من قرائنا ، وقد كتبوا إلينا مستفسرين .. ونظرا لأن بعض الأخبار الهامة وردتنا عن الكيمكيز في الأسابيع الأخيرة فإننا نوردها فيما يلي :

١ - الكيمكيز لا يباع في الأسواق كما تباع سائر العقاقير . فالمستهلك لا يستفيد من شرائه شيئا ، إذ يتعذر عليه استعماله .. ذلك أن العقار ليس حبوبا أو ما إلى ذلك مما يسهل ابتلاعه . فهو حقن .. معدة للحقن في الغضروف التالف مباشرة . ولا مفر من الاعتماد على طبيب مختص وخبير لإجراء عملية الحقن هذه .

الانزلاق الغضروفي



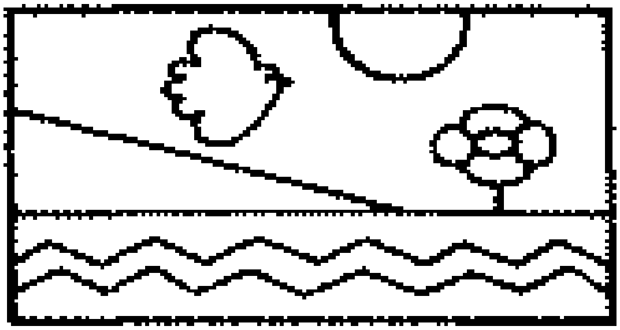
٢ ـ فذلك أن حقن هذه الخمائر ـ واسمها العلمي هو { chemo-papian } في القرص الغضروفي مباشرة عملية دقيقة للغاية .. ما لم يكن الطبيب المعالج على خبرة ودراية في اجرائها فان الحقنة تصبح نقمة وخطرا . فقد يحدث الشلل وقد تسبب الوفاة أيضا فيما لو تم الحقن في الموقع غير المناسب .. في العصب الذي يضغط عليه القرص .. علما انها احتمالات ضعيفة ولكنها واقعية . وقد وقعت بالفعل في الحالات التي تولى الأطباء المعالجون فيها بلا خبرة كافية .

٣ ـ من هنا كان حرص الأوساط الطبية على توفير التدريب والتعليم الكافيين للأطباء الراغبين في اجراء عمليات حقن الكيموباباين . وعمدت بعض المستشفيات الى ابتكار أساليب خاصة تضمن تلك العمليات وسلامتها ، نذكر منها ما يعرف باسم (سكوليوسكوب) ، وهي تعتمد على التصوير بالأشعة ، لتحديد موضع الحقن المناسب على وجه الدقة . والجدير بالذكر أن هذه الطريقة هي الاسلوب المتخصص في اجراء تلك العمليات في مستشفى العظام الملكي في لندن { Royal National Orthopaedic Hospital } وان الطبيب الذي ابتكرها او ساهم في تطويرها والذي يجري عمليات حقن الكيموباباين في المستشفى المذكور هو الدكتور مايكل سوليفان { Michael Sullivan }

٤ ـ هذه عملية حقن الكيموباباين في غاية البساطة ، ولا تختلف كثيرا عن الحقن العادية التي تحقن فيها الأدوية في العضلات . فهي تستغرق ثواني معدودة ، وقد يسمح للمريض بمغادرة المستشفى فور اجرائها .. ولا تكلف الا ـ ١٢٥ جنيها استرلينيا (في مستشفى لندن الذي سبقت الاشارة اليه) أو نحو ذلك .

٥ ـ والأهم من ذلك أن حقنة الكيموباباين جذري . اذ لانها تحدث تحللا طبيعيا داخل القرص الغضروفي التالف حتى يزول تلفه أو انسحابه تماما .. ويصبح قرصا سليما سويا ، ويشفى المريض من الآلام المبرحة التي ظلت تعاني منها على مدى الشهور أو السنين . ويكون شفاؤه تاما ونهائيا بخلاف الشفاء المترتب على العمليات الجراحية التي غالبا ما تترك شيئا من التصلب في العمود الفقري . وكثيرا ما تتطلب اجراء عملية اخرى لاحقة ، ناهيك عن التكاليف الكبيرة التي تتطلبها هذه العمليات ، وعن فترة النقاهة الطويلة التي تقضيها في المستشفى أولا .. وفي البيت ثانيا ..

٦ ـ وتجدر الاشارة الى أن آلام الظهر ليست حالات أقراص غضروفية تالفة (منزلقة) فهذه الحالات لا تشكل أكثر من ٥٪ من مجموع حالات آلام الظهر . وهذه النسبة الضئيلة من الحالات لا تعالج كلها بحقن الكيموباباين عوضا عن العمليات الجراحية وانما يمكن علاج أغلبها .



سلامة البشرية في سلامة البيئة

العالم الثالث وقصة الأدوية القاتلة

يبدو أن شركات المبيدات ومبيدات الحشرات والمواد الغذائية في أوروبا وأمريكا ليست الشركات الوحيدة التي درجت على استغلال دول العالم الثالث . فقد ثبت لصحيفة السنغالي تايمز الكاثوليكية المعروفة أن بعض شركات العقاقير والمستحضرات الطبية هي الأخرى ماضية في استغلال سذاجة الناس . وذلك على نحو أبشع بكثير من استغلال الشركات الأخرى . إذ أنه يقوم على الغش والتزييف وبيع مستحضرات هي في ظاهرها أدوية علاجية شافية وفي حقيقتها سموم قاتلة . فالمسألة هنا ليست مسألة غش واستغلال ، إنما مسألة قتل واغتيال .

والمقصود هنا المستحضرات الطبية على وجه التحديد . فقد كانت هذه موضع تزييف واسع النطاق .. وذلك بقصد بيعها في دول أفريقية فقيرة .. والغريب أن المزيفين لا يتورعون عن منح مستحضراتهم القاتلة ماركات تجارية عالمية شهيرة كفيلة بخداع الأطباء والصيادلة فضلا عن تضليل عامة الناس .

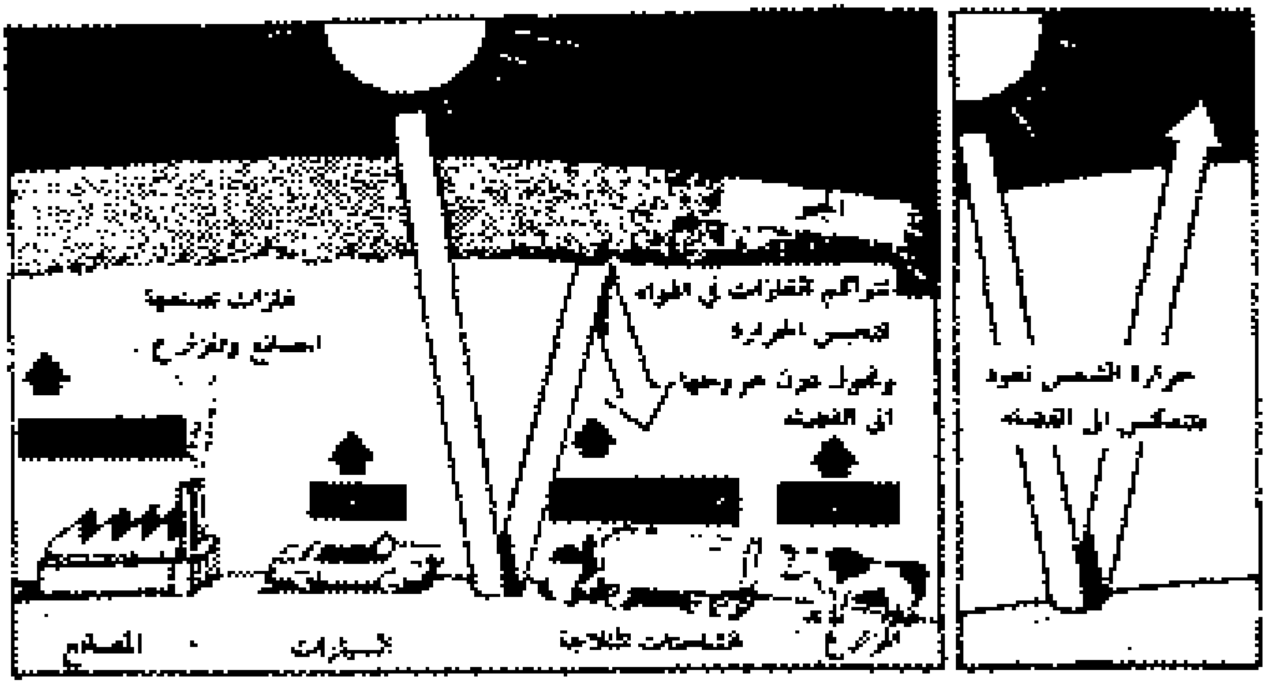
وتوجد أكثر مصانع التزييف هذه في بعض دول الشرق الأقصى ... تايوان وكوريا الجنوبية بالتخصيص . وتوجد أيضا في دول أوروبية ، نذكر منها إنجلترا وإيطاليا . وتوجد بعض مصانع التزييف أيضا في بعض دول الشرق الأوسط .. كما تؤكد الصحيفة دون أن تحدد هذه الدول بالاسم .

والظاهر أن نيجيريا قد تنبهت لموجة التزييف هذه فبدأت حربا شعواء على المستحضرات الكاذبة وحدث مثل ذلك في شركة الصناعات الكيماوية البريطانية (ICI) وقد اكتشفت أن عددا من المستحضرات المزيفة قد انتحلت ماركتها المسجلة كماركة صابونها الطبي لتموسول .

المناخ العالمي يزداد حرارة وينذر بكارثة

تحدثنا في عدد سابق عن تكاثر غاز ثاني أكسيد الكربون في جو الأرض وعن تزايد الحرارة ، حرارة الجو ، نتيجة لذلك .. وقلنا أن الغاز المذكور مثل أثر البيت الزجاجي في المزارع . فهو يسمح لأشعة الشمس بالسقوط على سطح الأرض ، ولا يسمح لها بالانعكاس والارتداد إلى الفضاء الخارجي . أي أن غاز ثاني أكسيد الكربون من شأنه أن يحبس المزيد من أشعة الشمس فإذا زادت مقاديره في

قصة اليوم — قصة الغد



عظيم، وحبس المزيد من هذه الأشعة معناه المزيد من حرارة الجو والطقس .. ويشعر الكثيرون أن تلك الصورة القاتمة المتشائمة لا تخلو من المبالغة.

إلا أن الدراسة المستفيضة التي أجراها الفيف من علماء مركز الأبحاث الجوية في الولايات المتحدة تعطي صورة أكثر حلكة وتشاؤماً من الصورة الأولى. فهي تؤكد أن طقس الأرض مقبل على كارثة. وتبين أن غاز ثاني أكسيد الكربون ليس الغاز الوحيد ولا الأهم الذي يمهد لتلك الكارثة، فقد حددت تلك الدراسة التي اكتملت في أواسط شهر سبتمبر الماضي عشرين غازاً هذه تشكل أكبر البيت الزجاجي، وأكبر غاز ثاني أكسيد الكربون ثم يزيد.

ونذكر من هذه الغازات العشرين غاز الميثان (وقد أشرنا إلى خطر تكاثره في الجو في عدد سابق)، فهذا الغاز تصنعه البكتريا في شطوط المزارع والحقول التي تكثر فيها المياه، وتصنعه على نطاق واسع، ثم انه يتسرب أيضاً في معدة المواشي.

ونذكر أيضاً غاز الأوزون الذي تنفثه عوادم السيارات والكسيد النتروز الذي يتصاعد من المصانع وينفثه عادم السيارات أيضاً، إذ كلاهما وقودهما واحد. ونذكر كذلك الإيروسول وما شابه من غازات تتصاعد من مخازن التبريد والثلاجات ومستحضرات التجميل والأسمدة الخ

ويقدر العلماء المعنيون أن الضرر الذي تحدثه الغازات العشرون في جو الكرة الأرضية يبلغ ثلاثة أضعاف الضرر الذي يترتب على غاز ثاني أكسيد الكربون.

وهم يقدرون أيضاً أن حرارة الجو سترتفع ثلاث درجات بالمتوسط في غضون الثلاثين أو الأربعين سنة القادمة. وقد ترتفع أكثر من ذلك في القطبين بما قد يكفي لإذابة الثلوج فيهما، وتختلف تحسبات الارتفاع في درجة الحرارة وتتفاقم الأمور بشكل يتعذر على العقل التكهن به.

■ الأفكار العظيمة ... تأتي من القلب!

■ نحن ننسى لأننا نحتاج للنسيان، لا لأننا نريده

اسم هذه الأرض جاء مني أنا ..

بقلم : الدكتور عبد القادر ياسين

يعتبر معظم كتاب أفريقيا الجنوبية المعاصرين من طلائع ثقافة سويتو . فهم جميعا انطلقوا من تيار ثوري انفجر أمام الظلم والاضطهاد ، وبقوا في دوامة هذا التيار يعبرون عن أحاسيسهم الكثيفة الرصاصية سواء كان ذلك عن طريق الشعر أو القصة القصيرة أو الرواية . وإذا كان بعضهم من أصل هندي (مثل أحمد أيوب وشاميم باتريلي وأيوب بالي) فإن ذلك لم يمنعهم من مشاركة المواطنين السود نفس الاضطهاد والعذاب ونفس الهموم والكفاح ضد سياسة التمييز العنصري .

لقد شهدت السنوات الأخيرة [illegible] منقطع التنظير جاء مباشرة اثر منع سلطات الحكم العنصري في تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٧٧ لنشاط المنظمات والجمعيات الثقافية أو الوطنية لحركة الضمير الأسود . فبعد ذلك مباشرة تشكلت مجموعات عمل وتفكير وانتاج جماعي توزعت في طول البلاد وعرضها . فأصدرت هذه المجموعات مجلة (ستافرايدر) الشهيرة [illegible] في عام ١٩٧٨ . وجمعت هذه المجلة حولها معظم الكتاب والمفكرين والفنانين في ميدان الرسم والتصوير . كانت هذه المجلة تصدر عن احدى دور النشر في جوهانسبورغ ، والحركة تتألف كلية من شبان ساهموا على نحو كبيرة في المسار العنصري المفروض على الثقافة والتفكير تعبر بنشر ما يكتبه السود والبيض الملتزمون في ميادين المسرح والشعر والقصة القصيرة والرواية .

أنا هذه الأرض

ولم تكن هذه الحركة في حاجة الى موجه أو قائد لأن القدرات تساهم كلها في الواقع في عملية التوعية . وكل واحد من الكتاب والفنانين معني بالأمر لأنه أحد عناصر هذه الحركة ، ولأنه في الوقت نفسه معرض كغيره لقمع السلطة العنصرية واضطهادها . لذلك تجمعت الطاقات تشجع بعضها بعضا ، فأبدعت في

ميادين الإنتاج الأدبي وأبرزت الإصرار على الاستمرار والإرادة الجماعية للمضي في الكفاح وحدة والثقة في الانتصار أيضا . وعلى سبيل المثال لا الحصر نستمع إلى سيبالا يقول في ديوان شعر (سويفتو) مؤكدا إصرار الشعب الأفريقي الجنوبي وإيمانه بعدالة قضيته ، وبأنه صاحب هذه الأرض مهما كان الرفض والعداء الذي يواجه به من قبل المحتلين العنصريين :

« لم أكن يوما في حاجة لأن أقول
هذه الأرض ملكي أنا
هذه الأرض كانت حرما لي
واسمها نفسه جاء مني أنا
تركيبة هذه التربة أسجدها أنا .
وأنا من يعطي ملحها لعرقها ودمها .
عظامي لم تزل تسجلها
تذيرها مني ملحتها
أنا هذه الأرض ، وهي ملكي أنا ،
لم أطالب يوما بحصتي من الميراث
لا حاجة لي بذلك
فأنا هذه الأرض »

كان أدب السود في أفريقيا الجنوبية في بدايته أدب احتجاج واستنكار ، يعمل في طياته في الوقت نفسه المعاناة اليومية والمحنة المعاشة تحت حكم الأبيض . أريد له أن يكون شهادة على ما يقاسيه الرجل الأسود في بلاده حتى لا يقول الرجل الأبيض (وطبقة الحكام) انهم يجهلون ما يجري في هذه البقعة من العالم التي فقد فيها الرجل الأبيض انسانيته في عصر التحرر من القهر والانطلاق نحو غزو الفضاء . ثم أصبح هذا الأدب على مر الأيام أدب الرفض والتصدي ، وتحول إلى أداة لجمع القوى وحشد الطاقات ورصاصا في معركة المصير . لقد كانت الأفكار التي يبثها والكلمات المحرضة التي يطلقها تدعو إلى ضرورة توحيد الصفوف والتضامن والعمل وخوض المعركة دون تردد .

نحو تحرير العقول

ونظرا لأن القوانين الرسمية والشرعية للتمييز مطبقة أمام الكاتب الأسود ، سواء أكان ذلك في الشارع أو البرلمان أو الصحافة المكتوبة والمسموعة ، فقد فرض الأدب نفسه وسط جمهوره الأفريقي كعنصر رئيسي لاستعادة الشخصية الجماعية وتقويتها ، وذلك عبر الدعوة إلى التجمع وتوحيد صفوف المثقفين . وبما أن الكاتب ـ شأنه في ذلك شأن أي فرد من أفراد الشعب يعتبر مسحوقا ، فالفرد أيا كان ـ يذوب وسط الجماعة ، والكاتب يصبح معبرا عنها وعن ثورتها وطموحاتها ، عن أفراحها ومآسيها ، وعن مطالبها وآمالها . فكان انتاج الكتاب السود في افريقيا الجنوبية دعوة إلى تحرير العقول ، وهو الطريق نحو التحرير المتكامل في جميع المجالات . انه المنفذ لصنع الوطن المتكامل بكل أبعاده ، صنع وطن يرفض كل التمييزات وروح التفرقة ، ويزيل الحواجز التي تفصل الأفارقة بعضهم عن بعض ، وتحول دون تشكيل جبهة موحدة في مواجهة الاضطهاد الذي يشتركون في معاناته .

ان الأدب الأفريقي الذي كان نابعا من قلب الرجل الأفريقي المسحوق ومن قلبه المزدحم بالعواطف الانسانية لأنه عانى قرونا من الظلم وظلم الانسان ، لا يتعرض للرجل الأبيض بالحقد والكراهية رغم سيطرته على كل شيء وحرمان الرجل الأسود من كل شيء . ان الواقعية سمة بارزة في الأدب الأفريقي ، والرجل الأبيض يحتل مكانه فيها لأنه موجود ، وكل ما يطلب منه هو أن يأخذ مكانه وليس كل المكان . كما ان الرجل الأسود ليس وحده على الساحة الأفريقية ، وليس كل أسود محشورا في صفوف الحرية .

ويتفق النقاد الذين درسوا هذا الأدب على القول انه غير عنصري ، ويدعو في مجموعه إلى بعث مجتمع لا مكان فيه لفكرة الصراع بين الأجناس ، وانطلاقا من ذلك يعمل على كشف زيف ومغالطات السياسيين الذين يحاولون اخفاء الواقع المرير الذي ساهموا في خلقه وترسيخه بمختلف الأساليب والتبريرات . انه أدب يعري المساوئ الناتجة ويوجه الضربة اليها . انه يكشف الهاربين من المعركة والمتعاونين مع نظام عنصري تدينه الانسانية بأجمعها باستمرار . لقد يحاول فك العزلة التي فرضها عليهم النظام العنصري المتحكم بالحكم على افريقيا السوداء ، وذلك بالدعوة إلى الرجوع إلى القيم التقليدية الانسانية ، وإلى نبذ الأنانية والفردية المتطرفة . □



سوق ترزه الاسبوعي تجمع فرضته التقاليد المحلية العريقة وتحت شجرة الصبار الضخمة حيث تجري عملية البيع والشراء والمقايضة . وفي سوق المنامة بالبحرين ، يعرض السماكون السمك الأبيض . (الى اليسار)

الأسواق الشعبية في الخليج العربي

استطلاع : ثريا البقصمي

اشتهرت أسواق الخليج العربي منذ القدم ـ نظرا لموقعها الجغرافي ـ كمركز تجاري حي ، ونقطة مهمة .

ولكن معظم هذه الأسواق جرفه الزحف العمراني لمواكبة عجلة التقدم .

وهذه جولة في بعض أسواق دول الخليج العربي .



أصوات مطارق النجارين ، تختلط بضحكات الباعة من كبار السن الذين تكسبة أطفالهم تحتضنهم ، الروائح العطرة والتوابل الفاخرة ، تجذب حتى المتسكعات بمباهاتهن ، غرابات ضيقة مسقوفة ، جدران ظللت النوافذ ولكبر احتضنت بهمسات الماضي .

جو شرقي أصيل ، يظلله شيخ الجماعات الواقفة على أبواب هذه الأسواق ، والمقهى يرسم نوعا من الكآبة على الوجوه الخمسة ، على الرغم من كل المداخل المطروحة ، واضرابات الأسواق المركزية الحديثة المكيفة . هذه الهيئة المتوحدة التي تشعر بها أحد الباعة ، والتي نصب أمامها علفا ، ويجلس عنها شاب متأكدا عليها شيئا عريقا ، هي جزء منه لن ينفصل عنه ولن يجده إلى أية بقعة جديدة . وهذا السوق بكل قدمه وتراثه لم يواكب روح العصر وتقدمه ، لكنه يبقى منزلا للذكريات ، يشيع جوا حالما يعبق بالأصالة والجمال .

أسواق الكويت - قديما -

لعبت الأسواق - في الكويت القديمة - دورا رئيسيا ، كمكان لالتقاء الناس من جميع الفئات المختلفة . وكان هناك محاكم لفض المنازعات بين رواد السوق ، وحرس لفرض النظام وحماية ممتلكات الباعة والتجار .

ويعتبر سوق « الداخل » من أوائل الأسواق في الكويت ، وهو يضم متاجر للنشالين الذين يزودون تجار السفن بكل لوازم البناء . كما كانت تباع فيه الخيزرانات .

وينتهي هذا السوق إلى ... ، يجلس فيه البدو الرحل ، حيث يبادلون الأرز والحبوب ، ويقدم رجل من الجمارك ، يدعى « ... » ... بتعبئة الحبوب على هذه المواد العينية .

وفي نهاية هذا السوق غرفتان خشبيتان ، يجلس فيهما حكام الكويت لاستقبال أبناء الشعب في ساعات معينة ، والنظر معهم في أمور الحكم ، ومن أشهر الشخصيات في هذا السوق « بالحكم » « صباح السوق » ، وكان رجلا شديد المراس ، إذا تدخل في بعض المنازعات . والتي كانت تزدهر في شهر رمضان حتى تنتهي منطقة « قبلة » ومنطقة « الشرق » .

أسواق للنساء :

إن أشهر الأسواق التي كانت تتداول البضائع النسائية هو « سوق الفيحة » الذي كان مركزا لبيع الأقمشة ، ويحتله من الكويتيين واليهود المهاجرين ، وكان هناك من النساء من يحملن البضائع المختلفة ويتنقلن على البيوت لبيعها . ويطلق عليهن اسم « الدلالات » ، وتتميز بضاعتهن بأنها من المصنوعات اليدوية التي تصنعها النساء في بيوتهن . و « الدلالة » هي الوسيطة في تسويق هذه البضائع . هذا وللنساء دور كبير أيضا في سوق « الصفاة » حيث كن يبعن الحبوب واللبن المطحون ، وعلف المواشي ، والحبال ، ويقرضن الأصواف . ويعتبر سوق « الحريم » هو السوق الوحيد الذي بقي من هذه الأسواق القديمة ، وما زال قائما حتى الوقت الحاضر ، وفيه تتاجر البائعات بالملابس الشعبية الفلكلورية من « ثياب » مطرزة ، ومنتجات ولوازم التجميل الشعبية مثل « الحناء » و « البخور » وهو شعر جميع المشتغلين .

وقد ازداد عدد الأسواق وتنوعت بضاعتها ، تمشيا مع التطور الحضاري للكويت ، واتخذت تسميات نابعة من صميم شخصياتها الاقتصادية ، ومن أشهرها « سوق سكة عنزة » ، وسوق « العطارين » التي تباع فيه الحبوب النباتية والحيوانية ، وسوق « الخرازة » وقد اشتهر بصناعة « النعال » والمصنوعات الجلدية وأشهرها « النعال النجدية » ، وسوق الجت القريب من سوق السلاح ، الذي اشتهر ببيع الأسلحة والخناجر ، وسوق التجار ، وسوق السمك ، وسوق الصاغة . وكانت هناك أسواق موسمية ، تعقد في فترات معينة ، وهي عبارة عن مهرجان للبدو الرحل الذين يجلبون السمن والجلود والمواشي للاتجار بها ، وكانت تعقد عند قصر « نايف » وساحة « الصفاة » وسوق الناخ ، وهو

عبارة عن باحة كبيرة تنصب فيها موازين قبضتها بحصى « مثاقيل » وتستعمل لوزن المبيعات الثقيلة ، واخذ ضريبة معينة عليها ، وجاورت هذه الأسواق مقاه شهيرة لعبت دورا رئيسيا في حل كثير من المشاكل التي واجهت المجتمع الكويتي في بداياته ، وكان مقهى « ابو ناشي » في مدخل سوق التجار من أشهرها فهو يضم منتدى التجار ووجهاء البلاد .

وفي الثلاثينات اجتاحت البلاد فيضانات نتيجة عن الأمطار الغزيرة ـ وسميت بسنة « الهدامة » والتي هدمت الأسواق وتضرر العديد من المحلات التجارية .

الأسواق القديمة ـ حديثا :

ان ما تبقى من القديم لا يكاد يذكر ، والأسواق الحالية لا تزيد تواريخها عن بضع عشرات من السنين ، والسوق الداخلي حديث البناء ، وكان سابقا في موقع « التلكراف » أي بقرب مقر السيارات والتعميرات التجارية بالقرب من ساحة الصفاة ، وقد أمر الشيخ « عبد الله السالم » مجموعة من المهندسين الكويتيين والمهندس الأسطى « عند البناء » ببناء سوق في هذا الموقع ، [illegible] تقع بجهة القبلة ، وقسم الى مربعات صغيرة ، أطلقت عليها تسميات مختلفة ، وهي سوق « الجت » ـ وسوق « الفراكش » ـ وكان موقعه السابق على ساحل البحر ـ وسوق « الغزل » « السمك » الذي اشتهر فيما بعد بالقروالات التعاونية ، التي تجربتها تقتصر على السمك ، لأن المشترون فهم في الغالب من اصحاب الحوانيت التجارية المجاورة . ثم بنيت بعدها أسواق [illegible] ، وقد ضمت بعض الحوانيت التي تبيع « الصبوغ » وهي العباءات الرجالية ـ وكانت في السابق تستورد من مصر والاحساء [illegible] الآن فهناك مصانع [illegible] في الكويت . [illegible] السوق والأسواق في منطقة الخليج [illegible] لا على الرجال [illegible] منها ، كما أن هناك بعض الأسواق التي في طريقها الى الزوال مثل « سوق الغنم » و « سوق الحريم » . أما سوق « القماش » فقد تم نقله الى مقر جديد ، وهو ملحق [illegible] السوق بالمساحات المدنية الحديثة .

الأسواق في الامارات العربية المتحدة

ان الزحف العمراني الذي عم دولة الامارات [illegible] الخليجي ، لم يبق إلا على القليل من مخلفات الماضي البسيطة ، وكل ما تبقى من أسواق شعبية قديمة في مدينة دبي ، لا تستحق بعض العمرانات المحيطة المطرفة ـ والتي تقع على « الخور » الذي يصب مباشرة ، ويطلق عليها الناس اسم « سوق الغويط » .

ان عمر سوق الغويط لا يتعدى سبعين عاما ، وقبل ان يتأسس هذا السوق كان يطلق عليه اسم « سوق الخور » وذلك لأنه كان محطة لالتقاء تجار المواشي الذين يعرضون مواشيهم حتى تنتهي فترة السوق الموسمية ، وبعد سوق « [illegible] » أول سوق في المنطقة ، وهو عبارة عن سقف النخيل ، ومساحة قرب هذا السوق من البحر الى الشاطئ [illegible] . هذه وقد نشب حريق في هذه الأسواق ، قبل خمسة وعشرين عاما ، أدى الى القضاء على كثير من المحلات القديمة . وفي [illegible] بعضه ببعض [illegible] و « [illegible] » وهو [illegible] للرجال والنساء ، وفي : [illegible] من هذه الأسواق المختلفة ، وذلك لأنه [illegible] ، وتعتبر تجارة رائجة ، لأنه [illegible] والست عشرات .

عطار يطلق السحر :

جلس « الشيخ عمر » وسط اكوام مختلفة من الأعشاب ، وهو يتحدث عنها بحب كبير ، قال : إني أبيع مئة نوع من الأعشاب ومواد العطارة المستوردة من الهند والصين وايران ، وبعضها من الصومال واليمن . والأعشاب الأكثر [illegible] ، والأعشاب تستعمل عن طريقة [illegible] ، وهي [illegible] « [illegible] » و « [illegible] » [illegible] ، ويطلق البخور ، وهو يحضر من الزئبق وأعشاب مختلفة ، ويضعها في جيوب تحت وسادة المسحور ، فيبطل السحر . وان [illegible]

● المصورة : فى اليمين عدسة مصور [illegible] التقطت هنا الرجل العامل وهو يحتسى فنجان القهوة العربية فى سوق [illegible] يجمع حوله رواد السوق.

وفى الوسط : [illegible] صاحب محل [illegible] يقضى يومه فى [illegible] المطالب [illegible].

وفى اليمين : [illegible] . [illegible] فى [illegible] [illegible] الخطرة.









المشهورين بالسحر ، يتوجهون إلى شراء « مبطل السحر » هذا .

أسواق الشارقة

على شاطئ « الكورنيش » في الشارقة ، تمتد عروض سوق « سوق السمك » . وهنا يباع السمك المجفف والمملح والمدخن والأفريقي ، وبجانبه تباع أعلاف المواشي والأسماك المجففة ، وكميات كبيرة من قطع الخشب ، وحسب أقوال أحد الباعة فإن الفحم يخلط مع خشب يبرم في جفرة لاستخدامه في أغراض الطاقة الكهربائية .

الأسواق الشعبية في البحرين

اشتهرت البحرين بأسواقها منذ القدم . وقد اندثر بعضها ، أما البعض الآخر فما يزال يعكس تراث شعب « يتميز بالأصالة . » وقد تنوعت الأسواق الشعبية حسب تنوع البضاعة ، وكان من أشهر الأسواق قديما « سوق الخميس » وسمي بذلك لأنه يقع بالقرب من « مسجد الخميس » وفي باحة كبيرة مسورة كان يجتمع تجار القرية والمدن لعرض أصحاب صناعتهم اليدوية لتسويقها ، وكانت هناك أسواق موسمية وأسبوعية من أشهرها سوق الاثنين والأربعاء ، وينعقد حاليا سوق الأربعاء في المنامة وهو زاخر بالصناعات الشعبية ، ويعتبر مجمعا لمختلف الفئات ، وأغلب رواده من النساء .

ومن الأسواق التي اندثرت سوق « عاري » وكان عبارة عن مخزن للغلال والحبوب ومرابط للجمال والخيل .

سوق الحدادين :

في مدخل سوق المنامة يقع « سوق الحدادين » . ومن خلال أكوام الحديد شيء كالسواد يتسرب إليك وإلى كل الأشياء الصغيرة ، ويحتضر لبضع سنة ذلك الإنسان المتصوف بلهيب النار حوله بمطرقته وسندانه ، وتوزيع تخصصات « الكير » و « المقباح » لصهر قطع الحديد الملتهبة . ولم السنة « حلي الحديد » المتعدد وأشياء وهو يشكل لأشكال المخلصة الحديدية ، والأدوات التي يستوردونها من الخارج ، لكي يصبحوا جيدا بالكتلة ؛ ولتصبح أن سوق الحدادين هنا ، هو السوق الوحيد في منطقة الخليج ، ولقد كان في السابق يصدر مصنوعاته إلى جميع الدول ، والمناطق المجاورة ، أما الآن فقد انكمشت هذه السوق مصانع حديثة واستغنت عن مصنوعاتها ، وأصبحت تغطي حاجة البحرين فقط . ومن مصنوعاتهم اليدوية مثلا : إنه نصنع لوازم البناء و « مسامير » البحر « المرساة » ، وأدوات زراعية وصنعها سلات من هذه الفوضى المتنوعة التي تحيط به ، لحسب والشهية تكسو وجهه : إنه لا يرى أي فوضى ، فأكوام الحديد المسلحة هنا ، تنتظر دورها لتصبح عندما يتقدم الزبون في طلب جديد .

ولاحظت بأن المهنيين أصحابهم شيوخ ، وعمل الحداد شاق يحتاج إلى الجهد العضلي ، ولكنه صحح هذه الفكرة قائلا : بأن عمل الحداد يحتاج إلى الذكاء والخبرة في احتياجه إلى العضلات القوية .

سوق « القيصرية » و « التبغ » :

يعد سوق المنامة من أكبر الأسواق الشعبية مساحة في منطقة الخليج ، وهو عبارة عن ممرات ضيقة متشعبة ، ستجد نفسك ، إن كنت غريبا ، في نفس النقطة ولن تستطيع الخروج إلا بمساعدة مرافق من أهل المنطقة ، وفي سوق التبغ تجد الدكاكين متجاورة لا تتعدى مساحتها بضعة أمتار تتكدس فيها أكوام من ورق التبغ المجفف ، والباعة المشترون يتحدثون عن تجارتهم بهدوء ، إنها تجارة مربحة ، كما قال أحدهم ، والسبب يعود إلى أهل البحرين ، وخاصة كبار السن الذين لا يستغنون عن تدخين « الأرجيلة » ولا يخلو أي بيت بحريني من هذه العادة ، والنارجيلة البحرينية مصنوعة شكلها ، مصنوعة من قشرة ثمر جوز الهند ، ولها عنق فخاري وثقلا بماء الساخن ، ويقول بائع التبغ إنه كلما ازداد التعتيق للتبغ ارتفعت جودته ، والتبغ أنواع ، مثل : تبغ « عمانية » و « الحمري » و « شيات » و « باطني » .

وكلما كان التبغ محصول العام ، ارتفع سعره ،

ومن أجود الأنواع ، التبغ العماني ، وفي البحرين لا يزرع التبغ بل يستورد من الخارج .

سوق « الصفافير » :

وصوروا بمخازن مختلفة لبيع البخور والعطور وأصناف الأقمشة ، أتينا في شيخ هرم يخيط الأكياس التي تستعمل لتخزين الحبوب والطحين ، بحصر وفوق الإبرة وقطع « الخيش » . ومن داخل السوق يتحدث صوت طرقات رتيبة تسبب بالصداع . بينما يشعر العاملون هناك بالبهجة وهم يسمعون هذه الأصوات . وأغلب المصنوعات المعروضة هي من أواني حفظ الماء ، وأوعية منزلية ، و « الصفافير » هم الأشخاص الذين كانت مهنتهم صنع الأواني المنزلية ، والقدور النحاسية القديمة ، وتلميعها وتنظيفها بمادة القصدير للتصدير ، صنعة لأغراض التبيع ، ولا يخلو أي مطبخ بحريني من هذه الأواني . ومن القدور أواني « الأثيوة » ، توقف نبض الشارع فترة ، ثم عاد يستجمع قواه من جديد ليواجه التوقف ، وكان يقوم شارع الصفافير بجميع الأعمال المعدنية ، وتشاهد في شارع الصفافير لوحة شعبية جميلة حيث تتجاور الأشغال ، وقد افترش أصحابها الأرض يعملون بلا كلل .

أسواق المحرق :

من أشهر أسواق مدينة المحرق سوق « الطواويش » وهو سوق موسمي يقام لتجار اللؤلؤ . وبقيت هذه الأسواق ولكن اختفى اللؤلؤ منها لتباع فيها بضائع أخرى أقل تكلفة ، وأكثر التصاقاً بحياة الناس .

سوق العباءة (أو سوق القيصرية) :

في هذا السوق الضيق تنتشر متاجر صغيرة ، تباع فيها العباءة الحريرية السوداء ، ودكان الخياط « حسن طرس » مشهوراً في مدينة المحرق ، التقيناه بين الأقمشة السوداء اللامعة ، فقال : إن صناعة العباءة النسائية ما زالت تلاقي رواجاً ، على الرغم من انتشار ظاهرة السفور ، وكانت أقمشة العباءة تستورد من سوريا ، أما الآن فإن الأقمشة اليابانية غزت الأسواق ، وهناك عشرات الخياطين . وأسعار العباءات ، وتختلف العباءات باختلاف التطريز المحاط بها ، كما تتفاوت أسعارها حسب نوع القماش . وتستغرق كل خياطة أربعة أيام لاستخراجها ، والمرأة البحرينية تشتري العباءة في الأعياد والمناسبات والأعراس . وتسمى العباءة المطرزة البحرينية « بالنقدة » .

ونلتقي في هذا السوق عدة خياطين ، الذين يخيطون الرسائل الفضية . وينقشون القطن ويطرزونه بطرق يدوية وآلات يدوية بسيطة في محل ملحق بمصنع الدلافة ، والحقائب المطرزة إلى جبر سبيكة . وذلك لأنها معرضة للتكسير أكثر من مرة ونلحظ أيضاً في هذا السوق الخزائن الخشبية القديمة واضحة في التصميم ، ويرافقه بجوز عين تنبعث من خلف أعمدة مزخرفة بأحلام شعبية وطرق بحرينية أصيلة .

سلطنة عُمان

أسواق غزلوات الخناجر والقواشي :

تعتبر « عُمان » وهي في ذلك الركن البعيد من شبه الجزيرة العربية ، أشبه ما تكون معزولة عن الخليج ، ولكنها جزيرة تسيطر على أهم الطرق البحرية البحرية في عمان ، وهو الطريق البحري بين الخليج والمحيط الهندي ، وتتيح من موقعها هذا أسواق ساحلية ، اكتسبت مكانة شهرتها منذ القدم

سوق مطرح :

ففي مدينة « مطرح » الواقعة على بعد ميلين من مدينة « مسقط » العاصمة ، يحتل « سوق مطرح » مساحة كبيرة من المدينة ومعنى كلمة « مطرح » مكان الرسو أو « حط الرحال » البلدي قد يشير إلى القوافل التي كانت تلتقي فيه قوافل الجمال القادمة من الداخل أحمالها بعد رحلة تستغرق أسبوعها عبر الجبال والوديان . وكانت بوابات سوق مطرح حتى شهر يوليو ١٩٧٠ تغلق عند غروب الشمس . ويعتبر سوق مطرح أول سوق بني في عمان وهذا





بائع خضار عماني بسوق مطرح، ينتظر زبائنه من القرويات بالساحل لا غنى عن عمله : استمرارية المحصورة الى الصحو !

بائع «التمباك» بالقيصرية بسوق المنامة، قضى حياته بين أوراق التبغ الصفراء ومساومات زبائنه

سوق «الغربللي» بالكويت صفحة من الماضي، في طريقها الى الزوال.

صيادون يمارسون عملية مزايدة لبيع الاسماك بسوق مطرح للسمك.

السوق لم تلحقه يد الترميم ، وهو عبارة عن ممرات متداخلة تربطها عرصات ضيقة مسقفة . ويقترب « صنعاء » كثيراً من هذا السوق ، حيث عملية تسويق البضائع . وعلى الرغم من سيطرة الهنود على هذا السوق فإن للصناعات العمانية التقليدية ما تزال في أيدي العمانيين ، لأنهم يعرفون أسرارها ، ويرفضون أن تؤول إلى الأجانب .

يقول بائع « الكمة » و « الكمة » قبعات عمانية ، غنية بالتطريزات يعتمرها الرجل العماني : إن بعض قبعاتي غالية ، وغالبا ما تقوم النسوة بتطريزها ، وقد يستغرق تطريزها أحيانا شهراً كاملا ، وهي مرتفعة الثمن ولا يقتنيها غير الميسورين ، أما القبعات المستوردة فهي رخيصة الثمن ، والرجل العماني يعتبر « الكمة » عنصراً ثابتاً في زيه وفي مظهره الرجولي ، وكان البائع قد عرض قطعاً من القماش التي تحمل رسوما تخطيطية ، تأخذ النساء القطع لكي يحملنها إلى منازلهن ويطرزنها ثم يحملنها إلى السوق مرة أخرى لبيعها . وكلما تعقد التطريز ارتفع سعر « الكمة » .

بائع الخيزران : وتصادفنا مجموعة من الرجال المسنين وهم ينتقون عصي الخيزران ، ويبدون لا تنقصهم الخبرة يحاولون معرفة جودة الخيزران ، وهنا قال البائع : إن بضاعتي مازالت رائجة لأن الرجل العماني يجب أن يكون مظهره كاملا ، فإن لم يعتمر خنجراً ويحمل خيزرانة ، يشعر بأنه يسير عارياً ، وأضاف بأنه نظراً لارتفاع أسعار الخناجر ووصول بعضها لمبالغ خيالية ، فإن الخيزرانة تحل محل الخنجر العماني في بعض الأحيان .

وفي الماضي كان الرجل العماني لا يسمح له بدخول المحكمة ، إذا لم يحمل خيزرانة في يده . وفي هذا السوق تصادف بعض الباعة الذين يعرضون بضاعة بسيطة ، مثل عطار يبيع على الرصيف ثلاثة أنواع من البهارات فقط ، وهناك بائع لعب الأطفال وآخر يبيع الأشرطة الموسيقية ، والأجهزة الكهربائية ، والمسجلات ، ويجذب الجمهور بالنداء على بضاعته بالرقص والغناء وإلقاء النكات المختلفة وقد رد البائع على أحد أسئلتي المحرجة عن نوع بضاعته قائلا : هذه صينية المصدر ، لكنه « ثم أكمل مشيراً إلى نفسه » وهي مثل واجهة الشعب » . ! ! . . .

وتعتبر « الوكة » مؤسسة مكملة للزي العسكري في السلطنة ، ولن يدخل أي موظف دائرته الحكومية إذا لم يعتمر الوكة . وقد قال البائع « جواد علي » إن هذا المتجر أنشئ لتجارة بيع العمائم ، وبعضها من الأصناف الرخيصة وهي لعامة الناس ، وبعضها الآخر من الأصواف الغالية والحرائر النفيسة ، وتصل إلى مبالغ خيالية ، ويتوافد الناس على شراء الأقمشة وخصوصا النساء ، ومعظمهن يقمن بخياطتها في منازلهن . وتمتاز العمة العمانية بشرائطها اللونية والزخرفية .

ومن أشهر الصناعات في سوق مطرح « سوق الصاغة » ، وقد التقينا بالحاج « سعيد خميس » وهو صائغ هرم لا يعرف عمره بالضبط ، ولكنه بدأ العمل في الصياغة منذ الخامسة من عمره ، وكان الذهب يجلب من الهند ، ويصهر بالفحم . أما الآن فإنه استخدم الغاز بدل الفحم ، وقال الحاج سعيد : في السابق كنا نصوغ الفضة ، ولكن قل الطلب عليها في الوقت الحاضر أما بالنسبة إلى الذهب فقد بقي في السوق اليوم خمسون محلا فقط لصياغة الذهب ، بينما كانت في السابق تبلغ الضعف .

وقال صائغ آخر يبلغ السابعة عشر من عمره : إنني أحاول أن أتعلم مهنة والدي ، وهي مهنة تحتاج إلى الصبر والدقة وكثير من الفن ، ونحن نحاول دائماً تقديم تصاميم جديدة وذلك لأن النساء صرن يطلبن التغير ويرغبن في كل ما هو جديد .

وفي بعض الممرات الضيقة تصادفنا محلات « الروبابيكا » ، وهي تحوي كل ما تخلى عنه الناس من علب فارغة وأحذية بالية ، وعندما سألت البائع عما يبيع قال : مشيراً إلى بضاعته بفخر ، إنني أجمع ما يلقيه الناس ويتخلون عنه ، وهناك زبائن يحتاجون إلى أشياء تافهة يعطونها قيمتي ، وتأملت المحل جيداً ، فمن السقف تتدلى غلايات وأباريق ، وعلى الأبواب علقت ثياب مستعملة ، وأحذية بلا فردة ، وصناديق على الأرض تطفح على وجوه كثيرة . وكانت المحلات المجاورة أكثر جاذبية فيما تعرض من بضائع تشمل أواني الطبخ ، ومباخر البخور ، والجرار الملونة والفخارية التي تقوم النساء بزخرفتها قبل بيعها ، ومعظم الجرار يجلب من مدينة « بهلاء » حيث تتجمع معامل الفخاريين .

سوق السيب :

تشتهر « مدينة السيب » الساحلية بسوقها الشاطئي للسمك ، والذي يشتهر ببيع الحلوى العمانية المصنعة يدويا ، طبق مواصفات معينة ويكثر فيها استعمال نبات الزعفران والمكسرات ، وتتفاوت أسعارها حسب جودتها ، وهي عنصر مهم في عملية الضيافة العمانية ، حيث تحل الصدارة بجانب القهوة العربية ، وتقدم في الأعراس والمناسبات .

مزاد الخناجر :

وفي حلقة دائرية لبعض الرجال (المزاودين) بمختلف أنواع الأسلحة أثار انتباهي وجود مجموعة من الخناجر الفضية المطروقة وقد صفت على الأرض ، وأحد الباعة يقوم بالمناداة بما يشبه عملية المزاد ، وقال المنادي : بأن سعر بعض الخناجر يصل إلى أربعة آلاف دولار ، وهناك أنواع مختلفة من الخناجر ، منها الخنجر السعيدي ، والخنجر الهندي والخنجر الصيفاني ، وكلما قدم الخنجر ارتفع سعره ، وبعض الخناجر تصنع محليا والأخرى تستورد من الهند ، والخناجر مقابضها من العاج أو الفضة . والخناجر الرخيصة مقابضها من عظام الحيوانات والخنجر الأصيل هو الخنجر ذو العاج ، ويتهافت السياح الأجانب على شراء واقتناء الخناجر العمانية .

وبالصدفة شاهدت كيف تجري في الأسواق عملية مزاد الخناجر ، ولكن بطريقة غريبة وهي المزاد المتجول ، حيث يقوم أحد البائعين بحمل خنجر ، ويتجول به في السوق وهو يعرض سعرا معينا ، ويظل يتجول حتى ينال السعر الذي يرغبه ثم يبيع بضاعته ويعود لعرض خنجر آخر .

سوق نزوة :

من أهم المدن الداخلية في عمان التي تحيط بالجبل الأخضر مدينة نزوة ، وتحدث السجلات القديمة عن « نزوة » بأنها كانت العاصمة في القرن الثامن بعد الميلاد وتشتهر بصناعة الفضة والنحاس . ولسوقها أربعة مداخل رئيسية ، ويحتل محلات الفضيات الجزء الأكبر منه ، حيث تعلق اللافتة العمانية القديمة « [illegible] » .

وقال أحد الباعة : إن الحركة الصناعية العصرية تكشف عن جمال الفضة ، وزبائننا في الوقت الحاضر من السائحين الأجانب ونساء البدويات ، وأهالي المناطق الشرقية الذين مازالوا يحبون هذا المعدن الثمين .

وفي زاوية من السوق تعرفت على الحاج « عبد الله الخميسي » وهو يبيع قطع قماش زاهية الألوان ، تشبه الشراشف الطويلة ، ويسميها « بقيوش » ملونة ، ويقال إن اسمها « المصبغة » وتباع للسيدات لكي تخاط في صورة العباءات النسائية وقال : إنه يصنع يوميا ثلاث قطع من هذه الأقمشة ، ويساعده في عملية النسيج أحد أبنائه ، والعربيات أكثر من يشترين بضاعته هذه .

وفي باحة السوق وبجانب قلعة نزوة التاريخية ، وتحت ظلال شجرة صبار ضخمة ينعقد في يومي الخميس والجمعة « سوق الماشية » ، ويجلس المشترون القرفصاء في شبه دائرة ويقوم تجار المواشي بعرض مواشيهم ، ويتبع في عملية البيع والشراء أسلوب المزاد العلني ويطوفون بالأغنام ليتفحصوها بالأيدي ، وينتهي السوق قبل أذان الظهر ، وهناك رجل مسن يدون في دفتره أسماء المشترين بالأجل أو الدين ..

وتجلب البدويات ماشيتهن ويدخلن في عملية مساومة مع الرجال . كما يباع في هذا السوق عسل النحل الطبيعي ، وفروخ النخيل ، وتحت شجرة الصبار الضخمة بئر جافة حبست فيها صغار الماعز التي جلبت لبيعها ، وبجانب البئر [illegible] عمانية ، تمسك بيد ولدها وعيناها تتفرس في وجوه الغرباء ورجل مسن يتحسس ضرع البقرة بيده ، معلقة على البضاعة المعروضة ، وآخر يقطع شعرة من صوف الماعز ، ليتبين مدى جودتها ، ووجوه متعبة جاءت من البراري والسهوب المجاورة لتعرض كل ما لديها ، لعلها تعود بالنقود أو تعود بما حملته ، ووجوه جديدة ووجوه مألوفة ، وعالم يسوده المرح والفرح ، ملتقى للعادات والطقوس منذ مئات السنين ، والسوق يظل نقطة اللقاء ، تقرب بين الناس وتترجم ترجمة حية الطقوس الاجتماعية التي يمارسونها . □

قصة

الخدمات خطأ

للكاتب الإيطالي دينو بوتزاتي
ترجمة : د. محمود موعد

ذات صباح، دعا الرسام الشهير «توليو بروتزلي» (في ستة والأربعين عاماً)، و[illegible] المصحح منذ زمن طويل إلى مرتبة في التربية في «جيم كالت»، وهو يطالع صحيفته اليومية عندما لاحظ في الصفحة الثالثة، في اليمين أو الأسفل، على أربعة أعمدة، العنوان :

«الفن الإيطالي في حداد، وفاة الرسام بروتزلي».

وتحت ذلك ملاحظة صغيرة بالحرف الأسود المائل :

«جيم كالت، ٢٩ شباط، توفي أمس عن عمر ناهز الأربعين [illegible] بعد [illegible] «توليو بروتزلي» منذ يومين، وقد عبر الرسام عن رغبته بالإبداع عبر وفاته إلا بعد مراسم الدفن».

وقد تم ذلك بعد مقدمة تقريظية عن [illegible] تقريبية، كلها مديح [illegible] في [illegible] مستمتع [illegible] وكانت ثمة صورة له تعود لحوالي [illegible] عشرين سنة مضت.

قرأ بروتزلي المقالة بأسرها باضطراب، بعد [illegible]، هو الراقد في سريره، [illegible] [illegible] [illegible] وهذا [illegible] [illegible] [illegible]

صاح بروتزلي [illegible] [illegible] زوجته :

- [illegible] [illegible].

[illegible] زوجته من الغرفة المجاورة.

- ماذا هناك ؟

قال منفعلاً :

- تعالي، تعالي بسرعة [illegible]

- [illegible] [illegible] [illegible]

- [illegible] [illegible] [illegible]

كان صوته مضطرباً جداً، حتى أن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] إليه.

قال الرسام [illegible] وهو يمد إليها الصحيفة :

- [illegible] [illegible]

[illegible]، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]





- آه عزيزي لوشيو .. يا مسكيني لوشيو .. يا عزيزي . .

وانتهى المشهد بخط الرجل :

- ولكن أنت مجنونة حقيقة ؟ ألا ترين أني هنا ؟ أنت لا تفهمين لها .. انها غلطة .. غلطة تافهة ؟

توقفت ماتيلدا عن البكاء على القبر ، ونظرت إلى زوجها ، فصعدت الانفعالات إلى وجهها ، ومع الصرخة التي أحست فيها بأنها أصبحت أرملة ، ملأت جوانب الفكاهة في القصة واحتلتها موجة من الضحك .

- أو .. يا إلهي ، يا له من شيء مضحك ، أوه ، أوه ، أية قصة . اعذرني لوشيو ولكن أنت تعلم . الفن في حداد وأنت هنا ستقيم معاق .

كانت تصيح متوهجة .

وتعقد الرجل :-

- هذا يكفي .. ألا تعرفين ؟ هذه رهيب . رهيب بالتأكيد ، ثم .. سأريه .. مدير الصحيفة ، سيكلفه غاليا هذه المزحة .

خرج برونوزي الى المدينة ، وهرع إلى الصحيفة رأسا ، واستقبله المدير ببشاشة :

- أرجوك يا سيدي العزيز . تفضل بالجلوس .

لا .. لا .. هذه النكتة مرعبة آلمتني ، سيجلوه ؟ أي ، هذه القدرسات التي لا أتحملها .. شيء يثير الأعصاب .. تفضل منه من الحصة . والآن أما تعتبرني ثالث . أي ريح طيبة حملتك إلينا ؟

يتظاهر بالجهل لم يعد هنا مشترو صحيفته ؟

بقي برونوزي مشدوها :

- ولكن ؟ . ولكن ؟؟ في صحيفة اليوم في الصفحة الثالثة هناك اعلان عن موتي ؟

- عن موتك ؟

أخذ المدير الصحيفة المطوية على مكتبه ، وفتحها ، ورأى وقرأ (أو تظاهر بالفهم) وأخذته لحظة مرح قصيرة .. أوه .. جزء من الثانية حسب ، تحرك وجعل سعالا خفيفا :

- أوه ، آه بالطبع هي غلطة صغيرة انزلقت .. مجرد اختلاف طفيف ..

كان موقفه كموقف الأب الذي يربت تحته متكلفا ، أمام ما ضايقه الطفل .

فقد برونوزي صبره فصاح :

- مجرد اختلاف طفيف ؟ أنت قاتلني ، هذا ما فعلته بي ، هذه نعيي وحفلي .

قال المدير بهدوء :

- تمهل .. تمهل .. تمهل .. سنتفاهم بكل .. هذا .. كانت سبق الخبر .. هنا .. قد تجاوز قليلا نوايانا .. من جهة أخرى تأمل أن تكون قد قرأت قطعة الاطراء التي كانت تستحقها نفسك ؟

- الاطراء ؟ ... أنت أهلكتني .

- نعم .. نعم . لا أنكر بأن خطأ بسيطا قد تسلل الى ..

- كيف تقول بأني ميت بينما أنا حي ؟ وتسمي هذا خطأ ؟

لا يلائم الأمر ، لذا أصبح جنونا بكل بساطة ، أطلب تصحيحا طبقا للأصول الشرعية ، وفي موضع هذا المقال ذاته ، كما احتفظ بحقي كاملا في ملاحقتك بالعطل والأضرار .

- الأضرار ؟ ولكنك يا سيدي الطيب ، تحولت من معلم إلى مجرد ميت ، وهذا ظالم مني ، لا تنكر الحظ الرائع الذي يحف عليك .

أي رسام آخر سيقفز عاليا من الفرح مكانك .

- الحظ ؟

- نعم الحظ ، وكيف وعندما يموت الفنان فإن أسعار لوحاته تقفز قفزات واسعة . دون أن تقصد . نعم تماما دون أن تقصد ، أعترف بذلك ، نحن قدمت لك خدمة لا تقدر بثمن .

- وتريد مني أن أموت ؟ أن أختفي ؟ أن أتبخر ؟

- ولكن بالتأكيد ، اذا أردت أن تغتنم هذه الفرصة العظيمة . .

فلنعد ، أنت لا تريد أن تدعها تفلت منك ؟ فكر قليلا : معرض واسع بعد الوفاة ، ودعاية معلنة جيدا .. سنعمل كل جهدنا لهذه الحملة .. ستكون صفقة بقيمة ملايين ، يا معلمي العزيز .

- ولكن ماذا لي من كل ذلك مادام أصبح ؟ أيجب علي أن أختفي عن الحياة اليومية ؟

- قل لي .. ألا يوجد لك أخ ؟

- بلى ، لماذا ؟ انه يعيش في أفريقيا الجنوبية .

- ويشبهك ؟

- قليلا .. نعم .. ولكن له لحية .

- حسن ، دع لحيتك تطول وقل بأنك أخوك . .

سيكون الأمر سهلا كرحلة في البريد تقول لي : من الأحسن أن تترك الأشياء تنصب في مجراها الطبيعي .. ومن ثم كنت تحرك تصويبا من هذا النوع .. لا أدري ما ظلمته .. أنت شخصيا . تعذرني على صدقي ، لك وجه مضحك قليلا .. من غير التحدي الاعتراضي .. أحياه الفوق ليس لطيفا ذاتيا .. وفي هذا الفن ، أنت تعلم جيدا كيف تجري الأمور .. تساؤلات ، بعد بعض من التلميح ، سيعطي أثر لسيئا ، وسيكون عملا مريبا .

لم يستطع أن يقول لا ، عندما التجأ في الريف ، سجن نفسه في غرفة ، وترك لحيته تنمو وأصبحت زوجته تلاحظه ، أصدقاء كثيرون جاءوا لرؤيته ، وخاصة أوسكار برلكل وسيطر هو الآخر ، وكانت دائما فكرة لبرمونزاني . وبدأ الكثيرون يتساءلون : القهار ، عناصر اللوحات ، أسس لتنسيق ونقدية رائعة . لوحات لم يعرض سرها من قبل إلى الأربعين أو الخمسين لكنها الا مصصوبة ، بيعت الآن ، بدون مشقة بملايين من الالاف ، وهناك في عينه أسرع ، كان برمونزاني يرسم لوحة بعد أخرى ، ويكتب عليها تاريخا سابقا بالضبط . وبعد شهر ، وكانت لحيته قد طالت ، عازف بالخروج على الجبل ، الأخ الذي وصل من أمريكا الجنوبية .. كانت له وضع على عينيه نظارات . وكنت يجد في كلامه لهجة غريبة ، وكان الناس يقولون : شيء عجيب أن يشبهه بهذا الشكل .

وبعد القصور في إحدى جولاته الأولى ، بعد عيبه إلى الوصول الى القاهرة ، وعلى البلاطة الرخامية في مدفن الأسرة كانت ثمة نحتات يقر اسمه مع تاريخ ميلاده ووفاته .

إنه لأمر عجيب ، بقدر ما أصبحت زيارات أوسكار برلكل تزداد شيئا فشيئا فإن حيا لها كانت تنضج وتبدو أكثر خبرة وشبابا . ووقف الآن حيا بشكل أكيد ، وكان برمونزاني يلاحظ كراهيا بشعور مزيج من الشفقة والخطر . وذات مساء تحرك أنه يشتهيها على اعتبار أن هذا لم يحدث منذ سنوات .. تلك أصبح يشتهي أرملته .

أما بالنسبة لبرلكل ، ألم تصبح مواظبته على الزيارة في غير موضعها ؟

ولكن عندما فاتح برمونزاني زوجته في الأمر كان ردها صوتها إلى حدة : « ماالذي أصابك ؟ سيكون أوسكار .. صديقك الطيف الوحيد . وحده الذي يأسف بصدق لفقدك ، ويتحمل العناء ليعزي وحدتي وأنت تشك فيه .. يجب أن تخجل من نفسك » .

وخلال ذلك ، أقيم معرض ما بعد الوفاة ، وحقق نجاحا رائعا ، كما حقق زيادة عن المصروفات المطروحة ، خمسة ملايين ونصف . ثم سقط السعر ، بسرعة مذهلة على برمونزاني وأعماله الفنية ، وندرا ما أصبح يذكر اسمه في بعض عروضها من المجلات الفنية . وبعد حين لمعني عنها نهائيا .

وبوجوم عميق أدرك انه حتى موت « لوتشيو برمونزاني » فإن الحياة تستمر في الجريان كما كان الأمر قبلا : الشمس تشرق وتغرب كل يوم ، وكما كان يجري : تنطلق الطلقات للصيد ، وتتوقف القطارات في سيرها ، ويأكل الناس ويرقصون ، وفي الليل يعانق الشباب والفتيات والمجي ، مستلقين في سياج تخيمه الحصى الأسود .

حتى كان يوم ، بعد عودته من نزهة في الريف ، تعرف فيه في معطف الواقي من المطر ، الضائع في المحل ، لصديقه العزيز « اوسكار برلكل » . كان المنزل هادئا جدا ، وهجيه بغرابة . ومن هناك ، كانت أصوات تتحدث همسا ، ووشوشات وتنهدات رقيقة .

على أطراف أصابعه امتد حتى الباب ، خرج بهدوء وتوجه نحو المقبرة ، كانت الليلة خاطرة .

وعندما وجد نفسه أمام مدفن الأسرة ، خطر بباله ليس هناك من يزح يوم ، عند ذلك فتح المصراع البرونزي . وبدون عجلة ، ومع سقوط الليل ، نزع بعضه البرس صغير ، الذي تغلق التابوت الجديد ، تابوته هو « لوتشيو برمونزاني » .

فتحه بهدوء كبير ، استلقى على ظهره آخذا الوضعية التي يفترض أنها تناسب المتوفى في رقاده الأبدي ، ووجدها أكثر راحة مما توقع .

وبدون أن يضطرب أطلق بنفس ، الغطاء فوقه ، وحين لم يبق الا شق صغير ، فكّر ، عرفها كان هناك من ينتظره ، ولكن لا أحد على الاطلاق يفتقده ، عند ذلك ترك الغطاء يهوي إلى السقوط نهائيا .

كائنات بحرية سامة

بقلم : رجب سعد السيد *

هواة الغوص معرضون للسعات ولدغات الشعاب المرجانية



« لقد كان ظهر اليابسة في بعض أجزائه مرتعا للزواحف والحشرات السامة . فإن بطون البحر لا تخلو من الأحياء السامة ، وعلى الانسان أن يحمي نفسه – كما فعل على وجه الأرض – من وسائل الوقاية والمعالجة ما يدفع عنه مخاطر سموم البحر » .



الاستمتاع بالأسماك بهذه التجمعات البحرية يتطلب عناية .. فوراء هذا الجمال أمر تحذر ويتطلب حيطة .

في كتاب قديم – عن الكائنات البحرية السامة – يصف المؤلف السمكة المعروفة باسم « البقرة الزاحفة » ، فيقول :

« هي سمكة سامة جدا ، حتى أنها إذا تمكنت من شجرة لم تقتلها ؟ . إنها قادرة على وخز أي جرح قوي .. فهي تضرب بشوكتها كسهم يخترق الهدف بقوة ، كما لو كانت مصنوعة من الصلب – وتترك الجرح الذي تحدثه في الضحية ملوثا بالسموم » .

وقد ارتبطت هذه الكائنات السامة وأشباهها – بصفة – في الأزمنة القديمة بالقوى فوق البشرية ، وصورت في الأساطير والحكايات الشعبية على أنها انتقام إلهي .

ويذكر أوراق بردية مصرية قديمة – ١٦٠٠ سنة ق . م . – جانبا من هذه الأساطير ، كما تحتوي على أوصاف لبعض الكائنات السامة ، ونصائح طبية لعلاج التسمم وإزالة آثاره .

ويوجد في البحار والمحيطات ما يزيد على ألف نوع من الكائنات الحية القادرة على إنتاج السم واستخدامه ، وهي منتشرة في كل بحار ومحيطات العالم ، لا يخلو منها شاطئ . وقد درس العلماء معظم هذه الأنواع ، غير أن الكثير منها لا يزال مجهولا حتى الآن ، خصوصا تلك التي تقطن الأعماق .

ولا يهدف هذا المقال إلى إزعاج القراء وإقلاق راحتهم في رحلاتهم الصيفية ونزهاتهم الشاطئية ، ولكنه يلقي الضوء على جانب قد يخفى على الكثيرين ، والحرص – كما يقولون – واجب .

وعلى كل حال ، فإن الكائنات البحرية السامة تمثل جزءاً لا يتجزأ من البيئة البحرية ، يجب أن يؤخذ في الاعتبار مع الاهتمام المتزايد للبشر على البحر لاستغلال موارده . وثمة مؤشرات إلى احتمالات كبيرة لإمكان الانتفاع بالسموم البحرية في مجال كيمياء الدواء .

أنواع الكائنات البحرية السامة

ويمكن تقسيم الكائنات البحرية التي لها تأثير سُمي إلى ٣ أقسام :

١ - كائنات سامة إذا استخدمت كطعام ، فهي سامة في كل أنسجة الجسم أو بعضه ، وهذه تتوقف على حجم ونوعية ضحية الافتراس .

٢ - كائنات تفرز السموم ، ولكنها لا تملك أية أداة للعض أو اللدغ التي تنقل بها هذه السموم إلى جسم الضحية ومعظم هذه الكائنات ساكن ، وبعضها يعيش مستقراً ، مثبتاً أو ملتصقاً إلى جسم حي أو جماد . وهي تلجأ إلى إفراز المواد السامة في الوسط المحيط بها ، فقط عند إحساسها بالخطر من عدو مقترب ، أو تفرزها بصفة مستمرة لمنع الكائنات الطفيلية من التسلل إلى داخل الفتحات الطبيعية أو الالتصاق بأجسامها .

٣ - كائنات تفرز السموم ولديها وسيلة اللدغ أو العض ، وتساعدها هذه الوسيلة المتحركة على مفاجأة ضحيتها أو عدوها ، في الهجوم أو الدفاع ، خلال عملية الحركة .

ومن الحقائق العلمية المهمة في هذا المجال أن الكائنات البحرية السامة موزعة على الأعماق المختلفة للبيئة البحرية ، ولكن معظمها وأشدها خطورة يعيش في المياه قليلة الغور ، حيث تتركز معظم النشاطات البحرية الإنسانية .

ومن غرائب عالم الكائنات البحرية السامة أن بعضها لا يفرز السموم ، ولكنه يكتسبها من كائنات سامة أخرى ، في صورة استقبال مباشرة من هذه السموم ، أو بطريق غير مباشر ، خلال سلسلة الغذاء .. أي تتغذى كائنات غير سامة بطبيعتها على كائنات منتجة للسموم ، وعلى هذا فهي لا تكون دائمة السمية ، ولكن لأوقات معينة وفي أماكن محددة ، أي حين تجوع وتتواجد في مكان يتوفر فيه غذاؤها المكون من الكائنات التي تفرز السموم .

ولعله من الغريب أيضاً أن بعض الكائنات البحرية يفرز مركبات سامة دون أن يدري .. أي دون أن يكون لديه نية استخدامها ! .. فهذه المركبات تأتي كنواتج ثانوية للعمليات والتفاعلات الأيضية التي تتم في أجسام هذه الكائنات . وتوجد مركبات كيميائية لها خاصية سمية عالية بالنسبة لأنواع من الكائنات الحية ، وهي - في الوقت نفسه - جزء من التركيب الكيميائي لأجسام كائنات أخرى .

ويهمنا - فيما يلي - أن نتعرض للكائنات البحرية التي يمكن أن تؤذي الإنسان إذا اقترب منها أو تعامل معها ، أو التي قد تضطره الظروف إلى تناولها كطعام ، والأضرار التي تصيبه منها ، وكيفية علاجها .

لنبدأ من أول السلم . إن الكائنات البحرية وحيدة الخلية هي القاعدة العريضة لهرم الحياة في البحر . بعض هذه الكائنات سام ، ويؤدي إلى تسمم غيره من الكائنات البحرية الأعلى في التطور .

السوطيات

وهي ، في حد ذاتها ، لا تسبب أي ضرر للإنسان ، ولكنها ، بطريق غير مباشر ، يمكن أن تلحق به أشد الأذى .. فقد تتحول - وهي من أشهر أنواع الأطعمة البحرية وأحبها للإنسان - إلى مصدر خطر على صحته . فهذه المحارات تعتمد في تغذيتها على ترشيح الماء وابتلاع كل ما يعلق به من كائنات أو أجسام دقيقة دون تمييز ، فإذا استهلكت المحارات في غذائها الطبيعي بعضاً من هذه الكائنات الأولية السامة ، ووصلت هذه المحارات بعدئذ إلى مائدة طعام الإنسان ، فإنها تصيب من يأكلها بحالة تسمم تتراوح في شدتها تبعاً لحالة المصاب ونوعية التلوث وكميته . وجدير بالذكر أن الأنسجة الرخوة للمحارات يمكن أن تختزن أيضاً أنواعاً من البكتيريات والفيروسات ، أو تركيزات عالية من العناصر الفلزية الثقيلة ، أو المركبات الكيميائية السامة .

وتظهر أعراض التسمم خلال يوم أو يومين بعد تناول وجبة المحارات المسممة ، ويمكن أن تمتد فترة

المضادة) إلى سبعة أيام . وتتمثل هذه الأعراض في : آلام في المعدة مع عدم انتظام التنفس وعسر الطعام . غثيان وقيء . إسهال وصداع وحالة إعياء عام . وبعد حوالي يومين أو ثلاثة من بداية ظهور الأعراض الأولية ، يحدث إدماء من الأغشية المخاطية للأنف والفم ، وتأخر في تجلط دم المصاب ، كما لوحظ حدوث اضطرابات وتضخم في الكبد . وقد سجلت بعض حالات التسمم المتقدمة ، وفيها يصاب الضحية بحالة هياج وغيبوبة تنتهي بغيبوبة . وقد تحدث الوفاة خلال أسبوع من الاصابة بالتسمم إذا لم يسعف المصاب ويعالج . وفي الحالات المعتدلة يتم الشفاء ببطء ، ويحتاج المريض إلى وقت طويل حتى يشفى من الضعف الشديد الذي يطرأ على صحته العامة .

وأهم بنود العلاج أن يلزم المصاب الفراش ، وينصح بحقن المريض بالجلوكوز في الوريد ، ويعطى فيتامينات (ب) ، (ك) ، (ج) ، والأنسولين .

ويهمنا أن نؤكد على ضرورة أن تتبع عملية إنتاج المحارات ، من المصايد أو من المزارع ، بعمليات تنظيف وتجهيز لها ، حتى نقلل من احتمال تسميمها للمستهلك . ولابد للمستهلك ، من جهة أخرى ، أن يتأكد من خلو المحارات من الفضلات ، وألا يتناولها نيئة ، لأن الطهي يقضي على ما يمكن أن يحتويه من ملوثات .

وقبل أن نتحدث عن سم (الاسفنج) ، نبادر بالقول بأن هيكل الاسفنج الذي تصل إليه يد المستهلك ليس إلا الهيكل الخارجي للحيوان . وقد مر بمراحل من الإعداد والتجهيز ، بحيث ينفي تماما احتمال أن تصيب من يستخدمها بضرر ، كما أن الأنواع السامة من الاسفنج قليلة العدد ، وغير التجارية ، ولا خطر منها إلا على من يعملون في مجال صيد الاسفنج ، أو هواة الغوص في أعماق البحار .

وتعيش الاسفنجيات السامة في البحار المدارية وتحت المدارية . وليس معروفا على وجه الدقة كيف تحمي هذه الاسفنجيات بصفحاتها إلى بث السموم وكيف تبثها ، وقد وضع نوع من الاسفنج أحمر في حوض تجارب مع أنواع من الأسماك والقشريات والمحارات والديدان البحرية ، فماتت هذه الحيوانات كلها بعد ساعة أو أقل من بداية التجربة . ويطلق عليه (الاسفنج) ، كما أجريت تجربة على بعض حيوانات المعمل ، فحقنت بمستخلص كحولي لنوع من أنواع الاسفنج ، فأصيبت الحيوانات بالقيء والاسهال والاعياء الشديد ، وتزايد معدل وضيق في التنفس .

ويحدث التسمم للانسان إذا خدش جلده بواسطة الأشواك الدقيقة الحادة التي تكون هيكل الاسفنج ، إذ تسري الافرازات السامة خلال الخدوش السطحية ، وقد سجلت حالات تسمم دون أن تحدث الخدوش ، وهذا دليل على قدرة السم على النفاذ خلال الجلد .

وبصفة عامة ، فإن تأثير سم الاسفنج على الانسان ينصب على الجلد ، فيلتهب ويحمر ويتورم مكان الاصابة ، وفي حالات متقدمة يؤدي التسمم إلى اعتلال عام في الصحة وضعف ، مع إفراز العرق وغثيان ودوار .

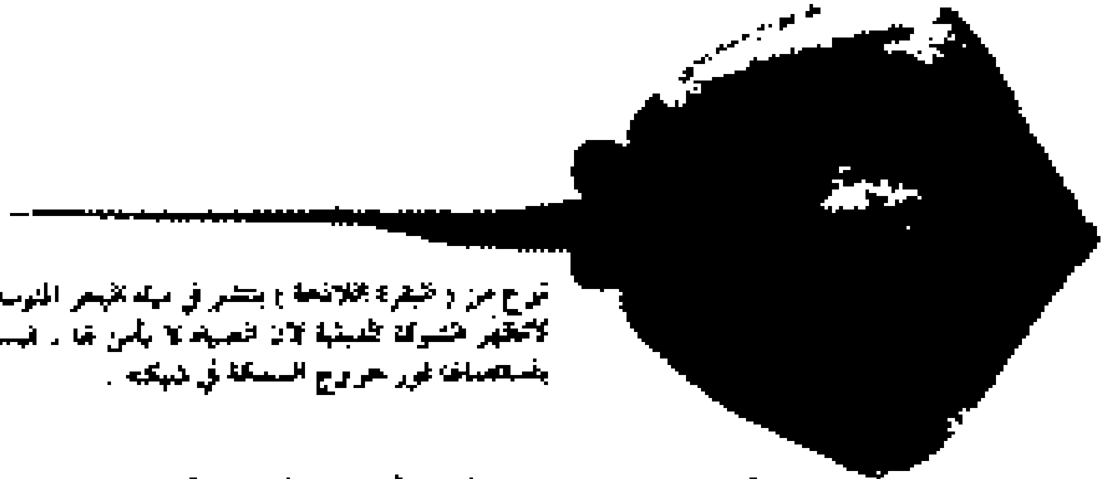
الأسماك الهلامية والشعاب المرجانية

وهي من الحيوانات الجوفمعوية البحرية السامة :

فالأسماك الهلامية كائنات شفافة تشبه الجرس أو المظلة ، وتعيش طافية على سطح البحر ، ولهذه الحيوانات أذرع أو لوامس ممتدة في الماء تصطاد فريستها ، وتبحث عن طعامها ، وتغطي هذه اللوامس خلايا صغيرة ، تشبه « الكبسولة » تسمى بالخلايا اللاسعة Nematocysts وهي التي تفرز السم ، وتتكون كل خلية لاسعة من أنبوبة تنتهي بما يشبه الإبرة ، تنطلق بقوة في حالة الدفاع أو الهجوم على فريسة ، فتخترق جسم الضحية لتحقن فيه السم .

وتصبح هذه الكائنات الرقيقة مصدر إزعاج إذا انتشرت بوفرة ، كما يحدث في المصايف السياحية المشهورة بجنوب أوروبا ، وتحرص شركات السياحة على أن تحصل على تأكيدات بخلو المياه من هذه الأسماك الهلامية ، قبل أن تبعث بأفواجها بالأفواج السياحية .

أما الشعاب المرجانية ، فإن الهيكلات والشعاب الناتجة من ملامستها أو الاحتكاك بها ، معروفة تماما لكل الذين يعملون في المياه الاستوائية . وترجع شدة



نوع من « القبرة اللاسعة » ينتشر في مياه البحر المتوسط لا تظهر الشوكة اللاسعة لأن ذيلها لا يظهر هنا . وتستخدم بمخلصات فور خروج السمكة في شبكه .

الألم الناتج عن هذه الإصابات إلى تعدد عدة عوامل : التمزق أو التهتك الذي يحدثه الشوكي الخارجي للشعاب ، وشدة الوخز ، وتأثير المادة الكيماوية التي تفرزها الخلايا الملاصقة ، وتلوث الجروح بالبكتيريا والمواد الغريبة التي تدخل فيه .

وللصيادين ، وهواة الغوص ، والعاملين في مناطق الشعاب المرجانية ، نورد الإسعافات الأولية التي يجب إجراؤها في حالة التعرض للإصابة بجروح هذه الشعاب :

ـ في البداية تنظيف الجروح وإزالة المواد الغريبة العالقة بها ، ولو تطلب الأمر توسيع الجرح ويستخدم للتطهير أي من المحاليل المناسبة ، مثل ٢٪ صبغة اليود ، وفي حالات الإصابة الشديدة ، يستحسن أن يخضع المصاب إلى الراحة التامة في الفراش ، مع رفع الأطراف إلى أعلى ، وتغطية مكان الإصابة بضمادات مغموسة في محلول مركبات الماغنسيوم والجلسرين والمضادات الحيوية .

وبالنسبة للسعات الأسماك اللاسعة ، يراعى في المعالجة أن تزال الشوكة التي تكون ملتصقة بالجلد ، ويستخدم في ذلك الملقط أو الأعشاب البحرية في حالة تعذر ذلك .

ويعتبر الحقن عاملا مهما في الإسعاف ، لأن هذه الشوكة تظل تفرز السم في جسم الضحية طالما هي ملتصقة بالجلد . وللتأكد من قدم الشفاء على نشاط هذه الخلايا السمية ، يمسح موضع الإصابة وما حوله بالكحول أو أي مطهر مناسب .

وفي العلاج ، يصف الأطباء بعض مركبات الكورتيزون ، سواء كانت شراباً أو حقناً ، وقد وجد أن مضادات الهستامين تخفف من حدة أعراض الإصابة ، وفي الحالات الشديدة ، يعطى المصاب منشطات للقلب والتنفس .

وللبحر نجوم وقنافذ

أما نجوم البحر وقنافذه فهي حيوانات يغطي الشوك جلدها وتسمى : « الجلد شوكيات » ، وعندما يلمسها سكان السواحل في بعض المناطق من العالم ،



سمكة « العقرب » سامة جداً ، في المرجانيات والأعشاب في المناطق الاستوائية . معظم هذه الأنواع سامة



نوع من الأسماك [illegible] ([illegible]) [illegible] من مياه الإسكندرية
لقد انتشرت هذه الأسماك في منطقة [illegible] كانت مصدر إزعاج للصيادين

نوع (الخنزير ثلاثي الأشواك) . والأشواك مشرعة للدفاع أو الهجوم

وبعض أنواع القنافذ (ويسمى أيضا بالشرنب أو ترترا) وسمك الخفاش . كما توجد أنواع أخرى تحمل السم في [illegible] فقط .

وأشواك نجم البحر مغطاة بغشاء تفرز المواد السامة التي تنتقل إلى أي جسم يلمسها ، وينتج عن وخز الأشواك جروح مؤلمة ، واحمرار ، وتورم ، وقد يستمر لمدة طويلة ، ويتحطم معظم [illegible] كما لو كان مشلولا . أما أشواك قنفذ البحر ، فهي طويلة ، مجوفة ، ومقوسة ذات لون قرمزي ، ولها نهايات مدببة حادة [illegible] بسهولة على النفاذ في [illegible] ، ولا يؤدي إلى التهابات وتورم في موضع الإصابة في الحال ، وقد يخف الألم بعد ساعات ، ولكن مكان الإصابة يظل ملتهبا لمدة أيام .

ويركز المسعفون في هذه الحالات على ضرورة نزع الأشواك المكسورة في الجرح قبل تطهيره ، والمشكلة هنا أن هذه الأشواك هشة للغاية ، بحيث يصعب الإمساك بها ، ويوصي الخبراء بضرورة استخدام أي مادة دهنية مناسبة تساعد على سهولة تجميع قطع الأشواك وإزالتها من الجرح ، بينما يرى فريق من الأطباء أنه لا ضرورة لإزالة أشواك قنفذ البحر ، لأن جسم المصاب يمتصها خلال يوم أو يومين .

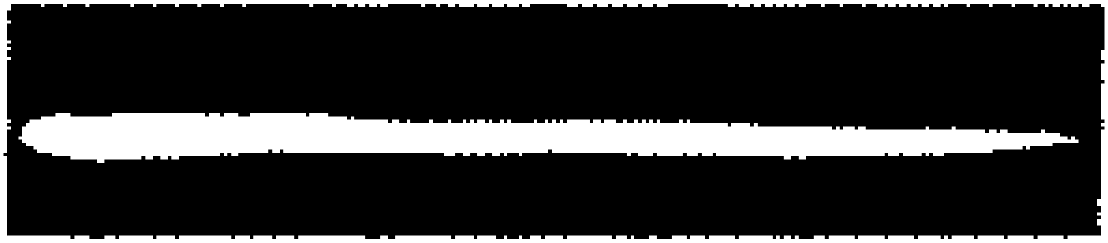
المرجانيات البحرية

وهي كائنات طرية الجسم ، تتخذ لنفسها بيوتا وهياكل مختلفة الأشكال شبيهة [illegible] ، وتعيش فرادى أو تكون مستعمرات ، ثم [illegible] ، ثم تتكتل بعضها [illegible] ([illegible] والأخطبوط) . وكثير من أنواع المرجانيات البحرية [illegible] الأسماك ، ولكن المشكلة هي أن هذه المجموعة من الكائنات البحرية [illegible] من بعض أنواع تفرز السم .

وقد تحدثت [illegible] كوسيط لنقل السم بعض الكائنات الأولية ، [illegible] في اليابان ، وسجلت حالات تسمم [illegible] وجبات من [illegible] ، والأخطبوط .

وطبيعة سم [illegible] غير معروفة ، ولكن الأعراض الناتجة عنها تسبب الآلام بالبطن مصحوبة بغثيان وإسهال وقيء وصداع [illegible] شديدة ، وتنتهي حالات الإصابة بعد يومين إذا عولجت جيدا .

و[illegible] والأخطبوطات القادرة على اللدغ



قطعة من شوكة السمكة اللاسعة بقطيرة اللاذعة، وهذا نوع خشن من الأشواك يحدث جروحا ممزقة كبيرة بطول ملامسها

يرسخه بدور غير حاد يشبه الخنجر أو الشوكة. ويعمل الأخطبوط بتغريسه بين الدرقة القوية التي تغطيه من الفم، فيعضها. فتسري المادة السامة من الغدد اللعابية في الفم إلى الجروح الحية التي أحدثتها الفك، ويؤدي السم إلى شلل فوري للفريسة إذا كانت سمكة أو حيوانا قشريا مثلا. وقد سجلت في استراليا حالات كان الإنسان فيها ضحية مثل هذه العضات الأخطبوطية. وفي بعض الحالات أدى سم الأخطبوط إلى شلل العضلات الهيكلية لعضلية الإنسان، وموته في النهاية بعد الوفاة.

القشريات البحرية

ومن في شكلها العظمي وغني لحمها، هي سامة، ومفيدة كغذاء للإنسان. غير أن بعض العلماء يؤكدون أن النوعين من سرطان البحر (الكبوريو) السرياني (سرطانة الغريبي) و (الفلك)، يحتويان على مواد قوية سامة، مما يجعلهما غير صالحين للاستهلاك الآدمي. ويعتقد هؤلاء أن أنواعا أخرى تحتوي على مواد سامة ولكن في بعض أعضاء جسمها الأولى فقط.

القروش والقوابع اللاسعة

ونصل لأقرب المخلوقات البحرية إلى جهة الإنسان: الأسماك. ونجد أن بينها أكثر من خمسمائة نوع سام، وتنتشر هذه الأنواع في كل بحار العالم، ولكنها تتركز بأنواع كثيرة وأعداد ضخمة في الشعاب المرجانية والبرك الضحلة في المناطق الحارة، وخصوصا في المحيطين الهندي والهادي.

ومن أهم أنواع الأسماك المعروفة السامة: القروش والقوابع اللاسعة. وبعض أنواع القروش مثل (قرش جرينلاند) الذي يكون لحمه سامًا، بينما أنواع عديدة من قروش المياه الاستوائية لا تحتوي على السم إلا في أكبادها. ويؤدي تناول لحم القروش السام إلى نوبة مرضية. أما الأكباد السامة فهي شديدة الخطر، وتظهر أعراض التسمم بعد ٣٠ دقيقة من أكلها، فتحدث قيء وإسهال، وآلام في البطن، وصداع، ونبض ضعيف مصحوب بعرق بارد غزير، واضطرابات في الحس ... أمر فيه.

ويحمل المصابون ... ويفيد في شبحهم قروض من الأنواع ذات الأشواك. ومن هذه الأنواع، توجد شوكة حادة قوية تشبه الخنجر من أمام الزعنفة الظهرية، وتتصل إلى شوكة سمية غدد عند قاعدتها، يفرز السم. وتسبب اللدغة من هذه الأشواك آلاما مبرحة حادة يصاحبها التهاب، مع تورم واحمرار في مكان الجرح.

أما القوابع اللاسعة، فهي أسماك مفلطحة، تعيش قابعة فوق القاع، وفي المناطق الضحلة. وهي أهم مجموعة من الأسماك السامة، لأنها تحتوي على أكبر عدد من هذه الأسماك، ولأنها توجد بكثرة في الشواطئ البحرية والتي يرتادها الإنسان كثيرا في أنشطته المتعددة.

والجسم في هذه الأسماك عبارة عن قرص شبه دائري في الغالب، يمتد منه ذيل طويل رفيع، وجهاز اللدغ عبارة عن شوكة قوية حادة (وأحيانا تكون مسننة) تبرز من الناحية الظهرية قرب قاعدة الذيل. فإذا أحست السمكة بالخطر، أو إذا استثيرت أو وطئتها قدم عارية عابرة الطريق، فإن جسم السمكة يتقلص بسرعة وقوة، وينثني الذيل إلى أعلى.

وتتسبب الشوكة طاعنة الجنب بقوة ، محدثة جرحا متهتكا كبيرا ، وتنكسر - في معظم الحالات - داخل مكان الإصابة ، والسم هنا مركب بروتيني يؤثر على القلب والأوعية الدموية والجهازين العصبي والتنفسي للثدييات .

وتسبب هذه اللدغة آلاما مبرحة ، فورية أو بعد عشر دقائق من الإصابة ، ويصل الألم إلى قمته بعد حوالي ٩٠ دقيقة ، ثم يبدأ في التلاشي بعد مدة من ٦ إلى ٤٨ ساعة .

الأسماك العظمية

وثمة أكثر من ٢٠٠ نوع سام من الأسماك العظمية ، من بينها أنواع من فصيلة الجوقار وفصيلة شوكيات الشعاع ، والعديد من الأسماك الشائكة .

وسم الأسماك العظمية معقد التركيب ومكون من عدة مكونات : جزء قابل للذوبان في الدهون ، وجزء آخر قابل للذوبان في الماء ، والشفاء من هذا السم يستغرق وقتا طويلا ، ويروى أن بعض الحالات احتاجت إلى أكثر من عشرين سنة للتخلص من أعراض التسمم وآثاره .

أسماك التونة

ولعله من المفيد أن نشير هنا إلى أن بعض أنواع الأسماك الاقتصادية المهمة مثل أسماك (التونة) ، وهي بطبيعتها غير سامة ، إذا ساء حفظها ، ثم إذا تركت في درجة حرارة الغرفة (٢٥ م) لعدة ساعات فإنها تصبح سامة وتصيب من يتناولها طعاما بأعراض التسمم .

ويفسر العلماء ذلك بأن البكتريا تؤثر كيميائيا على مادة (الهستدين) في عضلات السمكة وتحولها إلى (الهستامين) ، ومن هنا يمكن تقدير مدى صلاحية السمكة أو فسادها بحساب نسبة الهستامين فيها ، ويعتقد فريق من العلماء اليابانيين أن المسئول عن سمية أسماك التونة الفاسدة مركب آخر ينتج عن تأثير البكتريا على عضلات السمكة ، هو (السوارين) .

ولا يزال هذا المركب محل دراسة العلماء في المعهد القومي للصحة في اليابان .

علاج التسمم

ولعلاج التسمم من سميات البحر ، عن طريق اللدغ ، يسحب المصاب في أسرع وقت ممكن من الماء ، ويسعف بحقنة مرخية أيضا يحقن في الوريد بمحلول ١٠٪ جلوكونات الكالسيوم ، ويعطى أحد المركبات المنشطة للتنفس ، ويزود بالأكسجين للتغلب على صعوبة التنفس ، وفي حالة استمرار الآلام الشديدة ، تستخدم المسكنات مثل المورفين ، على جرعات صغيرة مجزأة ، وقد وجد أن الأدوية المضادة للهستامين مفيدة في علاج التسمم من التونة .

أما علاج التسمم الناتج عن اللدغات ، فيتلخص في ثلاث مهام رئيسية :

١ - تخفيف ألم المصاب . ٢ - مقاومة تأثيرات السم .

٣ - منع حدوث إصابات أو تلوثات ثانوية .

فالألم ينتج في الجرح بتأثير الشوكة أو الإبرة والسم والمخاط ، وغير ذلك من المواد الغريبة التي دخلت الجرح ، لذلك يجب البدء بتنظيف الجروح باستخدام الماء الملحي البارد ، أو محلول ملحي معقم إن وجد .

وينصح بعض الأطباء بوضع الطرف المصاب في ماء ساخن لمدة ٣٠ إلى ٦٠ دقيقة ، بحيث تكون درجة حرارة الماء مرتفعة إلى أقصى حد يمكن للمصاب احتماله ، وإذا كانت الإصابة في الوجه أو في منطقة يصعب غمرها في الماء ، يوضع فوقها قطع القماش المبللة بالماء الساخن ، وهذه النصيحة مبنية على أساس أن الحرارة العالية تحطم المركبات السامة .

وقد تحدث الاستجابات السريعة أيضا ، وينصح الأطباء باستخدام رباط مناسب للأوعية الدموية لمنع تسرب السم إلى باقي الجسم ، ويمكن أن يحقن المصاب بمضادات التيتانوس كإجراء احتياطي .

ولمنع الصدمة العصبية الناتجة عن اللدغة ، يجب الاهتمام بالحفاظ على انتظام ضربات القلب ، وعلى نشاط الجهاز التنفسي . □

● باحث بمعهد علوم البحار والمصايد ، [illegible]



فاريوجت ٧٤٧
تستعد للهبوط..
مولينكس تدخل أجواء جديدة
مع فاريوجت ٧٤٧.
أيضاً
مولينكس
صنع فرنسا
Moulinex
made in france

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

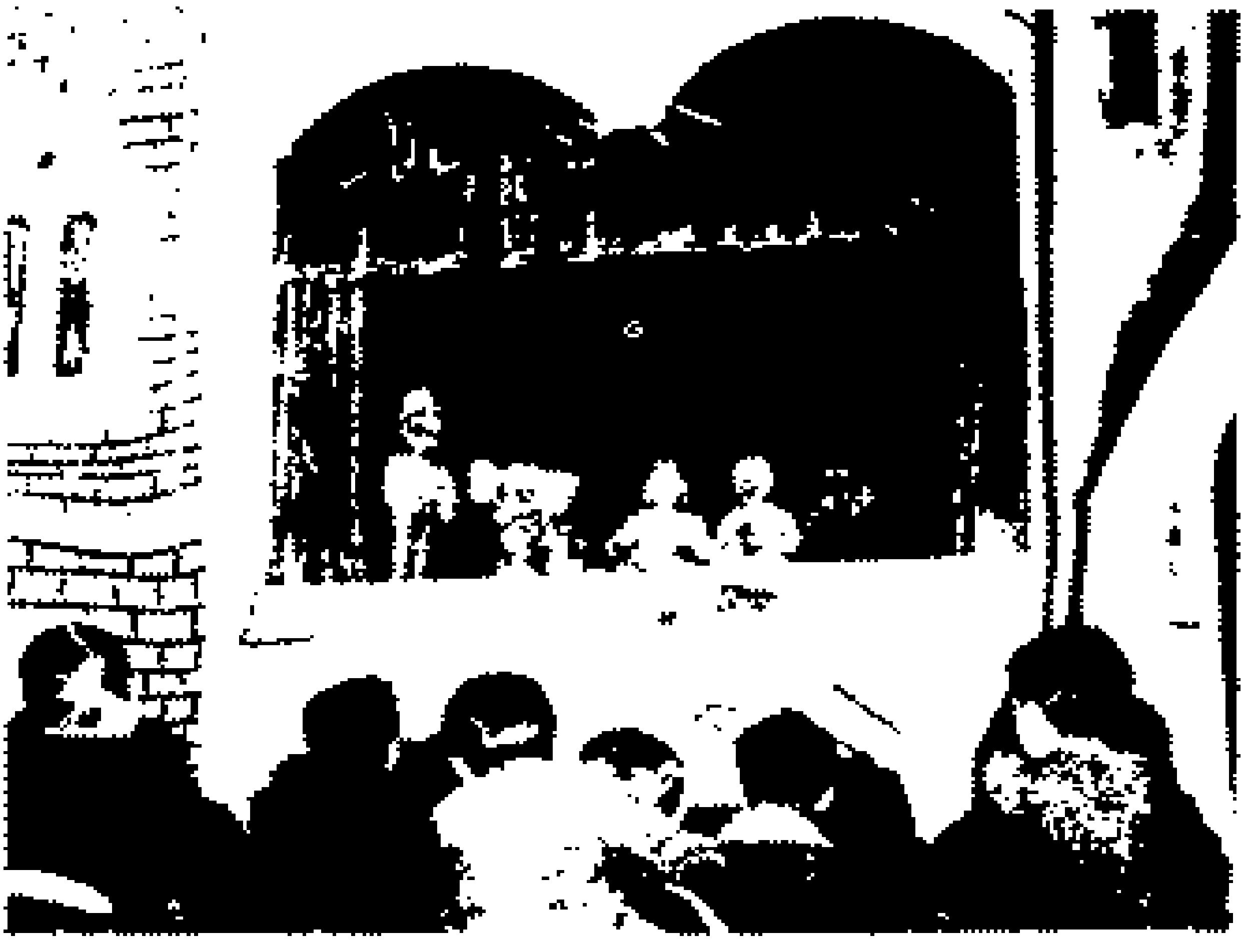


مسرح العرائس والطفل

مسرح العرائس والطفل..

بقلم : حسين أبو زينة

ويفتن أطفالنا بالعرائس . وتزداد فتنتهم عندما يرونها تتحرك وتتكلم وتغني من فوق خشبة المسرح . ويصبح مسرح العرائس مكانة أثيرة لهم . لهم . ولكن ماذا يجب أن يقدمه مسرح العرائس وهو يخاطب أطفالنا ؟ .



- صندوق الدنيا ربما نجد هنا بدايات المسرح والذي كان يجمع الأطفال حوله في الطرقات.



- شخوص وأبطال المسرح تداعب خيال الأطفال وتصبح نجوما لديه

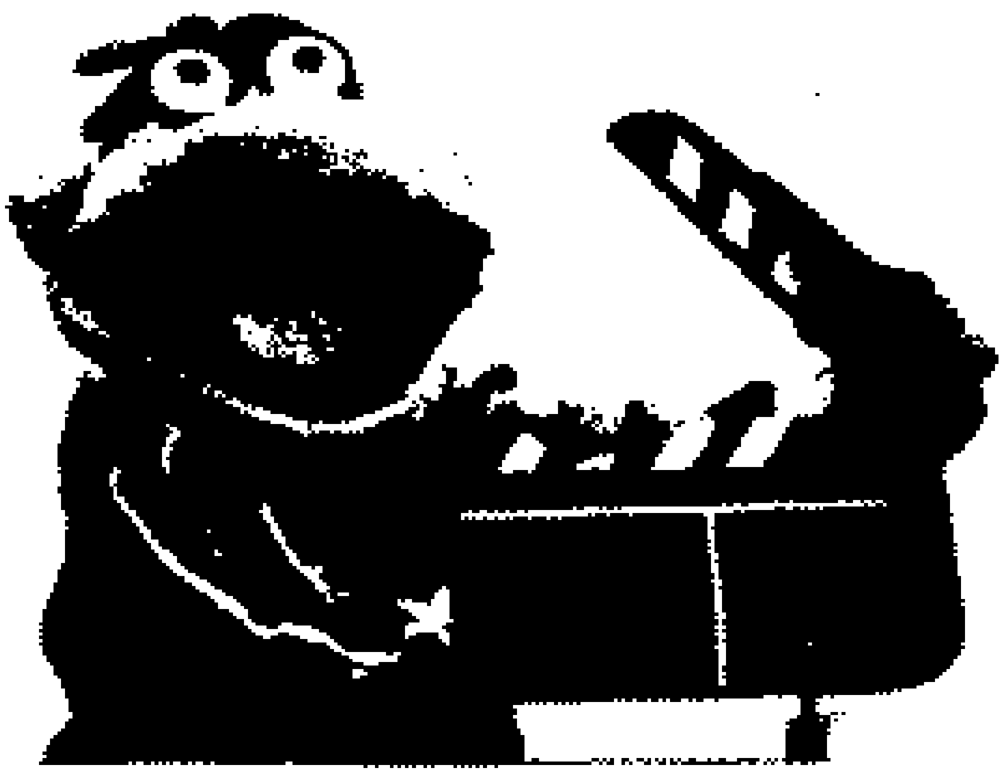
ثمة من يصيح الآن: ألم يكن أن يعكسها المفهوم الحقيقي لمسرح الطفل، فتلك الأمر يحتاج لدراسة المسرح ذاته عند الأطفال أنفسهم. فلقد أصبح من اللازم أن نقدم أشكالا معينة للمسرح تتناسب مع عمر الطفل، ونوجه الآن في مجتمعنا عربي قلة من الكبار تحتاج إلى مثل هذا الأمر بجهد واهتمام. وهذه مسألة تعني الكبار الذين يقومون بالتمثيل للصغار، مفيدين لقدراتهم في الأشكال التي تظهر فيها عروض الطفل للألعاب المختلفة، وهم يشجعون المتفرجين على المشاركة فيها، مستخدمين الأصوات المثيرة للانتباه.

وإذا كنا في نهضتنا الأدبية قد استوحينا الخيال الغربية، واستعرنا التمثيل الدرامي المباشر، وتوسعنا بضرب آخر من التمثيل بعرض الصورة المتحركة المتدفقة أمام الناس، فلقد كان الواجب يقتضينا أن نتساءل أولا في تصحيح مفهوم التراث الفني، مستعين بآثار غنية الخيال، وهي آثار ترتبط بالأدب وبالنبالة بفنون الإيقاع والرسم. وليس من شك في أننا لو أدركنا هذه الحقيقة لكنا قد كشفنا عن القاعدة الأصيلة التي لابد من الارتكاز عليها، لكي نبدع فنة قومية تتسم بملامح الأصالة، ومتصلة بالتعبير، مستفيدين أنفسنا الذي عرفته البشرية في وسائل الإعلام والعرض.

ونحن الآن مشغولون بمسرح العرائس، والصور المتحركة، ومسرح الأطفال، والأفلام الخاصة بتربيتهم. أفلا يحق لنا أن نعيد النظر في تراثنا حول الطفل، فنستمد من موضوعاته وتجاربه الجديدة وغير تلك التقاليد التي لا يستطيع حتى من يجهلونها أن ينفذ وجوده بدونها؟ إن كثيرين من الفنانين يحصرون فنون التمثيل والتصوير والتشكيل دخيلة على تاريخ مجتمعنا، والواقع أن هذا التصور خطأ بل خطأ كبير، ذلك لأنه يجعل فنوننا معلقة بلا تاريخ.

ولقد عاش فن العرائس مدة طويلة دون أن يكون هناك من يكتب عنه بأسلوب علمي، وذلك لأسباب مختلفة، لكن الآن وبعد أن نضج المسرح في عدد من بلادنا، أصبح لفن العرائس نقاد متخصصون يقومون العمل من خلال عروضه المختلفة، ومن هنا بدأت حركة الصعود لهذا الفن.

ومسرح الطفل العربي يجد مسرحه عالميا في فكرته وإمكانية مخاطبته للأطفال في كل مكان بالعالم.



[illegible] في شكل [illegible]
على [illegible] الطفل [illegible]



[illegible] في [illegible]
[illegible]
[illegible] الأطفال [illegible]
[illegible]

ويعد المسرح المدرسي من أرقى أنواع [illegible] الاجتماعية التي [illegible] الطفل [illegible] لكي يستطيع [illegible] في [illegible] التي [illegible] والتي تؤثر في تكوينه النفسي ، حتى يستطيع التكيف مع [illegible] المجتمع الذي يعيش فيه ، وحتى لا يصطدم [illegible]

مسرح العرائس [illegible] يستطيع [illegible] في التربية [illegible] للأطفال [illegible]

الأولى تتكون ملامح شخصيته من خلال تجربته الخاصة ، فتنمو قدراته الفكرية بمجالات الأمور التي تتهيأ له ، وتدرك الطفل كملاحظ لا يتأثر إلا بالمدرسة والمنزل . وهنا يلعب مسرح العرائس دورا جوهريا في تهذيب الأفكار التي تدور بذهن الطفل وبشكل مشوق ، وقد يكون الطفل أبو نفسه من وجهة نظره ، وبشكل مباشر ، وهنا يأتي دور مسرح العرائس في تصحيح التصور الخاطئ لدى الطفل .

حقيقة علمية لا بد أن نؤكدها ، وهي أن المسرح العرائسي يلعب دورا مهما وخطيرا في عملية التطبيع الاجتماعي ، وفي تكوين وبلورة شخصية الطفل . فماذا تجد نلمس الأسطورة أو قصة من قصص الظروف ، فمن المهم أن نختار حكاية في شكل يتناسب مع عقول الأطفال ، مع الحفاظ على المستوى الفكري ، وبحيث تتلقى ظلمة سبب . فالطفل يجد لديه استمتاع أو رؤية الشخصيات الحية ، وتقريب التصور من استخدام القيم الحقيقية التي تعرض أمامه ، الأمر الذي يؤدي إلى تنمية طاقات حياته وتفتح ذهنه ، بالإضافة إلى حب الطفل لعناصر المسرح المختلفة الذي يؤدي إلى سعيه وانشغاله بعناصر الجذب التي يدركها الطفل كالإضاءة والألوان والحركة ، والموسيقى التي تلعب دورا الكبير ، كما أن لها أثر في السلوكي الجمالي عند الطفل .

ومسرح العرائس يلقى اهتماما وعناية كبيرة من

هاز كلين مكل تماثيب التي تفترس من الواقعية قدمت بالعرائس والدمى





- يلعب تجهيز المسرح والديكور واقتراب المشهد من الواقعية دورا في إثارة خيال الطفل .

شخصية الطفل ، ويلازم جميع مراحل نموه وتطوره ، وقد يمتد الاهتمام بمسرح العرائس إلى مرحلة المراهقة . فبمجرد مشاهدة الطفل للعرض العرائسي تتحرك ذاكرته وتصوره للصور المختزنة ، ليعيد استدعاءها ، كما تنمو قدرته التخيلية ، ولهذه القدرة دور كبير في بناء الأفكار وابتكار كل جديد .

واندماج الطفل مع العرض العرائسي يوفر له نوعا من التوازن بين قدراته العقلية والانفعالية والفكرية والحسية وبين الوعي واللاوعي ، ويمكن أن تتحول بعض النوازع الهدامة لدى الأطفال إلى نوازع بناءة .

كما يساهم مسرح العرائس في تنمية الإدراك الحسي عند الأطفال والإدراك البصري عن طريق الإحساس بحركة العروسة التعبيرية ، وإيماءاتها وشكلها وحجمها ولونها الجذاب ، كما ينمو الإدراك السمعي عن طريق الموسيقى التصويرية وكلمات الأغنية المناسبة مع المشهد .

ويسهم مسرح العرائس في تنمية مدركات الطفل التي تعد ضرورة مهمة في عملية نمائه ، فمما لا شك فيه أن الثقافة عملية مهمة في حياة الإنسان ، فهي تلعب دورا عظيما في تغيير وجه المجتمع ورسالته ، وإذا كانت الثقافة تعني المعارف المختلفة في شتى أنواع الخبرات الإنسانية ، كالخبرات الاجتماعية والعلمية والفنية ، وإذا كانت الثقافة تعني فن تطوير عقلية الإنسان ، وتعكس الأسلوب الذي تتشكل به عاداته وسلوكه ، وجب علينا الاهتمام بتنمية عقلية الطفل تنمية سليمة وكاملة من كافة النواحي ، ومسرح العرائس خير معين للمساهمة في تقديم الثقافة إلى الطفل .

وعلينا ونحن نقدم عملا عرائسيا بعيدا عن المحلية ، أن نستخدم في أثناء التأليف اللغة البسيطة التي تتفق مع قدرات الطفل ، وأن نبتعد عن فجاجة الطبيعة ، حريصة على هالة الفن من الانبهار والتلاشي ، ذلك لأنه يعالج قضايا حيوية تمس احتياجات الطفل في كل مكان ، فإذا ما كتب بلغة عربية معروفة كان من السهل ترجمتها للغة أخرى ليتعامل معها . □

مساحة ود

الموت حياة

المشهد يكاد أن يكون يوميا .. ومتكررا، في المساء وفي نشرة الأخبار منذ ثلاثة شهور، تلك صور الملونين السود في جنوب أفريقيا، وهم يرفضون سياسات التمييز العنصري .. وكم كانت مذهلة هذه الصور والمشاهد .. عندما يخرج آلاف البشر .. يرقصون رقصاتهم الأفريقية، ويغنون ضد الغاصب الأبيض، كأن المعروف دوما أن المظاهرات عمل عنيف .. أصوات غاضبة تهدر .. وأذرع متشنجة تلوح بالغضب والرفض .. حتى أطل علينا هؤلاء الثوار الفنانون المتألقون الراقصون .. ورأيتها الأغنية وهي تصبح أنشودة لمجد الوطن وللجمال والحق .. والأجساد وهي لا تنتهي، ولكنها تصعد بتحد وتدق بالقدم تعرف نغمة ترقص عليها تراب الوطن .. وسمعوا كل الرصاص وكل آلات الاعتقال من قبل قوى النظام الحاكم في جنوب أفريقيا تنتشر بجميع الأرض .. إلا أن مسيرات الغناء والرقص لم تتوقف .. ويعلو صوت الرصاص المنطلق على اللحن الجماعي .. الذي يميز الأنشودة .. ويظل سقوط جسد من وسط الرفاق بإيقاع الرقصة للحظة ولكنها تستمر، ولم تكن هذه المواجهة الرائعة الجميلة للموت مقصورة على مدينة واحدة ولا حي واحد .. ولكنها تجاوزتها إلى كل أنحاء المدن في جنوب أفريقيا ..

ومنذ فترة قصيرة عاد صديق لي من جنوب لبنان .. وأخذ يحكي عن رقصات الأهالي للدبكة وغنائهم للوطن وللمجد ولشجرة الأرز .. كلما سقط شهيد في عملية انتحارية .. وكيف تصبح تجمعات البشر تجمعات للاحتفال بزفاف الشهداء ..

وتذكرت صورة جنوب أفريقيا .. وقلت له إنه العالم الذي يتغير .. إن ملايين الفقراء والمسحوقين في هذا العالم .. أدركوا وهم يرزحون تحت الفقر والقهر، أن الغد لهم .. وفي مواجهة كلاب القهر .. وعصاهم الغليظة .. يغنون لهم الغد .. وللخير وللحق والمجد .. ورغيف الخبز .. وأنشودة الموت التي تهب الحياة للوطن .. كل الوطن .. الوطن الإنساني الذي يغني للمجد والحرية والجمال ..

محمود عبد الوهاب

إزاحة الستار عن ..

أسرار الألم

بقلم : د . أنيس فهمي

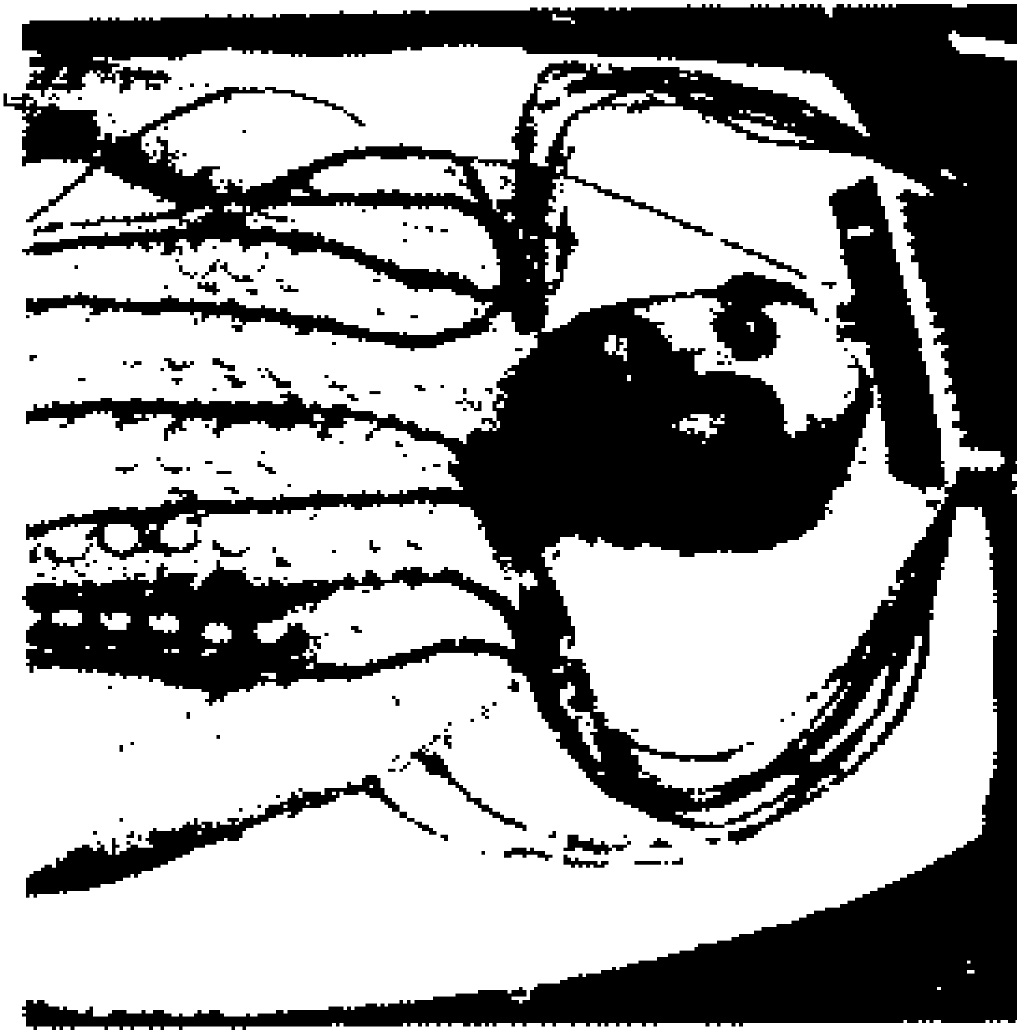
لا أحد منا لم يتألم .. ونعني بالألم هنا ذلك الألم الجسماني وليس ألم النفس . ولكن حقا نعرف عن الألم وكيف ينشأ وما هي أسبابه ؟ هذا المقال يوضح لنا كيف يحدث ذلك ويعطينا الجواب .

الألم من أهم المشكلات التي شغلت بال الأطباء والعلماء منذ فجر التاريخ حتى اليوم . إن الألم أيا كان موضعه ، وسواء كان ناتجا عن التهاب بالمفاصل أو عن الصداع النصفي ، أو عن أي سبب آخر معلوم أو مجهول يصيب بالعجز عددا من البشر أكثر من عدد المرضى بالسرطان أو بأمراض القلب . ومع غلبة فإن أسباب الألم مازالت تمثل إلى حد كبير منطقة مجهولة تحتاج إلى البحث والاكتشاف . وقد حقق الباحثون أخيرا تقدما ملموسا في علاج هذا المرض واتجهت جهودهم [illegible] مترجمة من الألم .

كان الألم يحسب في العصور القديمة أن الأرواح الشريرة . [illegible]

كثير يعجبنا في السحرة ومشعوذي الطب . وكان قدماء المصريين يعتقدون أن الألم يأتي بتأثير الأرواح أو الآلهة أو الموتى . ولكنهم في القرن السادس عشر قبل الميلاد اكتشف المصريون فائدة الأفيون في تسكين الألم ، ويأتي ذكره في بردية إيبرس Ebers Papyrus التي تحوي أكثر من وصفة علاجية تقريبا ، كانت تستخدم في ذلك الوقت .

كان المصريون القدماء يعتقدون أن المركز العضوي للألم هو القلب . وقد ظل هذا الاعتقاد سائدا إلى أن جاء الفيلسوفان الإغريقيان ديموقريطس وأفلاطون بأن مركز الإحساس بالألم هو المخ ، وقد تأكد ذلك بعد اكتشاف أن المخ متصل بشبكة ذات نوعين من الألياف العصبية : نوع يختص بالحركة ، والآخر يختص بالإحساس . [illegible]



وعند الأمر في الدجل والشعوذة . وظل الطب كذلك حتى أتى عصر النهضة الذي زحفت فيه الجهود على تشريح جسم الإنسان . وأثبتت الفئة وعلى رأسهم ليوناردو دافنشي أن الألم له علاقة بالجهاز العصبي . وأغلب التطورات التي حدثت لمفهوم الألم حدثت فقط في عشرات السنين الأخيرة

رسالة الألم

تعتبر الإشارة الآن هي طريقة ما يحدث مثلا عندما يصطدم أصبع القدم الكبير بجسم صلب ، أن رسالة الألم تبدأ عند نقطة الاصطدام ، حيث تطلق عدد من المواد الكيماوية الموجودة في النهايات العصبية أو بالقرب منها . ومن بين هذه المواد المادة P والسيروتونين والهيستامين والبراديكنين . هذه المواد الكيماوية تزيد من حساسية النهايات العصبية . وتساعد في نقل رسالة الألم من المنطقة المصابة إلى المخ . وبالإضافة إلى ذلك فإن البروستاجلاندين يزيد من الدورة الدموية في المنطقة المصابة . وبذلك يسبب الورم والاحمرار اللذين يظهران عادة مع الالتهاب . وهذا [illegible] والأطباء يكافحون باستخدام حتى البروستاجلاندين التي تتضمن الأسبرين . ولكنهم لم يعرفوا الا منذ خمسة عشر عاما فقط أن الأسبرين يثبط افراز البروستاجلاندين .

إن الإشارة الأولى المنبعثة من أصابع [illegible]

[illegible]

الاحساس الى القرن الخلفي للنخاع الشوكي ، ثم ينسحب الشعاع بعد ذلك الى الـ THA-LAMVS أو « السرير في الترجمة العربية » وهي أول منطقة تدرك فيها احساسات البرودة والحرارة والألم واللمس . وبعد ذلك يصعد التيار الى قشرة المخ ، حيث تدرك شدة الألم ومكانه . وهذه المنطقة الأخيرة هي الأرض الكبيرة المجهولة في الأبحاث الخاصة بالألم . وعلى أية حال فان قشرة المخ هي التي تنظم الاستجابات المتطورة المعقدة للأنواع المختلفة من الألم . .



نظرية « رقابة البوابة على الألم »

عندما يشعر الانسان بالألم في اصبع فانه يمسكه ، ويدلك الاصبع المتألم له بعنف معين ، إذ أن الانسان يشعر براحة كبيرة عندما يدلك عضوا مصابا . وفي عام ١٩٦٥ استطاع العالمان باتريك وول ، ورونالد ميلزاك أن يصوغا نظرية لتفسير هذه الظاهرة ، وهي نظرية « رقابة البوابة على الألم » . وطبقا لهذه النظرية لا يستطيع الجهاز العصبي الاستجابة إلا الى كمية محدودة من الاحساس في لحظة معينة . وعندما تكثر مصادر الاحساس توجد خلايا معينة بالحبل الشوكي تقطع شفرات الألم . وكأنها تغلق البوابة التي تمر منها هذه الاشعارات . وعلى ذلك فانه يمكن منع الألم من المرور من خلال البوابة عندما تكون هناك منافسة له من احساسات أخرى مثل دعك الاصبع . وقد استخدمت هذه النظرية كقاعدة لطريقة جديدة لعلاج الألم يطلق عليها اسم : « التنبيه العصبي بواسطة استخدام الكهرباء من خلال الجلد » . وفي هذه الطريقة يوضع موصلان للكهرباء فوق الجلد لكي يسري بينهما تيار كهربائي ضعيف ، ينافس اشارات الألم الصادرة من الجلد ، وبذلك يسد عليها طريق البوابة ، فلا يدركها الجهاز العصبي . ويعتقد ان العلاج بالوخز بالابر الصينية يعمل مفعوله الى حد ما باغلاق بوابة الألم .

ان نظرية « رقابة البوابة » فتحت المجال لأنواع كثيرة من الأبحاث الحديثة ، التي ساعدت في تفسير بعض الظواهر الغامضة الخاصة بالألم . ولنأخذ على سبيل المثال الظاهرة الشائعة في أثناء الحروب ، التي تحدث للجندي الذي يكون منغمسا أشد الانغماس في حرارة المعركة ، فلا يشعر بالألم الذي تسبب فيه جرحه ، أو لاعب الكرة الذي يكون منغمسا أشد الانغماس في المباراة ، فلا يشعر بالألم الذي أصاب مفصل كتفه إلا بعد انتهاء المباراة ، فما معنى ذلك ؟ معناه أنه يوجد شيء داخل الجهاز العصبي يمنع الاحساس بالألم .

الكشف الاندورفين

منذ عشر سنوات فحص الكشف العلمي في سكوتلندا ماهية هذا الشيء الذي يمنع الاحساس بالألم . فقد استطاع جون هيوز ، وهانز كوستر ليتز في جامعة ابردين بسكوتلندا أن يعزلا مواد كيماوية قوية قادرة على كف الألم ، وهذه المواد موجودة بشكل طبيعي في المخ والحبل الشوكي ،

والتي تطلق عليها اندورفين ENDORPHIN وهي القدرة على تخفيف الإحساس بالألم كما تستطيع إنتاج الشلل . وهذه الأنماط هي مستقبلات الألم على سطح الخلايا العصبية . إن المخدرات مثل الأفيون والمورفين والهيروين تلتصق أيضاً بهذه الأنماط . وبذلك يتنشط جهاز الجسم الطبيعي بتخفيف الألم .

إن جهاز الاندورفين أيضاً هو أحد الوسائل التي تستطيع إغلاق بوابة الألم . ومنذ اكتشاف النوع الأول من الاندورفين في عام ١٩٧٥ اكتشفت أنواع عديدة من الأفيون الطبيعي . وأنواع أخرى لا صلة لها بالأفيون موجودة داخل الجسم للتأثير على رسالة الألم . وبعض هذه المواد الكيماوية والتي أطلق عليها اسم « الناقلات العصبية » ليست خاصة بالألم فقط . بل لها علاقة أيضاً بالاستجابات العاطفية مثل الاكتئاب . وقد عرف الأطباء أن الأدوية التي تعالج الاكتئاب يمكن أيضاً استخدامها بجرعات قليلة لتخفيف الألم .

الألم تجربة معقدة

إن العالم رونالد دابنر بالمعهد القومي للصحة في الولايات المتحدة الأمريكية . الذي يكرس وقته لإزاحة الستار عن كيمياء الألم والمعتقد أن المعتقد للألم توصل إلى الحقيقة التالية ، وهي أن الألم تجربة معقدة تشتمل على الانفعالات ، وتجارب الألم السابقة ، ومعنى الألم بالنسبة له في أي وقت معين . وباختصار فإن الخلط للتفاعل بين فسيولوجية الألم وسيكولوجيته خط مهتز وغير واضح . ويقول البروفسور جون رئيس أبحاث الألم بمركز السرطان بنيويورك أن الخوف والقلق والتوتر وتوقع النكبات يجعل الألم يبدو أكثر سوءاً مما هو في الواقع . فبالنسبة لمريض السرطان يضخم الألم في أغلب الأحوال لأن المريض يفسره بأن المرض قد عاد ، أو استجدت تعقيدات جديدة ، أو أن الموت قريب جداً . وعلى العكس من ذلك فإن الأمل والتشجيع يستطيعان أن يجعلا الألم يبدو أخف مما هو في الواقع .

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية وجد أن الجنود الذين أصيبوا أثناء معارك حامية الوطيس احتاجوا لكمية من المورفين أقل بكثير من المدنيين الذين أصيبوا بجراح مشابهة . والسبب في ذلك أن الجراح كانت تمثل للمدنيين مصدراً للقلق والخوف ، أما بالنسبة للجنود فكانت الجراح تعني أنهم سيعودون إلى منازلهم !

وفي كثير من حالات الألم المزمنة يكون لدى المريض سبب مادي أو معنوي يجعله يستفيد من الألم الذي يشعر به . فقد حكى أحد الأطباء النفسانيين عن حالة سيدة بدأت تشعر بألم في أسفل ظهرها ، عندما أصيب زوجها الطبيب بالعجز . ويفسر الطبيب النفساني ظهور ذلك الألم بأن عندئذ ربما يكون لها الفرصة للخروج لكي يعاود مزاولة مهنة الطب بعلاج زوجته !

ولقد أثبتت الأبحاث أن الأفراد الذين يطلبون تعويضات بعد طلب التعويض عن إصاباتهم لا تتحسن حالتهم إلا بعد الفصل في الدعوى !

ويعتقد الكثير من الأطباء أنه توجد خصائص مميزة تجعل بعض الناس أكثر استعداداً للألم ، ومن أهم هذه الخصائص عدم الاتكال على الحياة ، أو ضعف الحماس ، أو عدم الثقة بالنفس ، أو الاعتماد على الآخرين . ومن المعروف لدى الأطباء أن بعث الأمل لدى المريض بأنه سيشفى ، ومعاملته برقة وحنان يساعدان كثيراً على تخفيف الإحساس بالألم . وفي بعض الأحوال فإن إعطاء المريض حبة مصنوعة من السكر بدلاً من حبة الدواء ، بدون علمه بالطبع يمكن أن تشفي المريض من آلامه . وعلى أية حال فإن الألم موضوع شائك معقد ، وبالرغم من التقدم الذي حدث في السنوات الأخيرة في إزاحة الستار عن أسراره إلا أن الكثير من أسرار الألم لم يكتشف عنه بعد . □

هو....

أرض جدباء

● عذاب ونار تشتعل بداخلي .. ولا أتصور أن أحداً يستطيع أن يشعر بما أحس به وأعانيه، إلا إذا كان قد اكتوى بالعذاب مثلي !!

عشر سنوات مرت منذ زواجنا .. والأمل يتجدد بي كل يوم .. والإحباط يقتلني كل مساء .. أترقب بدايات الأشهر .. وأنتظر علامات الحمل .. دون أن أيأس وتمر الأيام تتراكض كجواد جامح، تتلاحق بي أيام الحمل وأشهر الترقب وسنوات الانتظار ..

في البداية كنت أتندر .. أتسلى بمسائل مرهقتها تلك سيرة الإنجاب أو غمزة من هنا أو غمزة من هناك .. كنت أهز كتفي بدلال .. وأصيح .. متقنة بنفسي .... خواء .. أم سخف .. ليمة أو شيء منها .. لا هذا ولا ذاك .. ثم أتحرر في شبه تمثيلية، الكمال الأنوثة شيء والقدرة على الإنجاب شيء آخر، ولكنني لم أقو كثيرا على الصبر .. فقد زارني القلق والتوتر .. ولكنهما قلق وتوتر يختلفان إلى صبر من نوع خاص .. صبر يلغي إحساسك بذاتك .. صبر يحرق إحساسك بوجودك وكيانك، لأن مثل هذا الصبر عزيز فقد عرفت طريق الأطباء .. في البداية ذهبت سرا، ثم اصطحبت زوجي معي، وطرق الأمر إلى لجنتين، ترددنا على عشرات الأطباء، وأجرينا مئات التحاليل الطبية وجربنا عشرات من الطرق في ضرورة كطلوع النفس، ومحاولة تنشيط الرغبة في الإنجاب ... وأصبح هنا أن نسمع عن طبيب ماهر .. أو عن أسرة رزقت بطفل بعد طول انتظار، فنسرع إليهم نسألهم .. ونستفسر ونجرب طب العرقسوس والعرافات والأعشاب والتعاويذ.

ورغم أن زوجي يلاحظ القضية ببساطة وسخرية، فإنه يحاول ملامح الطبيب أثبت أننا سليمان طبيا للإنجاب، فلا توجد مشكلة، فإنه لا يمكن اليوم يأتي غدا .. ربما لا يأتي، هنا فلماذا الصبر .. وإذا وقع الصمت .. فتلك مشيئة الله .. ولكن حزني وتوتر تفكيري ومصدر عذابي مستمر .. وأصبحت المشاجرات بيننا صفة يومية، سواء كان هناك سبب يستحق أو لم يكن .. لو كنا سائرين في طريق ورأينا أمام عيني أنثى طفلين، لو كنا في زيارة لعائلة وبصحبتهم طفلا .. أشعر أن سكينا يمزق أحشائي .. وتحترق أعصابي، وتصبح الكلمة الخاطئة لها كانت مادة شجار .. صحيح أنني بعدها أبكي .. وكثيرا ما يتهم هو ذلك فيطيب ويطيب خاطري .. لكنني أشعر أنني أرض جدباء لا فائدة منها .. شجرة ملعونة لا تنتج ظلا ولا ثمرا .. عذاب وتوتر .. كلما أحسست أنفاسي عشت اليوم نفسي .. أنتهي ... حتى .. أنني عاقر.

نهى



هي....

ولكنها الحياة

● أحببتني معها .. ولولا نعمة الله بأن منحني إيمانا وصبرا لكانت ذكرياتها قد انتهت ، فلم يعد هناك شيء لا أستشعر حوله .. ولا يوجد شيء لا يثير أعصابي . ورغم أننا قد قضينا سنوات الزواج الأولى في هدوء وراحة بال ، ولم تكن هذه المشكلة تلح علينا نفسيا ولا نقف عندها .. فمنذ اليوم الأول لزواجنا وأنا أعلم أمري هذا في موضوع الانجاب ، فلم أكن أحدثها حتى استخدم أي نوع من أنواع موانع الحمل .. ومضت بنا الأيام ، ولا أدري بالضبط كيف تسربت تلك المشكلة داخلها حتى صار كلام الصديقات .. لم تسلي الأمومة الغريزي ؟ إلا أنني في كلتا الحالتين أعذرها وأعذرهم ، وأسأل الله أن يهبها راحة نفس وسكونا .

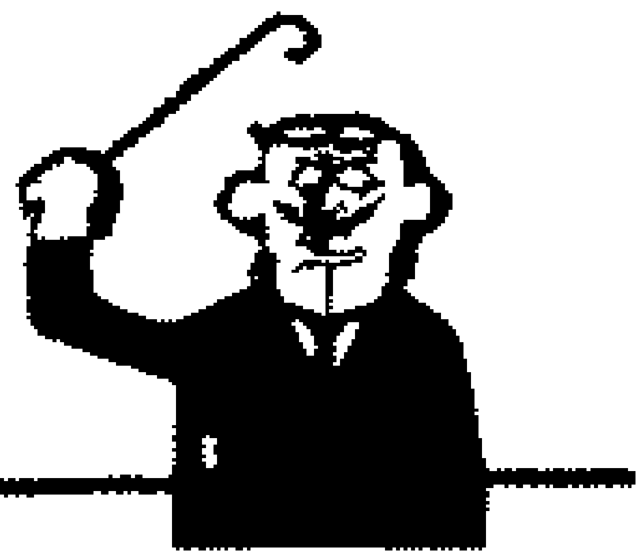
حاولت كثيرة أن أقول لها تلك مشيئة الله ، وانه قدر لنا ألا نرزق بأولاد ، والله سبحانه يرزق من يشاء ذكورا ويرزق من يشاء اناثا ، ويجعل له أننا لا أنا ولا أنت نشكو مرضا .. فلعله امتحان من الله ، لم أعطها هي تلك مشيئته ، ولكن كلامي يذهب أدراج الرياح .

وأعترف أنني كثيرا ما تمنيت تلك الكلمة .. أن أسمع مناداة ابني لي .. كل يوم أنظر حولها يدخل البيت صاخبا مهللا .. حاملا كتبه بيلا كلمته حيوية وصحة .. وكثيرا ما أتمنى بمرور الأيام ثقلت ، عندما أصير شيخا ولا أجد سندا ... ولا ابن يرعاني في شيخوختي ..

طلبات أتمسك بها تأكلني وتوردني لحصلنا عينا قائلا بأنني أدرت الهمم .. لا أستعيد إلا أزيد تساؤلي . وتعلمت سبع الأيام والسنوات في الصبر .. وتعلمت كيف أطلق نفسي وأروضها ، وأفترض لو جاء ابني يشكو من مرض أو علة ، أو ليس ما أجابه أرحم .. وجهة آخر أقول ربما لو جاء ولدا كان عاقا .. كالكلام الذي يحكى للصغير وكأن أبواه صالحين ، وكانت برهتها حمله وكفرا .. وعديد من الافتراضات .. من باب التسلي والتعزي .. ثم من منا تعطيه الدنيا كل ما يريد وكل ما يحلم ؟

ومن هنا أزهرت أحلامه كلها وأصبحت أمنية أنها الخيالة تعطي وتأخذ ، تحنو وتقسو .. ويستمر حاملين الأحلام والأمنيات والخيبات والآسي .. حتى نغادرها يوما ، عرفناها فيها عسر ويسر ورضا ، ولكن قد تكون حتى بدونه وقد يحقق الأسى ، ويبقى الأثر فيها حتى بعد الرحيل .

[illegible]



من الحياة

وفاء امرأة

.. ثم كان اللقاء قبل الخريف !

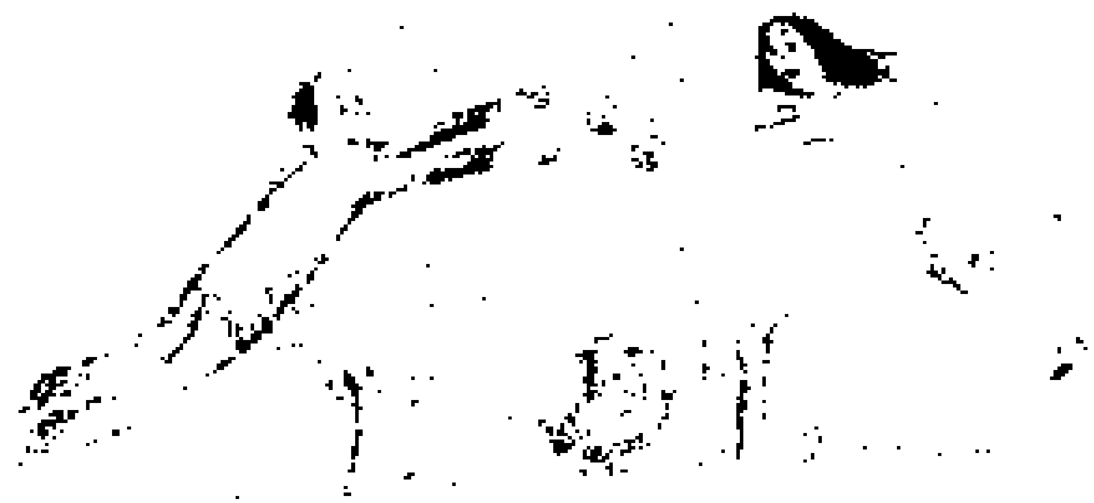
بقلم : منير نصيف

هذه القصة عشت مأساتها .. أما بدايتها فقد رواها لي الزوجان .. إنها قصة حب كبير .. في الربيع كانت البداية ، وكانت أقوى من الحياة ذاتها ، فقد عاشت إلى ما قبل مجيء الخريف بقليل !

جاءت ثم تلوت في فستانها الأبيض الجميل ، الذي اشتراه لها أبوها منذ يومين .. كانت الفرحة تكسو وجهها ورأسها الصغير الجميل .. وقالت وهي تقف أمامه في في الحديقة الصغيرة التي تعودا على اللقاء فيها ، واللعب وسط زهورها وأشجارها : اليوم عيد ميلادي . سوف أبلغ أربع عشرة سنة .. لقد كانت مفاجأة لي عندما صحوت من نومي في الصباح ، واقتربت مني أمي لتقول لي كل سنة وأنت طيبة يا صغيرتي ! وقلت لها إنني أريد أن أدعو صديقي إلى الحفل الصغير الذي ستقيمه لي ، فقالت لي : إنه عيد ميلادك ، ومن حقك أن تدعي إليه كل صديقاتك !

ووقف الصبي الذي يكبرها بعام واحد ، يتأمل وجهها الجميل ، قبل أن يمد يده إلى جيبه ليبحث فيه عما تبقى له من مصروفه .. ولكنه وجده خاليا .. لقد أنفقه كله ، ولن يستطيع أن يشتري شيئا .. أي شيء يقدمه هدية لصديقته الصغيرة في عيد ميلادها .. وأحس بضيق شديد .. ولكنه لم يفقد الأمل تماما .. لقد مرت برأسه فكرة ، حاول أن يخفيها ، لماذا لا يعود إلى البيت قبل الذهاب إلى الحفل ، ويرجو والدته أن تعطيه مبلغا صغيرا يستطيع أن يدفعه ثمنا للهدية التي سيختارها لصديقته ؟ .. وقال لها : عودي أنت إلى بيتك الآن وسوف ألحق بك ؟

وذهبت ، وهي ترجوه ألا يتأخر ، فقد أوشكت الشمس على الغروب ، ولابد من أن يبدأ الحفل في ساعة مبكرة ، وينتهي قبل أن يحين موعد الذهاب إلى النوم قبل العاشرة ، ففي الغد يوم جديد ، سيذهبان فيه إلى المدرسة معا ، في نفس السيارة الكبيرة التي يركبانها كل صباح ..



وذهب الصبي الى أمه ، ووقف يرجوها أن تساعده في شراء هدية لصديقته الصغيرة بنت الجيران التي تقضي معها رحلة السنوات السبع الأخيرة ، عندما انتقل مع والدته للعيش في هذه الضاحية الصغيرة ، بعد أن رحل والده وهو يدافع عن تراب الأرض التي ولد فيها ، وقبر وسط جبالها ووديانها ..

وابتسمت الأم في حنان ، واقتربت من ابنها الوحيد ، وضمته الى صدرها ، وقالت : هل تعرف أيها الرجل الصغير أنني معجبة بصداقتك .. أنا أحبها أيضا .. ومن أجل ذلك سوف أعطيك هدية جميلة لتقدمها لها في عيد ميلادها !

وذهبت الى خزانتها الصغيرة ، وأخرجت منها خاتما ذهبيا يحمل لؤلؤة ثمينة . وقالت وهي تعطيه له : « لقد أعطاني أبوك هذا الخاتم عندما كنت في مثل سن صديقتك .. اذهب اليها الآن وقدمه لها ولا تنس أن تبلغها تمنياتي لها بعيد ميلاد سعيد .. قل لها أن تحرص عليه دائما ، وألا تنزعه من اصبعها أبدا ! »

وحمل الصبي الخاتم في جيبه ، وذهب الى بيت صديقته ... كان يحبها .. لقد كانت حياته مع أمه في وحدتها ، بلا أخوة ولا أخوات ، قد ملأت قلبه الصغير بالحب لكل الناس .. ولكنه كان يحمل حبا خاصا لهذه الصبية الصغيرة .. كان يرى فيها أخته وصديقته وزميلته التي لا يفترق عنها طوال سنى الدراسة ، التي أمضياها في المدرسة التي جمعتهما في فصل دراسي واحد ، وفي الحي الذي يسكنان فيه قريبا من بعضهما البعض .. كانا يلعبان ويستذكران دروسهما معا .. يخرجان للنزهة معا .. كانا يجدان في تلك الصداقة التي ربطت بينهما شيئا جميلا ، يجعل للحياة الغريبة التي يعيشانها طعما ومعنى ..

هي أيضا كانت وحيدة والديها ، وكانا يغدقان عليها من حبهما وحنانهما كل ما يمكن أن يحمله قلباهما الكبيران العاشقان لهذه الطفلة أجمل أبناء الحي الصغير ، الذي يعيشان فيه أجمل سني العمر !

ووصل الصبي أخيرا ، وكان الحفل قد بدأ .. وما كادت تراه قادما حتى أسرعت اليه مهرولة ، وسألته بلهجة الصغيرة المعاتبة : لقد تأخرت كثيرا .. انني لم أطفىء الشموع في كعكة عيد ميلادي بعد ، فقد كنا جميعا في انتظارك .. أمي وأبي وكل أصدقائنا كانوا معي ينتظرون في انتظار الشموع !

ولكنه بقي واقفا ... حيث هو ، ومد يده الى جيبه ، وأخرج الخاتم الذي أعطته له أمه ، وقدمه اليها ، ولم ينس أن يتمنى لها عيد ميلاد سعيدا !

واحتضنت الصبية الخاتم بكلتا يديها ، وضمته الى صدرها ، وأسرعت الى أمها : انظري ياأمي ماذا أعطاني .. انه خاتم جميل .. هل أستطيع أن ألبسه في اصبعي ؟؟

وضحكت ، وأطفأت الشموع .. وأكل الصغار الكعكة اللذيذة التي صنعتها الأم ، وانتهى الحفل وانصرف الجميع عائدين الى بيوتهم ، وبقي الخاتم في

أصبح صديقه .. كان الصبي حريصا دائما على أن يحدث عنه في أمسيهما كلما لقيها في المدرسة، أو في نزهاتهما أو كلما خرجا معا للعب في الحديقة العامة القريبة من البيت!

ومضت الأيام .. وينتهي العام الدراسي، لم تحدث المفاجأة، لقد انتقل والد الصبية الصغيرة للعمل في إحدى المدن البعيدة .. وبدأت الأسرة تستعد للرحيل ...

ولأول مرة عرف معنى أن تنغص حياة الصبي حلو الحياة في القرية الصغيرة القابعة في بطن الجبل - أحس بأن شيئا ثمينا قد ضاع منه .. إن صديقته التي أحبها وعرفها وملأت حياته بهذا الصدق والصور الجميلة، سوف ترحل، ولعله لا يلتقي بها مرة أخرى .. ترى كيف سيكون شكل الحياة بعد رحيلها مع والديها إلى هذا البلد البعيد .. كيف سيمضي في هذه المرحلة المقبلة بعد أن تترك القرية والبيت الذي تعود أن يزورها فيه، والمدرسة التي جمعتهما فيها هذه السنين معا في فصل واحد؟

هي أيضا، لقد اعتراها شعور بالألم والحزن، وهي تجمع ملابسها وذكرياتها وتستعد للرحيل .. ولم تقطع كلمات الأم في أن تخفف عنها ألم فراق صديقها الصغير، الذي كان لها أخا ورفيقا في طفولتها ودراستها ..

ولم ينجح الأب بدوره في أن يزيل عنها الهم الكبير الذي انتابها وهي تردد لنفسها: ترى هل أنني لن أرى صديقي مرة أخرى بعد اليوم!

قالا باعتزاز، سوف تعود إلى القرية في عطلة الصيف، وستمضي في ربوعها أسابيع طويلة، تستطيعين خلالها أن تلتقي بصديقك، وتتذكرا معا أيام طفولتكما السعيدة!

وجاءت لحظة الوداع .. وجلست هي تودعه في بيته .. وبكى الاثنان بكاء الأطفال .. ولكنهما تواعدا على تبادل الرسائل، وتبادل الزيارات كلما سنحت الفرصة!

ومرت الأعوام .. في البداية كانت تكتب له برسالة كل أسبوع، وكان بدوره يبعث إليها برسالة يجمع فيها كل ما يمكنها أن تعرفه عن المدرسة وزملائها وزميلاتها، وعن حياته في القرية بعد أن رحلت عنها!

ولكن الرسائل بين الصديقين، سرعان ما تقلصت وتباعدت ... أصبحت تصل مرة كل شهر، ثم كل شهرين .. وبدلا من الصفحات الطويلة التي كانت تمتلئ دائما بالحكايات والذكريات أصبحت مجرد سطور قليلة تحمل التحيات والتمنيات ..

ثم انقطع الاتصال نهائيا بين الصديقين .. بعد مرور بضع سنوات على افتراقهما بعيدا عن بعضهما!.

شيء واحد بقي عالقا في ذهن الصبي الصغير .. إنه صورة الصبية التي أحبها في طفولته، وقد بقيت تحتل مكانها في قلبه، رغم مشاغله، وهو يعد أطروحة الماجستير، بعد أن أكمل دراسته الجامعية، ورحل هو للعيش في العاصمة التي راح يكمل في جامعتها دراساته العليا .. فهو لم ينس أبدا الأيام الحلوة التي أمضاها معها في ربوع القرية الصغيرة ..

وما أكثر المرات التي وقف فيها مستغرقا أمام صورتها يسأل نفسه: أين هي الآن؟ ماذا صنعت الأيام بها .. ترى كيف تبدو بعد مرور هذه السنين .. هل مازالت جميلة؟

كان يبحث عن الصورة .. ولكن بأسلوب جديد .. بأسلوب الرجل الذي يبحث عن المرأة التي كان يتمنى لو أنها ظلت قريبة منه، لتشاركه حياته في الزواج!

ومضى يكمل رحلته مع العلم، حتى حصل على الدكتوراه، وأصبح أستاذا في الجامعة، وظيفة ناجحة، إلى أن ساق القدر في طريقه بفتاة رقيقة تنتمي إلى أسرة رقيقة الحال، وقدمها إلى أمه وقالت الأم: «تزوجها يا بني فقد طالت رحلتك وحدك في هذه الدنيا، وقد تقدم بي العمر، ولا أريد أن أتركك في وحدتك .. أريد أن أرى أطفالك قبل رحيلي!

وتزوجها في حفل صغير وجاءت الزوجة لتعيش في بيت الزوج مع أمه. وبقيت الصبية في ذهنه ..

كان الابن يصحو من نومه مبكرًا ويذهب الى الجامعة ليلتقي بطلبته ، ثم حين موعد الغداء ، يعود الى البيت ليتناول وجبة سريعة ، ويستريح بعدها قليلًا ، ثم يستعد للذهاب الى عيادته في المساء .. وهكذا لم يكن هناك متسع له يقضيه وقت فراغه يتصرف من خلاله مع زوجته ، التي كانت تمضي معظم وقتها في الحديث مع الأم عن الزوج الغائب دائمًا .. وكان الحديث بين المرأتين سريعًا ما ينتقل الى القصص والحكايات عن أيام الطفولة وحياة الريف ، وصحبة العمر التي انتهت من حياة الصغيرة منذ سنوات بعيدة مضت ، والى رغبة الأم في أن ترى لابنها ولدًا يملأ البيت ، ويملأ حياتها التي امتلأت بالفراغ منذ رحيل والده ، وهو بعد طفل صغير !

ولاحظت الأم أن زوجة ابنها تحاول دائمًا أن تغير مجرى الحديث ، متهربة من الحمل والأطفال .. الى أن جاء اليوم الذي جلست فيه الزوجة تعترف لأم زوجها : « لقد عرضت نفسي على الأطباء ، وأكدوا لي أنه لا يوجد سبب عضوي واحد يحول دون انجابي للأطفال » !

ولكن لابد أن يكون السبب عند الزوج ، وانفعلت الأم وأسرت الى ابنها بالأمر .. ولكنه لم يهتم به كثيرًا .. انه سعيد في زواجه ، وزوجته فتاة طيبة .. وهو يحبها .. !

وتمضي الأيام .. وتذهب الأم في رحلتها الطويلة البعيدة التي كانت تخشى الا تعود قبل أن ترى أحفادها ...

وتحاول الزوجة أن تبحث لنفسها عن شيء يشغلها في وحدتها .. ولكن حياتها الخاوية بعد رحيل أم زوجها لم تدم طويلًا ، فقد أصيبت بمرض حار الأطباء في علاجه ، ثم ذهبت هي الأخرى وفي عينيها دمعة تحمل معنى الاعتذار : أرجو أن تغفر لي لأنني خذلتك ، لن أعطيك ولدًا !

ويعود الابن الى وحدته .. ولكنه يترك البيت ويترك المدينة كلها ، ويبدأ حياة جديدة في مكان بعيد عن الناس وذكرياته التي مازالت تعيش في رأسه وقلبه !

ومثلما في قلب المدينة الكبيرة التي ازدحمت بالناس والحركة والأضواء ظل الرجل الذي يجد نفسه يعيش الماضي بكل تفاصيله ودقائقه .. هل يمكن أن يحدث هذا ...

هل يمكن أن يجد المرء نفسه وحيدًا وهو يعيش في وسط من آلاف البشر المزدحمة بالناس ..

وفي مساء أحد الأيام كان يمشي طريقه وسط هذا الزحام ، في طريقه الى المطعم القريب ليتناول طعام العشاء .. وفجأة أحس بقدمه تصطدم بشيء على الأرض .. وانحنى يلتقطه ، فاذا به حقيبة اليد الصغيرة التي أسقطتها السيدة التي كانت تتقدمه ، وهم ينتظرون في الطابور الطويل في انتظار المقاعد التي تخلو ، بعد أن يفرغ أصحابها من تناول طعامهم ..

والتقط الحقيبة وأعادها الى صاحبتها ، ولكنه أحس أن قلبه قد تسمر في الأرض .. هي نفسها لم تكد تضع أصابعها حتى يديها .. لقد بقيت واقفة في مكانها تحدق في هذا الوجه .. !

هل يمكن أن تكون هي ؟ وتطلع الى الخاتم الصغير الذي أهداه لها في عيد ميلادها ، ونظر الى أصابع يديها .. وكانت المفاجأة .. لقد وجده متألقًا في أصبع يدها الصغير .. وكان لقاء حارًا لقاء صامتًا ، لم يقاطعه أحد .. ولم ينته أبدًا .. الا لحظة مضت .. حيث كانت الصور كوجه الفرحة التي ملأت قلبيهما .. نفس القلبين اللذين افترقا في الربيع ، وانتظرا طويلًا أن تسقط أوراق الشجر في خريف الحياة بسنوات العمر ..

قال لها : لا تعتذري عن الماضي . قولي لي من أنت الآن ؟

قالت : أنا .. أنا ، لم أتغير منذ تلك الصغيرة التي تركت الحقل بعد عمرها تبحث عنك .. لقد بقيت بلا زواج ! قال : لقد تزوجت وماتت زوجتي .. هل هل تقبلين زوجًا لك ؟

وتزوجا ، وكان قد مضى على اليوم الذي افترقا فيه أكثر من خمسة وعشرين عامًا ! .. وبعد عام رزقا كلاهما بمولود الطفل الذي تمنيته له زوجته قبل في الخريف ؟ ■

طبيب الأسرة



قضايا منزلية

ميزان الحرارة الطبي

ضرورة لكل بيت ..

بقلم / د. حسن فريد أبو غزالة

لم تكن حرارة الإنسان ذات مدلول معين فيما مضى من عصور ، سوى أن سخونة المريض تعتبر دلالة غامضة مبهمة على انحراف الصحة ووجود مرض ما ، وكانوا يستدلون على العارض بجس جسم المريض ، أو بملاحظة هجرة الحشرات وخصوصا حشرات القمل ، ورحيلها عن جسم المريض حيث لا تستطيب الحشرات سوى حرارة الإنسان الطبيعية ، التي تقارب ٣٧ درجة مئوية ، فلا تطيق ارتفاعها أو انخفاضها ، لهذا تهجر جسم المريض بالحمى كما تهجر الجثث .

غير أن طبيعة استكشافها بصورته جورج مارتن شغله الاهتمام بالتحري عن ارتباط ارتفاع درجات حرارة الإنسان بمختلف الأمراض ، ودورها في تشخيصها ، فكان هذا أول بادرة لتشخيص الأمراض ، باستخدام مدلول درجات الحرارة عام ١٧٤١ .

لقد كان القرن الثامن عشر هو بداية انطلاق الاهتمام بقياس درجات الحرارة ، فقد قام العالم الألماني جابرييل دانييل فهرنهايت بابتكار ميزان لقياس درجات الحرارة عرف باسمه ، وهو ميزان الحرارة الفهرنهايت ، حيث سجل درجة الصفر باستخدام الجليد المخلوط بالأمونيا ، ومن ثم وافقت درجة انصهار الجليد العادي عند درجة ٣٢ .

كما وافقت درجة غليان الماء درجة ٢١٢ ، باعتبار أن المسافة بين تجمد الماء وغليانه قد قسمها إلى ١٨٠ درجة .

لقد كان ابتكار ميزان الحرارة الفهرنهايت منذ عام ١٧٠٩ ، ثم أعقبه عام ١٧٤٢ ابتكار آخر للعالم السويدي أندرز سلسيوس ، حيث صمم ميزانا آخر لقياس الحرارة عرف باسم ميزان الحرارة المئوي ، لأنه قسم المسافة بين تجمد الماء وغليانه إلى مائة درجة .

واعتبر الجمد لذلك هو درجة الصفر ، بينما غليانه هو درجة المائة .

لقد سجلت درجة حرارة الانسان على ميزان الحرارة الفهرنهايت حوالي ٩٨,٦ تقريبا . كما سجل ميزان الحرارة المئوي درجة ٣٧,٠ تقريبا .

غير أن الموازين القديمة كانت بطول القدم تقريبا ، ولا تصلح للاستعمال الطبي ، حيث لا يثبت الزئبق عند قراءة معينة ، مما يحتم على الطبيب أن يقرأ درجة الحرارة والميزان مازال في فم المريض ، الى أن جاء طبيب يدعى توماس ألبوت من انجلترا ، وطلب من شركة هاوكس ويرتوليتز تصميم ميزان يثبت درجة الحرارة ، ويكون ذا طول مناسب ، لا يزيد عن ست بوصات (١٥سم) فكان هذا مولد موازين الحرارة الطبية ، التي تعتمد على وجود انحناء في قناة الزئبق أسفل الميزان ، تمنع عودة الزئبق وتعطل قناة الميزان الشعرية الى ماتحت المؤشر السفلي ، ولكنها تسمح بارتفاعه فقط ، ومن هنا وجب رج الميزان بشدة عقب استعماله ، لتدفع الزئبق للرجوع الى الخطوط التحتية في خزان الميزان .

ان طول الميزان قصير جدا ، نظرا لعدم الحاجة الى قياس مدى كبير من درجات الحرارة ، وانما يكفيه التدريج بين درجة ٣٥ مئوية ودرجة ٤٢ مئوية ، وهما أقل وأقصى درجات حرارة الجسم الانساني . ومن هنا وجب المحافظة على ميزان الحرارة من ارتفاع شديد ، قد يندفع بالزئبق الى تكسير الميزان عند تمدده وتكسير الزجاج ، وهذا ما يلاحظ عند ترك الميزان في الشمس أو مكان حار .

ان هناك شكلين شائعين من موازين الحرارة الطبية ، هما ميزان الحرارة الفهرنهايتي المستعمل في انجلترا وأمريكا ، وما جرى على نمطهما من بلدان ، وميزان الحرارة المئوي الأكثر شيوعا في العالم ، فالأول يعتبر درجة حرارة جسم الانسان الطبيعية حوالي ٩٨,٦ درجة ، بينما القياس المئوي يعتبر درجة حرارة ٣٧,٠ هي درجة جسم الانسان الطبيعي من الفم ، وعادة ما تقاس درجة حرارة الجسم بوضع الميزان تحت اللسان لمدة دقيقة تقريبا ، ولكن الشرج قد يكون اختيارا مناسبا بديلا للفم عند قياس درجة حرارة الأطفال ، أو اذا تعذر القياس من الفم ، وهنا تعتبر درجة الحرارة الطبيعية أعلى قليلا منها في الفم ، بما يتراوح بين نصف درجة أو حتى درجة تقريبا .

وهناك اختيار ثالث لقياس درجة الحرارة ، وهو تحت الابط ، غير أن درجة الحرارة تعتبر أقل بنصف درجة أو ربما درجة واحدة عن مثيلتها من الفم .

ان استعمال الميزان يجب أن يتبعه رج الميزان مع تنظيفه ، سواء بالماء والصابون ، أو باستعمال المطهرات كالكحول وما اليه ، لضمان عدم نقل العدوى من مريض لآخر . مع التأكيد على حفظه في مكان مناسب ذي حرارة منخفضة ، بعيدا عن تناول الأطفال .

من الملاحظ أن اختلافا بسيطا لدرجات الحرارة قد يصاحب بعض الأطعمة ، مثل المواد الحريفة والتوابل والحالة النفسية ، أو بعد القيام بنشاط جسدي ، أو مع اختلاف ساعات اليوم ، فالحرارة أدنى ما تكون عند ساعات الصباح الأولى ، وأعلى ما تكون عند ساعات المساء ، وهذا ما يجب أن يوضع في الاعتبار .



كما يلاحظ أن ميزان الحرارة المقاس بالفم يكون خزانه مستطيل الشكل ، بينما الميزان الشرجي كروي الشكل ، حتى لا يخدش المستقيم أو يجرحه . □

بريد طبيب الأسرة

الحليب وغازات البطن

● بالرغم من أنني أحب الحليب ومعرفتي بفائدته للصحة ورغبتي في شربه فإنني أعاني من الانتفاخ وعسر الهضم وآلام الأمعاء عقب شرب أية كمية من الحليب . .

لقد جربت شتى أنواع الحليب ، وجميعها بنتائج مخيبة . ولكن دون فائدة . فما هو السر في هذا ، وهل من سبيل للعلاج . علما بأن الكثيرين ممن هم حولي يشاركونني هذه الشكوى . ولكم الشكر .

عبدالله ع - ع - طنطا

إن الشكوى من غازات البطن وعسر الهضم وما يصاحبهما من معاناة هي شكوى عامة ، بل ربما كانت عالمية ، ولكنها أشيع في بلدان الشرق منها في بلدان الغرب ، وفي الشعوب الفقيرة نسبيا منها في الشعوب الغنية .

لقد حار الأطباء قديما في تفسير هذه الظاهرة ، واجتهد بعضهم فقال إن هناك ميكروبات أليفة تعيش في أمعاء بعض الناس دون البعض الآخر ، هي التي تسبب تخمر الحليب وتصاعد الغازات وتولد الانتفاخ ، غير أن البحث والتقصي لم يؤكد هذا الرأي ، ولم يصل العلماء إلى ذلك الميكروب المتهم ، فذهب فريق آخر إلى أنها حساسية مفرطة من نوع الفيروسات ، غير أن هذا المذهب لم يجد قناعة واطمئنانا .

وعلى أي حال فقد انتهى العلماء إلى رأي جديد ، ربما كان هو الأصوب والمعتمد المتفق عليه ، وهو أن الحليب يحتوي دون غيره على سكر خاص يدعى اللاكتوز ، أو سكر الحليب ، وهذا من أنواع السكريات الثنائية التي تحتاج إلى هضم وتحلل إلى سكريات أولية ، مثل سكر الجلوكوز القابل للامتصاص ، وقد زود الله سبحانه أمعاء الإنسان بخميرة خاصة مفرزة هاضمة لسكر الحليب تدعى أنزيم اللاكتاز (خميرة سكر الحليب) وهي نشطة عند الأطفال ، غير أن انقطاع الإنسان عن شرب الحليب فترة من حياته عقب الطفولة الأولى يدفع بالغدد المفرزة لأنزيم اللاكتاز هذا إلى الخمول والضعف والكسل ، وربما وصل إلى حد التوقف عملا بقانون الطبيعة المسمى ، ضمور الكسل ، تماما كما هو الحال مع العضلات تضعف من قلة الاستعمال وتقوى بالرياضة .

من هنا يتراكم حليب السكر ، اللاكتوز ، في الأمعاء دون هضم في غياب خميرة اللاكتاز ، وتقوم الميكروبات الأليفة في الأمعاء على تخميره ، شأنه شأن كل السكريات الأخرى ، من هنا تتصاعد الغازات وتتولد الأعراض كنتيجة طبيعية لعملية التخمر ، وما يصاحبه من مضاعفات من الانتفاخ والضوضاء وعسر الهضم والآلام .

وحلا لهذا الإشكال الصحي الغذائي ، فقد عمدت بعض شركات الحليب إلى إنتاج أنواع من الحليب خالية من سكر الحليب (اللاكتوز) أسوة بالأنواع الخالية من الدسم مثلا .

فالعلة تنحصر إذن في الأمعاء المختصة في هضم الحليب ، وليس في الحليب ، تماما مثل مرضى السكر الذين يعانون من عجز البنكرياس عن إفراز الأنسولين وليس من عيب في الأطعمة التي يتناولونها .

دوالي الساق

● أصبحت وأشكو من مرض الدوالي في ساقها الأيمن، مما أدى إلى تشوه منظرها، وهو أمر يسوء ويستفحل يوماً بعد يوم، ولقد سمعت أنه مرض وراثي وعائلي، مما أصبحت أخجل منه على نفسي، بكل ما أتى الطب الحديث، فهل لنا في نبذة عن هذا المرض وأسبابه وطرق الوقاية والعلاج؟

سلوى ع - ع / دمشق.

الدوالي اصطلاح طبي يقصد به تفلطح الأوردة وتعرجها، واستطالتها في أي موقع من مواقع الجسم، وهو أمر شائع بين الناس، ويصيبهم في الساق أكثر ما يصيب، حيث تؤكد الإحصائيات أن نسبة دوالي الساق تصل إلى ما بين ٢٠ - ٣٠ في المائة من مجموع السكان.

ولعل دوالي الساق قديم موغل في تاريخ الإنسانية، وعمره الحضارات الأولى، فلقد وجدت كتابات طبية تتناول دوالي الساق عند المصريين القدماء، وعند أطباء اليونان القدامى.

وحتى نفهم سر دوالي الساق التي تصيب الأوردة علينا أن نستعرض الحقائق العلمية التالية:

أولاً: إن الأوردة التي تعود بالدم إلى القلب هي بخلاف الشرايين التي تحمل الدم من القلب، تتميز بضعف جدرانها لعدم وجود طبقة عضلية في جدار الوريد، كما هو الحال في الشرايين.

ثانياً: تتحصن مسيرة الدم داخل الأوردة وعدم عودته إلى الوراء، تعتمد على صمامات في جدرانها تشبه أكواب النواعير، بينما الشرايين تعتمد على توتر عضلات جدرانها.

إن ضعف الخلقي يجعل من الأوردة عرضة لظاهرة الدوالي، وخصوصاً إذا ما كان صاحبها مهيأ وراثياً أو خلقياً بعدم وجود صمامات داخل أوردته، ثم تضعف جدرانها، وهو الأمر الذي يمثل ٩٢٪ من الحالات، وإذا أضيف لهذا عوامل ثانوية مثل الوقوف الطويل أو الإمساك الذي يضغط على أسفل أوردة البطن أو الحمل أو الأورام، وربما البدانة والسمنة، بل قيل إن أمراض الحمل لها دور في الأمر.

وأوردة الساق تنقسم إلى قسمين رئيسيين هما: الأوردة الداخلية التي تصاحب الشرايين داخل عضلات الساق وأنسجته، والأوردة الخارجية التي أهمها الوريد الصافن الكبير، وهو أطول أوردة الجسم، يبدأ من سطح القدم وينتهي عند أعلى الفخذ، ماراً بالجانب الداخلي من الساق تحت الجلد مباشرة، وزميله الصافن الصغير الذي يمر من جانب الساق وينتهي فوق الركبة تقريباً، وهناك توصيلات بين المجموعتين للدوالي لعدم وجود دعم لها سوى الجلد الرقيق، على غير حال أوردة الساق الداخلية، وأعراض الدوالي تدور حول شعور المصاب بالألم والتعب، وخصوصاً عقب الوقوف الطويل مع التنفخ في الساق والتورم وتعرج ظاهر في الأوردة، مما يشوه منظر الساق وخصوصاً لدى السيدات، وهن الأكثر تعرضاً للإصابة، وربما أدى الحال إلى تلون الجلد بلون بني داكن، ثم ربما تقرح موضع الدوالي وتحول إلى قرحة مزمنة، وأخيراً تؤدي الإصابة إلى التهاب موضعي.

إن أمر الوقاية والعلاج ميسور بطرائق عند الخلقي والتعامل معها بعدم الوقوف طويلاً ورفع الساقين قليلاً عند النوم، أو الجلوس ومعالجة ما يزيد ضغط داخل البطن، كالإمساك مثلاً، وربما احتاج المريض حسب إشارة الطبيب إلى ربط ضاغط يلفه حول الساق، أو كلسات مطاطية خاصة.

والعمليات الجراحية سواء بحقن الأوردة بمواد محثرة للدم، أو بإزالة الأوردة المصابة كلية، قد أثبتت نسبة عالية من النجاح تصل إلى ٩٠٪ ولكن الاختيار الأنسب لوسيلة العلاج هو من مسؤولية الطبيب المعالج.

دخل حذيفة بن اليمان على عمر بن الخطاب فسأله كيف أصبحت يا حذيفة ؟ فأجاب حذيفة أصبحت أحب الفتنة وأكره الحق وأصلي بغير وضوء ولي في الأرض ما ليس لله في السماء فغضب عمر غضبا شديدا وولى وجهه عنه وحدث أن دخل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه على عمر فسأله عن الغضب فذكر له ما قاله بن اليمان

فقال علي لقد صدق فيما قال يا عمر فقال عمر وكيف ذلك ؟

قال علي إنه يحب الفتنة لقوله تعالى « إنما أموالكم وأولادكم فتنة » فهو يحب أمواله وأولاده ويكره الحق يعني الموت لقوله تعالى [illegible] وأحد حتى يغلب الطبي ، ويصلي بغير وضوء يعني أنه يصلي على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ويعني أن له في الأرض ما ليس لله في السماء يعني أن زوجة له وأولادا والله تعالى هو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد

فقال عمر لعلي كرم الله وجهه أصبت يا أبا الحسن لقد أزلت ما في نفسي على حذيفة

■ وقف أعرابي على أبي الأسود وهو يتغدى فسلم عليه فرد عليه ثم أقبل على الأكل ولم يدعه إليه ليأكل معه

فقال الأعرابي مررت بأهلك

فقال له كذلك كان طريقك

قال وامرأتك حبلى قال كذلك كان عهدي بها

قال قد ولدت قال كان لا بد لها أن تلد قال ولدت غلامين

قال كذلك كانت أمها قال مات أحدهما قال ما كانت تقوى على إرضاع اثنين قال ثم مات الآخر قال ما كان ليبقى بعد أخيه

قال وماتت الأم قال حزنا على ولديها قال ما أطيب طعامك

قال له من أجل ذلك لا تذوقه أبدا

مكتبة العربي

كتاب الشهر



الاكتشاف المحبط

تأليف : سوزانتا جوناتيليك

عرض : د . أمين السيوطي

الكتاب الذي بين أيدينا اليوم يوضح كيف أن العلوم الغربية الحديثة ، بالرغم من استعاراتها من العلوم العربية وغيرها ، قد اكتسحت التقاليد العقلية والعلمية للحضارات غير الأوروبية ، وأصبحت لها السيطرة كاملة .

ولقد ارتبطت عملية الإزاحة الكاملة هذه بنمو الاستعمار الأوروبي ، حتى سيطرت العلوم الغربية على كل الصياغات العلمية خارج نطاقها . وكانت نتيجة اعتماد هذه البلاد على تقليد علمي غريب على تاريخها وطرائقها الثقافية أن أصبحت العلوم في العالم الثالث تقوم على التقليد لا الإبداع . وعلى هذه المجتمعات أن تستعيد العناصر العلمية الخلاقة التي تنبع من تراثها العقلي ، وأن تنفصل عن أنماط البحث والتطوير الحالية التي تقوم على التقليد .

كتاب الشهر

تقنية القدماء :

لم يكن الإغريق أول من حمل الشعلة العلمية إلى أوروبا ، فقد عرفت الهند القديمة الزراعة والري ، والعمارة المتطورة وتخطيط المدن . وفي مجال الفلك عرفت التقويم القمري ، في القرون الميلادية الأولى إذ بحثت في حركات الكواكب ، والخسوف والكسوف ، ومقاييس وحسابات الشمس والقمر ، ودوران الأرض ، وتطور الكواكب مستخدمة الأدوات الفلكية . وفي الرياضيات عرفت الأوزان والمقاييس والعمليات الحسابية البسيطة ، والجمع والطرح ، والضرب والقسمة ، حتى تطورت حسابات التربيع والتكعيب والمثلثات والدوائر والأجسام الكروية ، والمتواليات الرياضية في القرون الميلادية الأولى . وفي علم الأحياء كانت لديها معرفة متقدمة بالنباتات والحيوانات وتصنيفها على أساس طريقة توالدها وتكاثرها ووظائف أعضائها ، وبأمراضها وأساليب علاجها . وفي القرن السادس ق . م . توصلت إلى نظام يفسر الطبيعة على أساس العناصر الخمسة : الماء ، التراب ، الهواء ، النار ، الفراغ . كما عرفت فلسفاتها أنظمة الفكر والمنطق والسببية ، وظهرت نظريات تفسير المادة على أنها تركيبات من ذرات في حركة دائمة قادرة على الانقسام والانفصال ، بسبب اختلافها المتخفية لتحولات نوعية المواد . وفي الطب توصلت إلى علم وظائف الأعضاء ، والعلاقة بين النظام الهضمي الأرضي والأمراض ، والأعراض وتفسيرها ، ونظريات علاج النظام والجهاز العصبي وبصل الجذري ، وأدوية مختلفة نباتية ومعدنية وحيوانية . كما عرفت الجراحة وأدواتها . وفي الهندسة الكيميائية عرفت مبكرا استخلاص المعادن ، وصناعة الصبغات وعرفت أنواعه . ولهذا كانت الهند القديمة قد عرفت الكثير قبل غيرها على الآلات الميكانيكية والأدوات الجراحية وتصنيع المعادن ، كما عرفت في القرن الأول ق . م صناعة الزجاج ، وعلم المعادن وتنقيتها ، وصقل القوالب وصبها .

هكذا أيضا كان الحال في حضارات وادي النيل ومنطقة البحر الأبيض ، وفي العالم الجديد عرفت قبائل الأنكا زراعة المحاصيل ، ونقش الطرق الضيقة ، وطليها بلون ملائم ، وإن لم تعرف العجلة والمحراث والطرقات . أما قبائل المايا فقد عرفت الفلك والرياضيات ، والتقويم الشمسي من خلال ملاحظات فلكية دقيقة من المعابد العالية بمرصدات عالية ، فوصلت معرفتهم بكوكب الزهرة درجة عالية من الدقة ، كما استخدموا النجم القطبي في الملاحة .

لكن منذ القرن ١٥ بدأ تأثير العلوم والتقنية الغربية على هذه الحضارات ، بسبب قوة أنظمتها في تفسير العالم المادي ، والاستعمار الذي قسم وحطم هذه الأنظمة العلمية .

العلوم الأوروبية :

يؤكد تاريخ العلوم الأوروبية في القرنين ١٩ ، ٢٠ على تفرد الاكتشافات الأوروبية ، فقد أدى الاعتقاد بالتفوق الأوروبي إلى تجاهل الانجازات التي حققتها الشعوب غير الأوروبية ، غير أن الدراسات الحديثة عن التقاليد العلمية في الشرق أوضحت أن مسار العلوم بدأ من مصر وجنوب آسيا إلى اليونان القديمة ، ومن إسبانيا الإسلامية إلى إيطاليا عصر النهضة ثم بلدان أوروبا ، هذه هي الحالة الكلاسيكية ، مع انتقالات من الإسكندرية وروما ، انتقل محور الأساس في الثقافة العالمية الحديثة .

كان الإغريق يرون في ذلك تحول الأرض والهواء والماء ، وإمكانية تحويل العناصر من خلال النار .

كما تشرت منوسة فيثاغورس المعرفة الرياضية ، والفكرة كروية الأرض ودورانها حول نار مركزية غير منظورة ، وطور ديموكريطس نظرية الذرات التي رآها جزيئات هندسية تتجمع لتخلق أشكالا مادية مختلفة ، وفي عصر بيريكليز طور يوكليد الرياضيات الإغريقية ، وظهر طب أبقراط ، وعلم الطبيعة والأحياء . وفي القرن الثاني ق . م وصل الفلك إلى قمة جديدة على يد هيبارخوس ، طورها بطليموس فيما بعد لتصبح الشمس مركز الكون ، وهو الرأي الذي نقله العرب إلى أوروبا ليستخدمه كوبرنيكوس وجاليليو وكبلر ونيوتن . وشهد العصر أيضا تطورا في الميكانيكا والبصريات والهيدروليكية والآلات البسيطة .

أما الرومان فإنهم لم يضيفوا شيئا ، إلا في الهندسة المدنية وشق الطرق ، والقنوات والصرف الصحي ، واستخدام خواص الماء والهواء ، ووضع خريطة العالم . وفي القرن الثالث عشر الميلادي تأسست جامعات في أوروبا ، وظهرت فئة مثقفة من الباحثين منهم الأول توحيد علم اللاهوت مع الفلسفة الطبيعية .

لقد تم بدء عصر النهضة من إيطاليا ، وهو العصر الذي ظهرت فيه أسماء كوبرنيكوس وكبلر وجاليليو في مجال الفلك (١٤٤٠ - ١٥٤٠) (وبيكون) وديكارت في مجال أساليب البحث العلمي (١٥٥٠ - ١٦٥٠) ثم بويل وهوك ونيوتن الذين بدأوا عصر العلم الحديث (١٦٢٠ - ١٦٩٠) .

وكان أعظم انجازات عصر النهضة النظام الفلكي الذي وضعه كوبرنيكوس ، والتشريح الذي وضعه فيساليوس ، كما شهد العصر عباقرة في مجالات الظواهر الطبيعية والمعادن والتعدين والجراحة ، وبناء السفن وصناعة البارود والتقنية الكيمياوية ، والرياضيات التي أدخلها العرب .

وفي القرنين ١٦ ، ١٧ ، بدأت التطورات الهامة في العلوم في انجلترا وفرنسا بتكوين الجمعيات والأكاديميات العلمية في انجلترا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا . وكان أهم الاكتشافات اكتشاف نيوتن لقانون الجاذبية ، وقانون الطرد المركزي وبناء نموذج رياضي لنظام الكواكب ، وعلى يديه وصلت العلوم إلى قمتها وبدأت المعرفة العلمية تنمو سريعا .

ولقد ارتبط هذا التقدم بالتغيرات الاجتماعية والاقتصادية مثل الثورة الصناعية والثورة الفرنسية ، والرأسمالية الاحتكارية ، والأزمة الاقتصادية والسياسية التي أدت إلى حربين عالميتين ، ورعاية الدولة للعلوم والتقنية . كما أدى هذا التطور إلى ظهور العلوم الاجتماعية ، وتطبيق القوانين العلمية على البيئة الإنسانية لاكتشاف القوانين العامة التي تحكم حياة الإنسان وبيئته . واتسعت هذه النظرة لتشمل ميادين الاقتصاد والسياسة وعلم الاجتماع . فظهرت أسماء آدم سميث وكارل ماركس وسان سيمون ودور كايم ، وعم التفسير الأيديولوجي الثقافي للتطورات الاجتماعية .

وفي الأبنية الاجتماعية التي أوجدتها أوروبا في مستعمراتها نمت ثقافة جديدة مشتقة من أوروبا ، ومنذ ذلك الحين ظلت ثقافة المستعمرات معتمدة على أوروبا ، ضعيفة ومتخلفة في مجال العلوم والتقنية .

التأثير المتبادل :

تباعد التقليدان الأوروبي والشرقي منذ القرن ١٨ في كمّ انتاجهما ، ومدى تطورهما ، بل فقد التقليد الثقافي الشرقي مشروعيته ، وطغى عليه التقليد الأوروبي ، وأصبح المعرفة المشروعة التي تدرس في الجامعات وتدرس في مراكز الأبحاث . غير أن هذا التشعب لا يعني أنه لم يكن هناك تأثير متبادل بين التقليدين قديما وحديثا . فقد تأثرت الحضارة المصرية والسومرية والآرية بحضارة الاغريق منذ وقت مبكر . فقد تأثر فيثاغورس في رحلاته بالحضارات المصرية والآشورية والهندية . فمن الهند أخذ فكرة تناسخ الأرواح ، وتأثر بالرياضيات ، وأصل نظرية امبيدوكليس عن العناصر الأربعة تأثير الفكر الهندي . وهناك نقاط اتفاق بين المفكرين في شأن كروية الأرض وتعلق الخالق في نظرية كلية . وعن الهند أخذ ديموكريطس نظريته عن الذرة ، كما أثرت المعارف الطبية الهندية على الطب الاغريقي غير أن الاغريق أثروا كذلك في مجال الهندسة والفلك في جنوب آسيا .

وفي العصور الوسطى ظلت الاتصالات بين أوروبا وجنوب آسيا من خلال الباحثين العرب مثل البيروني في القرن الثالث عشر . ولقد نقل العرب

أساسا الرياضيات والأعداد ومفهوم الصفر والكسور العشرية والجبر وحساب المثلثات . وفي الطب كان مؤلف الرازي ، الذي اشتمل على كثير من المعارف الطبية الشاملة ، الأساس الذي قام عليه الطب الأوروبي وأسهم في التطورات اللاحقة .

وفي بداية عصر النهضة ورثت أوروبا الأفكار التي نقلها العرب . ففي الكيمياء لم تكن فلسفة باراسيلسس لعنصر الملح الى عنصري الكبريت والزئبق الا استعارة من أفكار من علماء العرب الذين قادوا علم الكيمياء في أوروبا ، كذلك كان الحال في مجال الملاحة والفلك ، فطور البرتغاليون معرفتهم بالملاحة في شكل الجداول والخرائط والاسطرلاب ، التي كانت من أفكار الهنود والعرب . ومن الصين انتقلت الى أوروبا البوصلة ، ومن العرب الشراع ، ومن جنوب آسيا الأشرعة المصمتة ، فقد اعتمدت التجارة الأوروبية على جمع وتطبيق المعارف المتفرقة لدى الشعوب المختلفة .

وبعد رحلات الاكتشاف حصلت أوروبا أفكار جديدة عن صناعة النسيج ، والآلات الحاسبة ، والكتب والصور والخرائط ، والكشف عن الطباعة والمسامير في القرن ١٦ . وفي البلدان المكتشفة وجد الأوروبيون أدوية وأغذية جديدة مما فتح عيونهم على علوم النبات .

ومنذ القرن السابع عشر ميزت العلوم والتقنية الغربية عن مثيلاتها في الشرق في حجم وعمق الاختراعات والاكتشافات الجديدة ، وكان الطب على أساس الشرق في مجالات الحضارة ، واستخدام البارود ، والطباعة وبوصلة التجميل ، واستخدام الأجهزة الطبية ، ولم يمكن تطوير تقنية الحديد والصلب الا بتأثير مباشر من الهند .

ومن الملاحظ أن تطور العلم في الغرب قد صاحبه صراع بين العلم والدين ، في حين لم يشهد الشرق مثل هذا الصراع . وهو صراع قد ذهب فيه الكثيرون حياتهم في ثورة كوبرنيكوس . وعند ظهور نظرية داروين ، والى حد أقل عند ظهور نظرية فرويد في علم النفس ، فقد تعارضت هذه النظريات مع تفسيرات المسيحية لتفسير الكون ، ومركزية الأرض ، واعتقادها بأن الانسان مركز الكون ، وأن حقه حية الهية . أما في جنوب آسيا فلم تكن هذه النظريات تواجه مثل هذه المعارضات لأن الانسان في فلسفاتها ليس الا واحدا من المخلوقات ، ويخلق الكون أزلي ويحكم التطور ، وهناك أكوان أخرى غير هذا الكون ، كما أن نظرتها الى العقل تتجاوز العقل الواعي الى طبقات أخرى من اللاشعور واللاوعي .

السياسة وتطور العلوم :

غير أن العلم منذ القرن السابع عشر ، أخذ ينمو بشكل مطرد في الغرب ، حين ارتبط بتطور أوروبا الاجتماعي والاقتصادي ، من مرحلة الاقطاع الى الرأسمالية التجارية ، الى الرأسمالية الصناعية ، وأخيرا الرأسمالية المالية . ويتفق الماركسيون وغير الماركسيين على العلاقة بين العلم والتقنية ، والاطار الاجتماعي الذي يضمهما .

ففي زمن ميلاد العلم الأوروبي الحديث ، كانت تأثير السياسة والظروف الاجتماعية سلبية بالنسبة لكوبرنيكوس وجاليليو ، حين استخدمت سلطات الدولة والدين ضد اكتشافاتهما ، بل حتى في عشرينيات القرن الحالي أصدرت عدة ولايات أمريكية قوانين تحرم تدريس نظرية التطور في المدارس ، واليوم تظهر في أمريكا محاولات تدريس ما يسمى « بعلم الخلق » ضد نظرية التطور ، وهي محاولات تحظى بتأييد شخصيات كبيرة بما فيها الرئيس ريجان .

أما اكتشافات نيوتن في الفلك فقد ارتبطت بحاجة التجار الى معرفة ملاحية ، كما ارتبطت اكتشافاته في

قوانين الحركة وحركة الكواكب بحاجتهم إلى معرفة في مجال استخدام المدافع . وهناك علاقة أساسية بين ظهور حساب التفاضل والتكامل ، وحاجة التجار إلى حساب العمليات التجارية ، وحاجة أصحاب رؤوس الأموال الصناعيين إلى التحكم في العمالة والسلع ، هكذا أيضا كان التحول إلى الرأسمالية الصناعية ، سببا في ظهور نظريات آدم سميث وريكاردو وكونت وكارل ماركس الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

[illegible]

ـ خاصة في تمتع العلوم الطبيعية بدرجة عالية من الدعم السياسي . وقد تم هذا على حساب العلوم الاجتماعية التي لم تزدهر إلا بعد الانتقادات التي وجهت لحرب فيتنام والمؤسسة العسكرية ، ودعمها للأبحاث العلمية العسكرية .

كذلك الحال في الاتحاد السوفيتي ، حيث القرارات العلمية قرارات سياسية داخل إطار التخطيط الاقتصادي . والتخطيط تحكم به السياسة والأيديولوجية السياسية ، وتخصيصات القادة السياسيين وأولويات تمويل العلوم ، كما يخضع العلم لاعتبارات سياسية خاصة بعد ظهور التنافس بين السوفييت والأمريكيين في مجال أبحاث الفضاء والسيطرة العسكرية .

وعلى المستوى الدولي في الغرب يرتبط العلم بمتطلبات الصناعة ، وخصوصا العلوم والتقنية الصناعية . حيث أصبحت التطورات التقنية تمول من جانب القطاع الخاص والدولة معا . بل أصبحت الشركات الكبيرة المتعددة الجنسية مؤسسات للبحث وتطوير الإنتاج معدات وأجهزة علمية وتقنية موجهة إلى السوق ، وخصوصا في مجال الالكترونيات . وهكذا تدعم الاعتبارات الاقتصادية الاعتبارات السياسية في تحديد الاتجاهات التي تتخذها العلوم ، وأصبح البناء الاجتماعي للعلوم الحديثة معتمدا على تنظيم المجتمع اقتصاديا وسياسيا .

الاستعمار والعلوم :

ولقد تطلب تصنيع أوروبا تكاملا بين الأنظمة الاجتماعية والثقافية في المستعمرات ، وبين أنظمة المستعمرين ، فتحولت المستعمرات إلى منتجة للمواد الخام ، وإلى أسواق للنظام الصناعي ، مما تطلب نقل أشكال المعرفة من الغرب . هكذا تم اهتمام شركة الهند الشرقية بالاستكشافات في المناجم والمزارع لإنتاج [illegible] هذه الصناعة إلى التفكير في الزراعة في جنوب [illegible] الزراعية جزئيا أو كليا . وقد استلزم هذا التحول نقل المؤسسات العلمية ونظم التعليم إلى جنوب آسيا ، فشجعت شركة الهند دراسة النباتات والمعادن ذات الأهمية الاقتصادية لبريطانيا .

وفي مجال التعليم اتجهت مناهج التعليم الغربية إلى المستعمرات لتزويد الحكومات الاستعمارية بكوادر إدارية ، واعتبر التاريخ الأوروبي أهم من كل ما كتبه الهنود والعرب في التاريخ والجغرافيا ، والطبيعة والفكر العلمي . واستجابت هذه التغيرات لحاجة أصحاب رؤوس الأموال الصناعية الجديدة في الهند ، وصاحب هذا دخول اللغة الانجليزية كوسيلة للتعليم ، ونشر التعليم العلمي الجديد ، الذي أكد على أهمية الرياضيات ، والتاريخ الطبيعي والكيمياء والتشريح والعلوم الحديثة . اقتداء بنظم التعليم في أوروبا . وفي الجامعات أصبحت مواد الطب والهندسة المدنية والإنسانيات والقانون مطابقة لما يدرس في جامعة لندن . وهكذا أصبحت الأنشطة العلمية والتقنية في خدمة النشاط الاقتصادي الاستعماري .

بعد الاستقلال :

وبعد الاستقلال اتجهت البلاد المستعمرة إلى إنشاء قاعدة علمية مركزية لبنائها الزراعي والصناعي ، وإلى التأكيد على العلوم والتقنية بهدف توفير حاجات السوق

كتاب الشهر

الصناعية المستوردة . مما أدى الى خلق مؤسسات علمية متخصصة ، والتوسع في تنظيم التعليم الجامعي . وقد أقيمت هذه المؤسسات على نمط مثيلاتها في بريطانيا وأمريكا .

غير أن عبء التدريس في الجامعات ونقص التمويل لم يترك لأعضاء هيئات التدريس وقتا وإمكانيات للبحوث ، وقد صاحب ذلك عدم الكفاية في المكتبات والمراجع ، مما أثر على فرص العلماء وتدريبهم وصلاحية أبحاثهم . وفي المؤسسات العلمية الأخرى انفصلت الأبحاث عن الأساس الاقتصادي الاجتماعي المحلي ، نظرا لعدم وجود مستهلكين محليين ، وتوجه الأبحاث الى مستهلكين غربيين ، يحددون نشاط بحث معين والمشكلات السائدة في المجلات العلمية الأوروبية ، ولا تعكس هذه الأبحاث مناهج بحث واضحة أو نتائج جديدة . أما من نجح في الابتكار من العلماء المحليين فهم أولئك الذين وصلوا الى اقامة علاقات مع العلماء الغربيين الذين يعملون في مجالهم . ونتيجة لعزلة الجماعات العلمية في المؤسسة المحلية الواحدة ، وعدم وجود مجتمع علمي محلي أو مناقشات أو تبادل آراء أو تقييم علمي محلي للأبحاث الجديدة ، ظلت العلوم تابعة للغرب . كما أدى عدم وجود تفاعل بين المجلات المتخصصة في الطبيعة والمجلات المتخصصة في الكيمياء مثلا ، وعدم الاطلاع على أحدث الأبحاث في العالم الى تخلف الأبحاث عن الأبحاث الغربية .

وقد أدى هذا الى استمرار اعتماد العلوم والتقنيات في العالم الثالث على الغرب ، بحيث تبدأ القضايا العلمية الأساسية في الغرب ، ثم يتناول العلماء المحليون تنويعات عليها . وحتى عندما تحدث قضايا أساسية مبتكرة في العالم الثالث فلابد أن تكتسب مشروعيتها في الغرب أولا ، وغالبا يعيد الأكاديميون صياغتهم في ضوء الأساليب الغربية في البحث . ونتيجة لهذا يختفي الإبداع والابتكار لدى العلماء المحليين .

وهذه النتيجة تعني وجود فجوة بين العلوم في الغرب وبين مثيلاتها في البلدان النامية ، كما تعني أيضا ترجمة العلماء المحليين لاهتمامات الفكر التي تعرضوا لها في الغرب ، ثم عجزهم عليها ، اذا انقطعت صلتهم به ، بينما تظل الثقافة العلمية في الغرب في حالة تجدد دائم . وهكذا قد تجد أحد العلماء المحليين غير منتج في ظروف العالم الثالث ، ولكنه ما أن ينتقل الى مراكز التعليم في العالم الأول ويتكامل مع المجتمع العلمي فيه حتى يصبح منتجا مبدعا .

لكن مما يلفت النظر أن مظاهر الابداع الموجودة في العالم الثالث تتمثل في التقاليد العلمية التي ترتبط بالثقافات الشعبية ، وخصوصا في مجال الأدوية التي تستخلص من نباتات وأعشاب محلية . وغالبا ما تؤدي التجارب المحلية الى اكتشافات جديدة في هذا المجال ، مما يعني أن الابداع من الممكن أن يوجد وسط المجموعات التي لم تتأثر منها بالمعارف التي تفد من الغرب .

الخريطة التقنية :

وفي مجال التقنية حدث شيء مماثل ، فقد ضاعفت التقنية الشكل الاجتماعي في المجتمعات التي أوجدتها ، وكمية وأنواع السلع لسكان هذه المجتمعات . واجتذبت هذه القدرة التقنية معظم البلدان النامية خارج الأطر الاجتماعي والاقتصادي المباشر لها . وهكذا تبنت تلك البلدان تقنيات البلدان المتقدمة دون ادراك ان هذه التقنية ليست محايدة ، بل تنمو في أطر تاريخية واجتماعية محددة ، بحيث تتأثر بالظروف الاجتماعية والاقتصادية ، وتؤثر في تشكيل بنية المجتمع ، وتعكس طبيعة النظام الاقتصادي وأنماط صراعاته ومحاولة حل الصراعات . كما أن نمو دول

للعالم الثالث فهذه التقنية يعني تبعية التقنية واستمرارية تخلفها. فنقل التقنية يعني علاقة تبعية مكشوفة، وخصوصا وأن مستورديها ليسوا إلا طبقة متساوقة مصالحها مع الوجود الاستعماري. كذلك فإن التقنية بمثابة حامل وراثي اجتماعي ينقل معه العلاقات الاجتماعية السائدة في البيئة التي أنتجتها، ومثال ذلك التقنيات الزراعية. وهكذا تؤدي إدخال التقنية الحديثة إلى إقامة علاقات رأسمالية زراعية في الريف في العالم الثالث، على نمط العلاقات الموجودة في بلد منشئها، ولعبت التقنية دور الحامل الوراثي الاجتماعي الذي ينقل العلاقات الاقتصادية والاجتماعية من بلد المنشأ إلى العالم الثالث.

الإبداع في العالم الثالث :

إن انفصال مفهوم العالم الثالث عن العالم الأول أمر ضروري، وقد يعتمد عليه العالم الثالث في بداية الانفصال على مصادر حديثة وضعها الباحثون في الغرب، وقد يعجزون أول الأمر عن بعث أبحاث مبدعة في ميادين جديدة، مما يصاحب عملية الانفصال تغيرات تنظيمية داخل الأوساط العلمية كما حدث في كمبوديا، وفي الصين في الستينات والسبعينات. في التجربة الصينية جمعت التجربة بين الأساليب العلمية الحديثة والتقليدية، فلم تنفصل كلية عن الغرب، وظلت الاتصالات قائمة من خلال المجلات العلمية. وقد أكدت الثورة الثقافية على وحدة النظرية والتطبيق، فنجح العلماء في تطوير مشروعات عملية مثل تهجين النباتات وإنتاج الصواريخ وتطوير القدرة النووية، ولكن لم يوجدوا علوما بديلة.

غير أن التقاليد العلمية التاريخية في الصين والهند يمكنها أن توفر بدائل للمشكلات ومناهج علمية جديدة. فالباحث عن أفكار جديدة تتحدى عالم النظرية الذرية، سوف يجد ثروة عقلية هائلة في فلسفات الهند التي تناولت فكرة الذرة. وإذا كان الغرب قد بدأ من نظرية ديموقريطس في الذرة، فمن الممكن الرجوع إلى النظريات الفلسفية الهندية بالذرة، وهي نظريات أكثر تنوعا ومرونة، وقد يؤدي البحث في هذه المجالات إلى رؤية أكثر تكاملا عن الذرة. فلو طبقنا مثلا نظرة البوذية إلى الذرة على أنها تتجدد وتتبدد وتتحلل في جزئية زمنية ممكنة، فقد توفر هذه الفكرة إمكانية لنظريات جديدة في العلوم. وهكذا أيضا في مجال العمارة والطب.

ففي الطب يمكن تقسيم الأنظمة الأساسية إلى النظام الأفريقي - العربي، والنظام الصيني، ونظام جنوب آسيا. والنظام الأول يرتبط بتطور الطب في أوروبا الحديثة، رغم إنكار أوروبا لكل الأنظمة السابقة. وفي حين أن عصر العقاقير لم يبدأ إلا في ١٨٩٩ باكتشاف الأسبرين، وإلى أن توالت العقاقير الجديدة، فلابد أن نلاحظ أن التفوق فيها ضئيل حقا، والكثير ضار أو خطر. أما الأنظمة السابقة فإنها تحمل إمكانيات التطور والنمو، فلدى الخبرة الطبية الصينية المختزنة تتألف من الأساليب والعقاقير المستخلصة من الأعشاب وأوراق الشجر وجذوره، بل إن منظمة الصحة العالمية لديها برنامج لتطوير طب جنوب آسيا، وإن كانت تهدف إلى الوصول إلى عناية صحية رخيصة التكاليف لا تطوير الطب التقليدي كعلم.

وفي العمارة نجد أن نظريات العمارة التي تدرس في الجامعات تؤكد على المباني المسطحة التي تضم مكاتب وشققا سكنية، تفتقر في تصميمها الخارجي والداخلي وأنظمة تهويتها مع الموقع المناخي. والعمارة في حقيقتها تعبير عن الثقافة، وعن التركيبة الأسرية، وعن علاقتها بالمناخ والسمات الجغرافية، ولهذا فإن القرى في القطب الشمالي يلبي احتياجات بيئية مختلفة عن احتياجات آسيا الاستوائية في مواد البناء وتنظيم المساحات الداخلية والخارجية وأنظمة التهوية. ومنطقة جنوب آسيا بها تراث معماري ثري في تصورها وتصميمها وبيوت فلاحيها، يعكس استجابة للبيئة الطبيعية والاجتماعية. ومن هذا التراث يمكن بعث تقليد معماري متطور.

إن التاريخ يتطلب من العالم الثالث الآن أن يعود إلى حواره مع الطبيعة، وفي كافة مجالات المعرفة، ليستعيد الطريق الذي بدأه منذ فجر التاريخ، ويواصل استكشاف الطبيعة والكون الذي يعيش فيه. □

من المكتبة العربية

الموسوعة الفلسطينية

بقلم : زياد ضسوحة

في نهاية عام ١٩٨٤ ، تم الانتهاء من طبع « الموسوعة الفلسطينية » بأجزائها الأربعة على مطابع ميلانو ستامبا الإيطالية . هذه الموسوعة التي جاءت لتلقي الأضواء على تاريخ وطن وشعب وقضية منذ أقدم العصور حتى وقتنا هذا .

كم شهدت فلسطين من حروب طاحنة ، وهزات كبيرة ، كانت آخرها الهجمة الاستيطانية الكبيرة من قبل الصهاينة المدعومين من القوى الاستعمارية ، الذين تمكنوا من احتلال فلسطين العربية ، وإقامة كيان غريب فوق أرضها ، بعد أن تم تشريد أصحاب الوطن الشرعيين .

لقد كتب الكثير عن فلسطين أرضا وتاريخا وشعبا ، وتناولتها الدراسات من كل جانب ، ومع هذا فقد كانت الحاجة ملحة لموسوعة ضخمة ، تعطي فكرة واضحة عن وطن جريح ، عانى شعبه الكثير من الظلم والحرمان والإبادة .

والتفكير بهذه الموسوعة ، وإخراجها إلى حيز الوجود يؤكد هذا الارتباط الكبير بفلسطين . فكل معلومة جديدة عن أي مدينة أو قرية أو أثر دارس أو شخصية لا شك أنها تقربنا إلى فلسطين التي ستظل الأمل الساطع لكل المشردين والمنفيين من أولادها وأولاد أولادها ، الذين عشقوها ويحنون إليها حنينهم إلى كل مقدس .

لقد اشترك في إعداد هذه الموسوعة أكثر من مائتي باحث من جميع التخصصات منهم العالم والمؤرخ والأديب والموسوعي ورجل السياسة .

ومن هنا يصبح لهذه الموسوعة التاريخية العلمية دور أساسي في معركة تحرير فلسطين يتمثل في عرض الحقائق التاريخية عن فلسطين أرضا وشعبا وحضارة وقضية ، لتكون وثيقة علمية تدحض الأساطير التي ظل يروج لها المستعمرون في محاولات أشرفوا عليه وتحكموا به . لقد بدأ المشروع بالفعل عندما تبنت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومنظمة

التحرير (منظمة التربية والتعليم) في العاشر من شهر كانون الأول عام ١٩٧٤ . لاصدار هذه الموسوعة التي كان المؤتمر العام للمنظمة قد أقرها في دورته [illegible] .

جاء الجزء الأول من الموسوعة في ٦٤٩ صفحة من القطع الكبير تضمن الحروف من (أ - ث) ، ونجد في صدر الكتاب الأول مفصلا للمواقع والأماكن والتجمعات السكانية وغيرها التي تدخل في حدود فلسطين المعروفة ، بموجب صك الانتداب ، باستثناء منطقة الجولان الواقعة خارج حدود فلسطين .

ولاحظت في الموسوعة : -

- جميع القرى المدمرة على يد الصهيونيين ، وبيّن حجمها وعدد سكانها ، باستثناء القليل منها الذي لا يتجاوز سكانه عشرة أشخاص .

- ضم الى الموسوعة بحث موجز عن القرى العربية المدمرة قبل قيام الكيان الصهيوني ذكرت فيه اسماؤها ولمحة في وصفها وردت في نهاية البحث .

- جميع القرى العربية القائمة الآن وبطاقتها السكانية للعرب ، ممن يزيد عددهم عن ٥٠٠٠ نسمة حين صدور الموسوعة ، وترد فيها تحت تسمية بلدة .

وضمن الموسوعة أيضا التجمعات الصهيونية الكبيرة التي يجاوز عدد سكانها عشرين ألفا .

جاء الجزء الثاني من الموسوعة في ٦٤٣ صفحة من القطع الكبير ، وتناولت المواد التي تبدأ من حرف (ج - ش) .

الجمعيات الأدبية في فلسطين

ولعل هذا العنوان جاء في الجزء الثاني من الموسوعة : كانت الجمعيات الأدبية في فلسطين عاملا من العوامل البارزة في نهضة هذا القطر العربي الثقافية . . وما يلاحظ على هذا العامل الثقافي انه لا يخلو من بذور سياسية ناجحة تتعلق ببعض العناصر الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ، وانه كان يعتمد على وعي التيارات السياسية التي كان المستعمر يخطط لها لطبع هذا القطر وجره نحو نهاية بعيدة عن مصلحة الشعب العربي فيه .

غير أن الجمعيات الأدبية لم تكن مقصورة على فترة الانتداب الانجليزي في فلسطين . بل سبقت هذه المرحلة . فكان في فلسطين جمعيات عدة زمن الحكم العثماني . منها في القدس جمعية « مدرسة صهيون » فرع جمعية « اتحاد الشبان المسيحيين » انشئت سنة ١٨٧٣م . ومنها في حيفا والناصرة جمعية « النهضة المسيحية » و « شبان الروم الارثوذكس » في القدس ايضا . فكان من جمعيات هذه الفترة المبكرة ثلاث جمعيات انشئت في عكا وهي « شعبة المعارف » و « الجمعية الأدبية العربية » و « جمعية طور مصر » . وفي العقد الأخير من القرن التاسع عشر عرفت فلسطين نشاط « الجمعية الالمانية الفلسطينية » التي عنيت بنشر البحوث المطبوعة ذات العلاقة بمختلف شؤون فلسطين .

وقد عرفت بعض الأوساط في فلسطين المجالس العائلية التي تشبه الجمعيات الأدبية وغير الأدبية في بعض ما تؤثره في المجتمع . ومن أمثلة هذه المجالس ، المجلس الذي كان ينظم في دار عثمان بن سليمان النشاشيبي ، والد الأديب الفلسطيني المشهور محمد اسعاف النشاشيبي . وكان يتكلم في ذلك المجلس محمد جاد الله ، ويعقوب العسلي ، وموسى عقل وآخرون .

ويقع الجزء الثالث من الموسوعة في ٦٩٠ صفحة . وتناولت المواد التي تبدأ بالأحرف الممتدة من (ص - ك) وجاء كالجزء السابق بدون مقدمة . وقد احتوى هذا الجزء على بحث موسع عن الصحافة العربية في فلسطين . فقد نشأت الصحافة العربية في فلسطين وتطورت عبر اربع مراحل تاريخية تبدأ الأولى بصدور الصحف باللغة العربية في القدس في العهد العثماني سنة ١٨٧٦م ، وتنتهي بتوقفها في مطلع الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ . وتبدأ المرحلة الثانية بعودة الصحف الى الصدور في ظل الانتداب البريطاني ١٩١٩ وتمتد لنهاية ١٩٤٨ . والثالثة مرحلة ما بعد النكبة وقيام الكيان الصهيوني وضم الضفة الغربية الى المملكة الأردنية الهاشمية ١٩٥٠ . وتأتي المرحلة الرابعة بعد حرب ١٩٦٧ ، والاحتلال الصهيوني لبقية الأراضي الفلسطينية وأجزاء من الأراضي العربية . وفي نهاية البحث تم ترتيب جدول بأسماء أكثر من مائتي مجلة وصحيفة ونشرة كانت تصدر في فلسطين من عام (١٨٧٦ ولغاية ١٩٦٨) .

واحتوى هذا الجزء أيضا بحثا عن الصحافة

الإسرائيلية التي كانت تصدر في فلسطين قبل قيام « إسرائيل » بثلاثين عاما .. وقد كانت الصحافة اليهودية في فلسطين احدى الأدوات الرئيسية لخدمة أهداف الحركة الصهيونية ، في بلورة الوجود الاستيطاني الصهيوني في فلسطين ، وتوجيهه وإرشاده والتعبير عن طموحاته وتطلعاته وتهيئة نفسيا ، وتوجيهه الى مجتمع ذي خصائص عامة ولغة موحدة .

وقفة مع الموسوعة

ان أي عمل مهما كان صغيرا ، لا بد وأن تشوبه بعض الأخطاء ... فقد وقعت في الموسوعة اخطاء كثيرة ، كان من الممكن تلافيها بسهولة . فقد جاء في التعريف بالقائد عبد الرحيم الحاج محمد في الجزء الثالث من الموسوعة ص (١٦١ - ١٦٢) « هو واحد من قادة ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ ، والقائد العام لها تزيد على السنة ، كنيته « أبو كمال » ولد في قنابة في قضاء الخليل » والصحيح ان قرية قنابة مسقط رأس القائد عبد الرحيم الحاج محمد تقع في قضاء طولكرم وهي الآن ضاحية من ضواحي طولكرم ، حيث يطلق عليها ضاحية ذنابة . وجاء أيضا في الموسوعة :
« تابع عبد الرحيم الحاج محمد جهاده في ظل القيادة الجديدة التي ترأسها فوزي القاوقجي ، وانتصر في هذه الفترة أيضا في جميع المعارك التي خاضها ، ومن أهمها : معركة نابلس ٢٤/٩/١٩٣٦ ، ومعركة بلعا ٢٥/٩/١٩٣٦ ، ومعارك جبع وبيت شريف .
والصحيح أن معركة نابلس التي استهدفت الهجوم على معسكر نابلس وقعت ليلة ٢٨/٩/١٩٣٦ ، ومعركة بلعا الثانية وقعت بتاريخ ٣/٩/١٩٣٦ وكانت أول معركة خاضها القائد فوزي القاوقجي مع القادة الفلسطينيين عند وصوله الى فلسطين .
وجاء أيضا في الموسوعة عن عبد الرحيم الحاج محمد « خلال هذه الفترة عاش الثوار بقيادة عبد الرحيم معارك ضارية ، وألحقوا بالقوات البريطانية خسائر كبيرة ، ومنها معركة بيت امرين التي جرح فيها القائد عبد الرحيم ، ومعركة دير غسانة (٢٠/٩/١٩٣٨) التي وقعت حينما كان قادة الثورة يعقدون مؤتمرا للتدارس في أوضاع الثورة . وقد استشهد فيها القائد محمد الصالح « أبو خالد » . والصحيح أن القائد عبد الرحيم الحاج محمد جرح في معركة التنك الشرقية على الركبتين نصبته له القوات البريطانية . وأن معركة « دير غسانة » وقعت يوم الخميس الموافق ٢٠ رجب سنة ١٣٥٧هـ الموافق ١٥/٩/١٩٣٨م . بالقرب من قرية بيت ريما ودير غسانة وقد عرضت الموسوعة الى ثورة فلسطين في الجزء الأول من الموسوعة كما وقع في سابقا ، وخصوصا حول تاريخ المعارك التي خاضها فوزي القاوقجي في فلسطين بالتعاون مع « الثوار الفلسطينيين » .

وجاء في الجزء الثاني من الموسوعة ص ٢٣٩ تحت مادة دير ياسين (مذبحة ١٩٤٨) ما يلي : -
في ٧/٤/١٩٤٨ استشهد الشهيد عبد القادر الحسيني ... وفي الجزء الثالث ص١٦٩ نقرأ حول مادة عبد القادر الحسيني .

انه استشهد بتاريخ ٨/٤/١٩٤٨ ، وهو التاريخ الصحيح الذي استشهد فيه عبد القادر الحسيني حيث ورد النص التالي : ... ووصل عبد القادر الحسيني الى القدس صباح ٧/٤/١٩٤٨ ، فنظم هجوما مضادا على القسطل ، استطاعت قواته ان تسترد الموقع في اليوم التالي ٨/٤/١٩٤٨ ، ولكن هذا القائد استشهد في اثناء القتال .

وجاء في الجزء الثاني صفحة ٢٣٤ - مادة دير ياسين - حول الوضع العسكري بعد مذبحة « دير ياسين » :

أما من الناحية العسكرية فقد جلبت النتائج لصالح (اسرائيل) ... بحسب تقييم مناحيم بيغن « قائد المنظمة الارهابية الارغون تسفاي لئومي » المنظمة القومية شتيرن » ورئيس وزراء « إسرائيل » السابق :

لقد حاولت دعاية العدو أن تلطخ أسماءنا ، ولكنها النتيجة ساعدتنا .. فقد فتح المصير على عرب أرض اسرائيل فلاحظ هنا أن جملة « عرب أرض اسرائيل » جاءت في سياق النص وكأنها شيء طبيعي ، فقد كان المفروض في المحرر أن يضع علامتي تعجب واستفهام على هذا الكلام الذي لا أساس له من الصحة .

وجاء في مادة عز الدين القسام في الجزء الثالث من الموسوعة ص ٢٣٠ : انه استشهد بتاريخ ١٩/١١/١٩٣٥ ، في قرية الشيخ زايد ...

والصحيح انه استشهد بتاريخ ٢٠/١١/١٩٣٥ ، في قرية الشيخ زيد قرب احراش يعبد لقضاء جنين .

وجاء في مادة « القدس ، مدينة » في الجزء الثالث ص٥٠٩ : « صبرت النواة الأولى للمدينة بمرور الزمن وحلت هناك نواة رئيسية تقوم على تلال أخرى غير التلال المسور (الطور) مثل مرتفع بيت الزيتون (بزيتا) في الشمال الشرقي للمدينة بين باب الساهرة وباب حطة ، ومرتفع ساحة الحرم (موريا) في الشرق ، ومرتفع صهيون في الجنوب الغربي ، وهي المرتفعات التي تقع داخل السور ، فيما يعرف اليوم بالقدس القديمة . والصحيح ان جبل صهيون وجبل الطور والتلال خارج أسوار مدينة القدس القديمة فاذا نظرنا الى الخارطة المنشورة في الكتاب نرى صحة ذلك ... وجاء في كتاب « بلادنا فلسطين » للأستاذ مصطفى مراد الدباغ بيت المقدس (١) هامش صفحة (١٤) : « وطور زيتا » يقصد جبل الزيتون ، مشرف على المسجد - يقصد الحرم - وفيما بينهما وادي جهنم ومنه رفع عيسى عليه السلام .

وفي ص ٢٣٤ جاء : جبل الزيتون - الطور زيتا ..

وجاء في المصدر السابق بيت المقدس (٢) ص ٨٩ : .... وجبل صهيون الواقع عليه مقام النبي داود .

معلومات قديمة

وبعد . فالذي قرأ أسماء الباحثين التي وردت في مقدمة الجزء الأول من الموسوعة استبشر خيرا بتلك النخبة الطيبة من العلماء والأدباء والمؤرخين .. ولكن شاب تأليف وتحرير الموسوعة بعض القصور ، والدليل على ذلك اعتمادهم على المصادر والمراجع المعنية بالبحث ونقلها حرفيا في معظم الأحيان ، بما فيها من معلومات غير دقيقة . فمثل هذا العمل الموسوعي الضخم يحتاج الى دراسات ميدانية ، من أجل جمع المزيد من المعلومات وخصوصا حول القرى والمدن والشخصيات الفلسطينية ، وصياغة تلك المعلومات ضمن المادة المراد الكتابة عنها .

فالاعتماد على كتاب « بلادنا فلسطين » للأستاذ مصطفى مراد الدباغ غير كاف من أجل الاحاطة بأخبار القرى والمدن الفلسطينية ، وخصوصا وأن الطبعات المعتمد عليها صدرت معظمها قبل سنة ١٩٧٦ - بل قبل ذلك بسنوات .. وغالبا فمعظمها قديمة بحاجة الى اضافات جديدة عليها ، من أجل أن يأخذ الموضوع حقه في البحث والتنقيب .. ونحن نسجل هذه الملاحظة ليس تقليلا من أهمية كتب الأستاذ الدباغ التي تعتبر مرجعا لا غنى عنه لأي دارس أو باحث ، ولكننا كنا نأمل لو تم اثراء المواضيع المطروحة بمعلومات جديدة ، وخصوصا اذا علمنا أن هناك عشرات الجمعيات والروابط التي تحمل أسماء المدن والقرى والعائلات ، ومعظمها يوجد لديها نشرات محلية جيدة عن مدنهم وقراهم ، ومع هذا تظل الموسوعة من المراجع المهمة التي لا غنى عنها لأي بيت أو مدرسة أو جامعة أو مؤسسة ، فهي تاريخ حافل وثري عن فلسطين العزيزة أضيف الى تاريخ الأجداد في الطبعات القديمة . □

■ الرغبة لأخبار الناس تضطرنا أحيانا الى أن نخترع فيهم من الخير ، ما يستحقون به أشد التعليق ! (طه حسين)

■ الشعوب التي تقصر في واجباتها .. تستريح الى من يضيع حقها في سوق المشرق ، ولا يذكرها بالتبعات (أحمد لطفي السيد)

■ السلطة مفسدة ، والسلطة المطلقة مفسدة مطلقة (لورد اكتون)

مختارات

اسم الكتاب : الوجه الآخر .
اسم المؤلف : فؤاد التكرلي .
الناشر : وزارة الثقافة والاعلام - بغداد .
عدد الصفحات : ٢١٢ من القطع الكبير .

هذه الطبعة هي الثالثة لمجموعة فؤاد التكرلي القصيرة ، التي صدرت لأول مرة في بغداد في بداية الستينات ، لكنها ضمت مجموعة أخرى من القصص في طبعتيها الثانية والثالثة .

ومؤلف المجموعة واحد من أبرز كتاب القصة القصيرة العراقية . تضم قصصا تتراوح في حجمها بين صفحات لا تتجاوز الست ، وأخرى يمكن اعتبارها رواية قصيرة مثل القصة التي أعطت المجموعة اسمها .

كما تغطي هذه القصص فترة تمتد من عام ١٩٥٠ الى ١٩٧٢ ، وهي فترة غنية في الانجازات الفنية والأدبية وكذلك في الانجازات السياسية والاجتماعية . ومن هنا تأتي أهمية هذه المجموعة لواحد من أكبر القاصين العراقيين موهبة ، وإن يكن أقلهم حظا للنشر .

اسم الكتاب : التنمية ، أم تبعية اقتصادية وثقافية .
اسم المؤلف : د . جلال أمين .
الناشر : مطبوعات القاهرة .
عدد الصفحات : ١٨٩ من القطع المتوسط .

بالرغم من أن د . جلال أمين ، أستاذ للاقتصاد ، فإنه لا يتعامل مع القضايا الاقتصادية بمنهج أكاديمي بحت ، وهذا ما أعطى الكتاب نبرة شمولية ، ووسع من دائرة القراء الذين يخاطبهم المؤلف . فهو يناقش مشكلات التخلف والتنمية من منظور شامل ، يربط هذه المشكلات بقضايا التبعية الاقتصادية والثقافية .

وخلال ذلك كله يعيد صاحب كتاب « محنة الثقافة والاقتصاد في مصر » النظر في المقولات السائدة بين الاقتصاديين والمثقفين والمهتمين بهذه القضايا المصيرية .

اسم الكتاب : قصص مختارة .
اسم المؤلف : جنكيز ايتماتوف .
الناشر : دار رادوغا - موسكو .
عدد الصفحات : ٢٩٣ من القطع الصغير .

ترجمة جديدة قدمتها دار رادوغا لثلاث من أشهر قصص الكاتب القرغيزي السوفييتي جنكيز ايتماتوف هي « المعلم الأول » و « شجيرتي في منديل أحمر » و « جميلة » التي وصفت بأنها أجمل قصة حب حديثة .

وإن كانت أهمية هذه القصص بالنسبة للقراء السوفييت تأتي من كون كاتبها يمثل جيلا جديدا من المبدعين السوفييت ، الذين ظهروا بعد الحرب العالمية الثانية ، فإنها تأتي بالنسبة لنا أعمالا مهمة ، تدور في أجواء شرقية ، لم يفقدها النظام الاشتراكي بساطتها وعفويتها وأصالتها .

اسم الكتاب : عيد على الطلال .
اسم المؤلف : سعيد الشيخ .
الناشر : دار الصمود العربي - نيقوسيا - قبرص .
عدد الصفحات : ٨٢ من القطع المتوسط .

تضم هذه المجموعة القصصية - وهي الأولى للقاص الشاب سعيد الشيخ - عشر قصص قصيرة ترسم في مجموعها صور المعاناة والعذاب ، الى جانب صور الكفاح والثورة والموت والشهادة في المخيم الفلسطيني ، الذي أعادت الثورة تكوينه من جديد .

وبالاضافة الى رسم هذه القصص الاستمرارية حياة المخيم في ظل ظروف جديدة ، فانها اعلان عن ظهور جيل جديد من الادباء الفلسطينيين الشباب ، ممن خرجوا من رحم المأساة .

اسم الكتاب : سورية والانتداب الفرنسي .
اسم المؤلف : يوسف الحكيم .
الناشر : دار النهار للنشر - بيروت .
عدد الصفحات : ٣٤٤ من القطع الكبير .

« هذا الكتاب هو الجزء الرابع من « ذكريات » يوسف الحكيم السياسي السوري المخضرم ، الذي استعرض خلال كتبه الثلاثة الأولى تاريخ سوريا في العهد العثماني ، والعهد الفيصلي ، وفي هذا الكتاب الرابع والأخير يروي بدقة وتفصيل كبيرين تاريخ سوريا في عهد الانتداب الفرنسي ، الذي استمر بين عامي ١٩٢٠ و١٩٤٦ .

وفي الكتاب مزج بين التاريخ لما هو تفاصيل لأحداث يومية ، عاشتها سوريا خلال عهد الانتداب ، والسيرة الذاتية لكون المؤلف أحد الشخصيات السياسية التي شاركت في صنع أحداث تلك الفترة .

اسم الكتاب : مشكلات علم الجمال الحديث ، قضايا وآفاق .
اسم المؤلف : مجموعة من علماء الجمال السوفييت .
المترجم : فريق من دار الثقافة الجديدة .
الناشر : دار الثقافة الجديدة - القاهرة .
عدد الصفحات : ٢٤٢ من القطع الكبير .

يضم هذا الكتاب ثلاثة عشر بحثا في قضايا علم الجمال المختلفة ، بأقلام مجموعة من الكتاب الاكاديميين السوفييت في هذا الفرع المهم من فروع الفلسفة .

وتتراوح مواضيع هذه الابحاث بين قضايا أقرب الى التجريد الفلسفي ، مثل « الصورة الفنية » وقضايا ذات طبيعة سجالية مثل « الواقعية والرومانسية » الى جانب موضوعات لا تزال موضع نقاش في أدبنا العربي مثل « الفن الأصيل والبطل في الفن » .

ورغم المستوى الأكاديمي الذي صيغت به الأبحاث ، الا أن الكتاب موجه أساسا الى « القارئ المعني بالاهتمامات العامة بالمشاكل الفنية في عصرنا الحالي » .

اسم الكتاب : الأرض الحرام .
اسم المؤلف : محمود شاهين .
الناشر : وزارة الثقافة والارشاد القومي - دمشق .
عدد الصفحات : ١٩٦ من القطع الكبير .

« الأرض الحرام » عند الروائي محمود شاهين هي الأرض الفلسطينية المحرمة على أهلها ، في واحدة من آثار الاغتصاب الصهيوني لها ، قبل حرب الأيام الستة بقليل .

في هذه الرواية يواصل محمود شاهين ما بدأه منذ مجموعته القصصية « نار البراءة » من رسمه لصورة شريحة مهمولة من شرائح المجتمع الفلسطيني ، ويعني بها تلك المجتمعات الرعوية التي لا تزال أسيرة نمط معيشتها التقليدي القديم ، تكافح من أجل البقاء في ظل من القسوة .

جمال العربية

صفحة لغة

بقلم : محمد خليفة التونسي

الوادي والأودية والوديان

للشاعر النيل محمد حافظ ابراهيم قصيدةٌ رثائية نظمها قبل سبعين سنة ، يقول فيها :

ستذرف أيامي فاستعبرت جفونه
ولياتي بمناظير في سهول ووديان

والمتعصبون للفصحى يتعلقون بما يأخذون عليه في هذا البيت كلمة « وديان » ويرون أن القافية وحدها هي التي ألجأته إليها . وأن كلمة « الوادي » لا تجمع على وديان ، وهم في ذلك يعتمدون على أنهم لم يجدوها في معجم ولا نص مأثور .

ونحن نرى أن كلمة كهذه يجب ألا نحكم عليها ما دامت سائغة ولها جذر في الفصحى ، ولها سند من نظير فصيح نقيسها عليه ، وإن لم ترد في معجم أو نص مأثور .

ولا شك في فصاحة كلمة « الوادي » وجذرها « ودى » ودلالته على السيولة ، ومن معنى « الوادي » أنه المسيل ، أو مكانه وهو المنخفض أو المتسع الذي يمتد بين اثنين أو أكثر من الجبال أو التلال ، فيسيل فيه الماء ، ومن معانيه المكان أو الجهة بصفة ، كما في آية الشعراء « ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون » . أي في كل جهة أو اتجاه . وقد يقال « الواد » بحذف الياء اكتفاء بالكسرة ، شأنه شأن كل منقوص ، وهكذا ورد « الواد » في المصحف مرات .

وقد ذكر له في القاموس المحيط : أربعة جموع : أوداء ، وأودية ، وأوداه ، وأوداية .

أوداء مثل صاحب وأصحاب ، وأودية مثل ناد وأندية ، وأوداه بالقلب وقد ورد الجمعان الأخيران في قول الفرزدق :

فلولا أنت قد قطعت ركابي
من الأوداه أودية قفارا

وقد ورد الجمع « أودية » وحده في القرآن مرتين : « أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها » ولم تذكر بقية الجموع .

وربما يستوقف النظر أن الجوهري في معجمه

« المصنوع » بالواو : « الجمع قياسه على غير قياس ، لأنه جمع فعيل ، مثل : شريف وأشرفة للشعير ، ومعها يمكن من عدم قياسية هذا الجمع ، فقد ذكر في القرآن الكريم ، ولذلك فالعرب يشبهون وزناً بوزن فيجمعونه كجمعه .

ويمكن على الجمع « وديان » صواب .

والجواب « نعم » وننظر إلى السند المعجمي ، فقد ذكر الزبيدي في مادة « ودي » من تاج العروس ، فقال « وقد يجمع الوادي أيضا على وُديان بالضم » .

ثم ننظر إلى السند القياسي ، فقد ذكر سيبويه في « باب تكسير ما عدة حروفه أربعة أحرف للجمع » أن ما كان من الأسماء على وزن فاعِل أو فاعَل فإنه يجمع تكسيرا على فواعل ، مثل : كاهل وكواهل [١] ، وطابق وطوابق ، وحاجز وحواجز ، وحائط ، وحوائط ، وقد يجمع تكسيرا على فُعلان ، مثل حاجر وحُجران ، وحائل وحُلان ، وحاجر وحُجران ، وطابق وطُبقان وحال وحِلان ، وجمعه بعضهم على فِعلان ، مثل : حائط وحيطان ، وحائط وحيطان ، وحائط وحيطان . وأما الصفة التي تجري مجرى الأسماء فقد تجيء كالأسماء على فُعلان ، مثل : راكب وركبان ، وصاحب وصُحبان ، وفارس وفُرسان ، وراع ورُعيان .

ونستطيع أن نضيف إلى الأمثلة التي ذكرناها هنا من سيبويه ما يأتي : راعب ورُعبان وراصد ورُصدان أو أصدان [٢] ، وشاطئ وشُطآن ، وباطن وبُطنان ، وواقع ووُقعان ، وحسبنا هذه الأمثلة الكثيرة التي لا نستغرب فيها جمع « واد » على وديان .

ثم نتساءل من خطئنا من تصرفنا في البلاد العربية من جمع واد ، فإن أول ما يخطر على المتكلم هو الجمع « وديان » وقد يذكرون « أودية » . والكثيرة هنا فيمعها الكثيرة يستأنس بها ، ولكن يلاحظ أننا في العامية نقولها « وديان » بكسر الواو ، لا بضمها كما جاء في لسان العرب ، ومنشأ الخلاف في هذا بين الكسرة والضمة صوتيا أقرب من قريب . ثم إن كثيرا من الكلمات على هذه الصيغة تأتي بالجمع أو بكسر ، مثل حُوّان وحِيران ، وحُوران وحِيران ونحن نعلم أن العرب يجوزون في قرائن الكلمات الجمع بين الكلمات التي سبق الزمن فيها واو ، وبه قول مسلم بن الوليد :

سن لام في هواجرها
منصرفة مسرفة
يا مسعر واصطلي
فاشتي مصيد

ولا يشترطون التزام الواو ، ولا التزام الياء ☐

---

(١) الكاهل : ما يطيب به الطعام
الحاجر : الأرض المرتفعة ووسطها منخفض ، ومسك الماء .
الحائر : تجمع الماء . الحيط والحائط : المكان المنخفض الواسع
الطابق : الآجر الكبير . الحال : واد واسع ينبت الشجر
الحائل : الشق في الجبل ، أو مكان منخفض بين مرتفعين . الباطن : البطن أو تكسي ، الغلي
(٢) وصدان ، كما في قول لبيد بن ربيعة (من قصيدته المعلقة)
فوم تحا القمر أبناء تاجيه قطع
طاروا إليه زرافات ووحدانا
في جماعات وأشتات
ويقال « أصدان » ، قول للغلاة من أسلفنا مقوليها ، غصب الأول ،
إن المجسوم حفظة جوارحها
إلا القطوب فسبقت وهي أصدان

جماليات العربية

صفحة شعر

هكذا غنى الآباء

ابن الرومي يرثي ولده الأوسط

هذه القصيدة لشاعرنا العباسي الكبير ابن الرومي (ت ٢٨٣ هـ) في رثاء ولده الأوسط ، ويندر نظيرها في الشعر العربي بل الشعر العالمي ، وهي تدل على أعمق الفجيعة في نفس أب فقد ابنه الصغير وهو يصف فيها خيبة آماله التي كان يتوسمها في ابنه ، والآلام التي عاناها في مرضه ، ويبين أن الأولاد لا يسد بعضهم مكان بعض في قلب الأبوين . وابن الرومي صاحب أطول ديوان في الشعر العربي ، وله عشرات القصائد الطوال بعضها يزيد على مائة بيت ، وهو يسترسل في خواطره إلى نهايتها البعيدة .

بكاؤكما يشفي ، وإن كان لا يُجدي ... فجودا ، فقد أودى نظيركما عندي(١)

ألا قاتل الله المنايا ورميها ... من القوم حبات القلوب على عمد

توخّى حِمامُ الموت أوسط صبيتي ... فلله كيف اختار واسطةَ العقد (٢)

على حين شمتُ الخير من لمحاته ... وآنستُ من أفعاله آيةَ الرشد

طواه الردى عني ، فأضحى مزارُه ... بعيدا على قرب ، قريبا على بعد

لقد أنجزت فيه المنايا وعيدها ... وأخلفت الآمالُ ما كان من وعد

لقد قلَّ بين المهد واللحد لُبثُه ... فلم ينسَ عهدَ المهد ، إذ ضُمَّ في اللحد

ألحّ عليه النزفُ حتى أحاله ... إلى صُفرة الجاديّ عن حُمرة الورد (٣)

وظلّ على الأيدي تَساقطُ نفسه ... ويذوي كما يذوي القضيبُ من الرَّند (٤)

فيا لكِ من نفسٍ تَساقطُ أنفساً ... تَساقطَ دُرٍّ من نظامٍ بلا عِقد (٥)

عجبتُ لقلبي كيف لم ينفطرْ له ... ولو أنه أقسى من الحجر الصَّلد

وما سرّني أن بعتُهُ بثوابه ... ولو أنه التخليدُ في جنة الخلد

ولا بعتُه طوعاً ولكن غُصِبتُه ... وليس على ظلم الحوادث من مُعْدي

وإني وإن مُتِّعتُ بابنيَّ بعده ... لذاكرُه ما حنّتِ النِّيبُ في نجد (٦)

وأولادنا مثلُ الجوارحِ أيُّها ... فقدناه كان الفاجعَ البيِّنَ الفقدِ

لكلٍّ مكانٌ لا يسدّ اختلالَه ... مكانُ أخيه من جَزوعٍ ولا جَلْد

هل العينُ بعد السمع تكفي مكانه ... أم السمعُ بعد العين يَهدي كما تَهدي

لعمري ، لقد حالت بيَ الحالُ بعده ... فياليت شعري كيف حالت به بعدي ؟

ثكلتُ سروري كلَّه إذ ثكلتُه ... وأصبحتُ في لذات عيشي أخا زهد (٧)

أريحانةَ العينين والأنفِ والحشا ... ألا ليت شعري هل تغيّرتَ عن عهدي ؟

سأسقيك ماءَ العين ما أسعدتْ به ... وإن كانت السُّقيا من الدمع لا تُجدي

أعينيَّ جُودا لي ، فقد جُدتُ للثرى ... بأنفسَ مما تُسألان من الرِّفْد (٨)

كأنّي ما استمتعتُ منك بضمّةٍ ... ولا شمّةٍ في ملعبٍ لك ، أو مهد

أُلامُ لما أُبدي عليك من الأسى ... وإني لأخفي منك أضعافَ ما أُبدي

محمدُ ما شيءٌ تُوُهِّمَ سلوةً ... لقلبيَ ، إلا زاد قلبي من الوجد

أرى أخويك الباقيَيْن كليهما ... يكونان للأحزان أوْرى من الزَّند

إذا لعبا في ملعبٍ لك لذّعا ... فؤادي بمثل النار عن غير ما قصد

فما فيهما لي سلوةٌ ، بل حزازةٌ ... يَهيجانها دوني ، وأشقى بها وحدي (٩)

وأنت وإن أُفردتَ في دار وحشةٍ ... فإني بدار الأنس في وحشة الفرد

عليك سلامُ الله مني تحيةً ... ومن كل غيثٍ صادقِ البرق والرعد.

---

(١) [illegible] ، ويطول [illegible] . لا يجدي : لا ينفع . أودى : مات

(٢) المنايا : جمع منية وهي الموت ، وحمام الموت : قضاؤه .

(٣) كناية في [illegible] (تحت تصغير)

(٤) القضيب : الفرع . الرَّند : شجرة طيبة الرائحة

(٥) النظام : الخيط ينتظم حبات العقد .

(٦) النيب : الناقة المسنة ، والجمع : نيب

(٧) [illegible] : [illegible]

(٨) أسعدت : ساعدت . الرفد : العطاء

(٩) الزند : الزناد ، القدح به النار . الحزازة : كل ما حز في القلب

مسابقة العربي

جوائز المسابقة
الجائزة الأولى ٥٠ دينارا
الثانية ٣٠ دينارا و الثالثة ٢٠ دينارا
٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الأسئلة

١ - أيهما أكبر مساحة : أمريكا الجنوبية أم أمريكا الشمالية ؟

٢ - أيهما أكثر تعرضا للإصابة بمرض البروستاتا : الرجل أم المرأة ؟

٣ - الأسفلت من مشتقات البترول .. إنه الرواسب النهائية بعد تقطير زيت البترول وتصفيته .. ولكنه يوجد على الطبيعة أيضا .. وقد اشتهرت بعض البلدان ببحيرات واسعة من الأسفلت .. ترى أي البلدان تلك .. ؟
* ترينداد
* ليبيا
* قبرص

٤ - ما هو الصناعة التي ألفها السلف الصالح في عصر الدولة الإسلامية والتي سماها الأوروبيون (تريك) ، ترى ما هي الصناعة التي كتبت فيها تلك الكتب ؟

٥ - البترول هو السلعة الأولى في الأسواق العالمية بلا منازع .. فما هي السلعة الثانية في تلك الأسواق ؟.
* القمح الحبيبي
* القمح
* البن

٦ - القمح والأرز والذرة .. كل منها يحقق الغذاء الرئيسي بالنسبة لمجموعة كبيرة من سكان العالم .. ترى أي المجموعات الثلاث هي الأكثر عددا .. ؟

٧ - أي الكواكب التالية يوصف بالكوكب الأحمر .. ولماذا ؟
* المريخ .. فهو يبدو أحمر أو مشعا باللون الأحمر لكل من يشاهده بالتلسكوب .
* الزهرة .. لحرارته المرتفعة كذلك بظهوره عبر الغلاف .
* عطارد .. أقرب الكواكب من الشمس وبالتالي أشدها حرارة واحمرارا .

٨ - ليوناردو دافنشي ، الفنان الإيطالي الشهير .. أم سمعه بالفعل ؟

٩ - أي الشعوب الإسلامية ظهر تطور بعض

الثقافية

الشروط :

الإجابة عن عشرة أسئلة من الأسئلة المنشورة ، ترسل الإجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ - الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣٢٤ ، وآخر موعد لوصول الإجابات إلينا هو يناير ١٩٨٥ .

حوصلة أو انظم . . ويعرض وجهه على تشكيلة وجرهم بلطم أجنحة أو ازرق . . .

١٠ - أفلوطين فيلسوف يوناني معروف . . عاش في القرن الثالث بعد الميلاد . . وهو مؤسس مذهب الأفلاطونية الجديدة ذلك المذهب الذي كان له أعمق الأثر في تفكير الفلاسفة المسلمين . . ترى أين ولد أفلوطين ؟

* أثينا
* الإسكندرية
* أسيوط

١١ - تولستوي ، دوستويفسكي ، تشيكوف ، بافلوف

أسماء لامعة في تاريخ الفكر الروسي . . ثلاثة منها متجانسة وواحد نشاز . . أيها هذا النشاز ؟ . . ولم هو نشاز . .

١٢ - درج السلف الصالح على نظم الأراجيز أو الألفيات (١٠٠٠ بيت من الشعر أو أكثر) في علوم وفنون شتى . . . . والمطلوب أن تسمي ثلاث ألفيات . . إحداها في الطب والثانية في النحو والثالثة في الألغاز الحسابية . . .

العدد ٣٢٤ نوفمبر ١٩٨٥

اكتب الحلول في هذا "الكوبون" أو على ورقة منفصلة ترفقها معه

الإجابة على الأسئلة :

١ - . . . .

٢ - . . . .

٣ - . . . .

٤ - . . . .

٥ - . . . .

٦ - . . . .

٧ - . . . .

٨ - . . . .

٩ - . . . .

١٠ - . . . .

١١ - . . . .

١٢ - . . . .

الاسم : . . . .

العنوان : . . . .

مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي

١ - العالم والمفكر مؤسس علم النفس التحليلي سيجموند فرويد (١٨٥٦ - ١٩٣٩) وقد أسره النازيون سنة ١٩٣٨ بالنمسا .. في فيينا لدى احتلالها قبيل الحرب العالمية الثانية . .

٢ - الممر الشمالي الغربي هو الذي يسير بمحاذاة شواطئ كندا الشمالية والممر الشمالي الشرقي هو الذي يسير بمحاذاة شواطئ سيبيريا الشمالية ، ولعل من السهل استنتاج خط السير هنا من التسمية نفسها . . .

٣ - الكاثيون والأنيون صنوان .. لهما شحنة واحدة .. ورمزهما الكيميائي واحد .. ويعني هذا أن الذرة المتجهة إلى كل من القطبين وظيفتها هي كاثيون وأنيون في آن معا .

٤ - اللوكيميا أو سرطان الدم هو المرض الخبيث الذي يصيب كريات الدم البيضاء .. فالجزء الأول من الاسم ، (أي ليوكي ليوكو) إنما يعني اللون الأبيض بالمقارنة مع اللون الرمادي .

٥ - علم الخيل هو علم الهيبولوجيا .

٦ - الأسماء الأربعة الأولى أسماء لمدن .. ليس بينها مشابهة . أما الاسم الخامس (زلوتي) فهو الاسم الذي تطلقه بولونيا على وحدة عملتها ، وهو إذن الاسم الشاذ . . .

٧ - كمية الماء التي تحتاجها زراعة طن واحد من الأرز المقشور تبلغ (٤٠٠٠) طن ، وكمية الماء الأخرى التي تحتاجها زراعة طن واحد من القطن المحلوج هي

(١٠,٠٠٠) طن .. وذلك علاوة لما قد يتصور لنا .

٨ ـ تؤخر ساعتك أو تقدمها ستين دقيقة لدى تخطيك ١٥ درجة من خطوط الطول الواقعة إلى شرق خط جرينتش أو إلى غربه على التوالي .

٩ ـ مساحة استراليا ٢,٩٦٧,٩٠٩ ميل مربع .. مساحة القارة القطبية الجنوبية = ٥,٥ ملايين ميل مربع .

١٠ ـ تتوقف البوصلة المغناطيسية عن العمل في القطب المغناطيسي ..

١١ ـ هوميروس هو الشاذ .. فهو شاعر وكاتب ملاحم .. ملحمة الإلياذة والأوديسا بالتحديد .. بينما الثلاثة الآخرون هم من كتاب المسرحيات اليونان .

١٢ ـ الاستقراء هو التفكير الذي يستخلص الكليات من الجزئيات ، وهو عماد العلم الحديث كما هو معروف .. والاستنباط هو الذي يستخلص الجزئيات من الكليات وهو ، بالتالي ، عماد التفكير الفلسفي .

الفائزون في مسابقة العدد ٣٢١ أغسطس ١٩٨٥

الجائزة الأولى : وفاء أمين الشيخ / كفر الزيات / مصر .
الجائزة الثانية : عمرو فاروق الذياب / الشامية / الكويت .
الجائزة الثالثة : عبدالله محمد سليمان / الظهران / السعودية .

١ ـ كمال أبو اليزيد شبارة / مدرسة [illegible] / كفر الزيات / مصر
٢ ـ Mr. C. Kunhimohamed Madani, Islamic Library Kotakkal 676503 Kerala, India.
٣ ـ بنونة عادل / زنقة أبي عيسى / العرائش / المغرب .
٤ ـ عبدالمجيد أنور علي / الشارقة / دولة الإمارات العربية المتحدة .
٥ ـ مبارك سليمان محمد أحمد / ودمدني / السودان .
٦ ـ طارق شمس / بيروت / لبنان .
٧ ـ حامد المسعودي / [illegible] / صفاقس / الجمهورية التونسية .
ـ ورغة الزنتولي / حي عين [illegible] / الكاف / الجمهورية التونسية .

معركة بلا سلاح

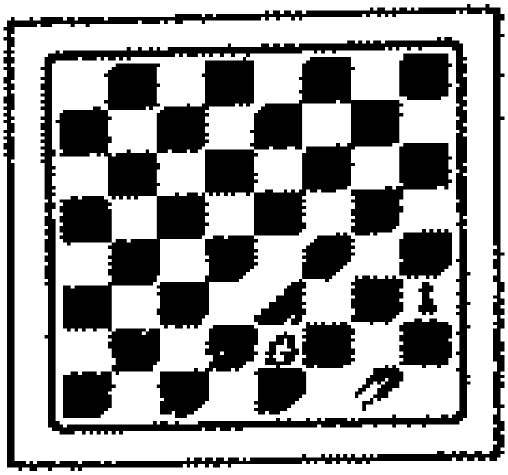
الأولمبياد السادس والعشرون

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]	[illegible]



مسابقة العدد

مسألة رقم (٣٥)

الأبيض يلعب ويكسب بخمس نقلات

حل المسألة (٣٣)

مصالح خليل

ف ٣ ... ب ٥
٣ ... ب ٣
٤ ... ٥

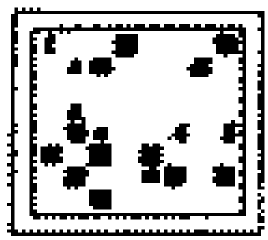
حملة هجومية لصالح سوسيلكو

٣ ... ٥ ... ج ... ٥
٤ ... ج ... ب ٣ ... ب ٥
ب ٨ ... لأنها ... الأبيض ... من
خلفها

٥ ... ب ٥ ... ٥
٦ ج ... ٥ ... ٥
٧ ... ٣ ... من ... في ... ثم ... ٨
الأبيض

٧ ... ج ... ٤
٨ ... ٣ ... ب ... ب ٤
الأبيض لا يستطيع الأخذ لسكل

٩ ... ٤ ... ٤



٢ ... ٤ ... ٥
... ...
٢ ... ٥ ... ب
٣٣ ... ٤
في ٣٣ ... ٨
٤ ...
٥ ... ف ... ذلك ... الأبيض ... مشروطا
في ... الطرف ... مشروع ...

الفائزون بجوائز مسابقة رقم ٣٣ ... ٥٨٩	... ... كاملة ... ... الاسكندرية ج ... ج ... ... ٧ ٥ ... ... ج ... ج	... ... ٤ ... ... ج ... ج ... ...

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

على هذه الصفحات .. نرحب «بالحوار»

حوار القراء..

● مشاعر عربية من الجماهيرية الليبية

[illegible]

● الأخ الكريم الدكتور محمد الرميحي

سلام الله عليك ورحمته وبركاته

وبعد

فلي أن أخاطب فيك شعب الكويت الحبيب كله في هذه الأيام العصيبة التي تمر بالكويت، حيث توالت التفجيرات والحرائق، لتصيب أرضاً عزيزة من أرض هذا الوطن.

أتقول لي حزين؟ وقد عقد الحزن لسانه ساحق نفسي، بعد أن غطى مساحات عمري كله، أتقول لي غاضب، وقد غدا الغضب صراعاً أعمق في بحر لا أغوار لها.

لا تعجب يا أخي فأنا من الشعب الذي يحتفل منذ عشرات السنين في كل مناسبة، ويحتفل البعض منه في أيام الأضحى، وفي أيام العيد نعلن كلاماً، ورغم ذلك فإني أشعر بالحزن والغضب والأسف لما يحدث في الكويت، فالكويت حبيب إلى القلب رغم أني لم أره من قبل، إلا أني عرفته في أصدقاء لي من أبنائه خلال دراستي في الجامعة، وقد شربت بينهم الأصيل، وتنفست عبق الرصيف، فلم أجد غيرك أخاطب الكويت في شخصه.

ترى هل كتب على جيلنا أن يتدرج في الأركان النفسية المظلمة، ونشاهد الفناء يجري في الأوصال جزءاً فجزءاً، يا صديقي أخوف على الجيل القادم الذي سيرث هذه التركة الثقيلة؟! إنها ليست سياسية، ولا من يحتسبون الصمت أو الحوار، ولكني إنسان أبكي حين أفقد، وأبكي حين يفقد غيري، وأبكي حين يفقد أي إنسان ابناً أو أباً أو أخاً أو عماً أو صديقاً.

امتلأ القلب بالحزن، والحلق بالمرارة، والعقل بالضباب، فوجدت أن أخاطب شعباً أشد على يده، أواسيه وأعزيه، وأتمنى له السلامة، فاعترتك لأتوجه إليك بخطابي كواحد من أبناء هذا الشعب الذي أشعر مثله، وأشعر بما يتعرض له. ولكم جميعاً خالص حبي.

مرزق - ليبيا - محمد سليمان

تعليق الحوار حول
ألف ليلة وليلة ..

● جاء في مجلة العربي العدد رقم ٣٢٠ في مقال الأستاذ فاروق خورشيد عن « ألف ليلة وليلة » ما يلي :

« بل إن أحدهم لم يتحرج في أن يحفظ قصصه مثله محرومة للطاعنين من آيات القرآن الكريم ما فيه إشارة إلى أحداث الحياة الزوجية والزنا والأفعال المحرمة . فقوله تعالى : « ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما » وفي على هذه الفقرة ملاحظة عابرة ، ثم لي ملاحظة عامة على مقالها .

أولا : يستنتج الأستاذ فاروق خورشيد أن مسألة عن المصدر الذي من خلاله استحدث على أن خيانة امرأتي نوح ولوط كانت زنا ، وبهذا الصدد أسوق له ما ورد في تفسير القرطبي حول هذه الآية : « ضرب الله هذا المثل تنبيها على أنه لا يغني أحد في الآخرة عن قريب ولا نسيب إذا فرق بينهما الدين » ... إلى أن نقل عن ابن عباس قوله : ما بغت امرأة نبي قط . وهذا إجماع من المفسرين . إنما كانت خيانتهما في الدين حيث كانتا مشركتين ... » .

ثانيا : حول مقارنة الكاتب نقلا عن ابن كثير البستوري بين ما ذكر من الأحداث الشاملة في ألف ليلة وليلة وما ذكر في القرآن ، أشير إلى أن هذا قياس مع الفارق . فالأسلوب والسياق اللذين تناول بهما القرآن الكريم هذه المسائل يخلو من الإثارة ويتسم بالعفاف ، وهذا ما لا وجود له في تناول ألف ليلة وليلة هذه الأمور وشكرا .

الدار البيضاء . المغرب ـ ابراهيم أحوتاب

معاني المصطلحات

● لي مطلبان :

أولا : أن تعرفوني بعنوان الجهة المسؤولة عن السياحة في الكويت لأتمكن من طلب بعض المطبوعات السياحية منها .

ثانيا : أن تنشروا لنا في العربي شرحا للمصطلحات التالية :

حيث إن الكثير من الشباب يقرؤها في المقالات المنشورة في العربي وغيرها ، ولا يعرفون معناها بالتحديد .

- أيديولوجية
- فلسفة عقلية
- فلسفة روحية
- كلاسيكي
- تفكير موضوعي ... الخ

فراس قاسم عطائي
المملكة الأردنية الهاشمية ـ الرمثا

بالنسبة لطلبك الأول فالجهة المسؤولة عن السياحة في الكويت هي وزارة الإعلام ، بشخص السيد وكيل الوزارة . وبالنسبة للسؤال الثاني فيسرنا أن نوضح للقارىء الكريم أن سياسة المجلة في اختيار المصطلحات التي تنشر في باب « قاموس العربي » هي البدء بالمصطلحات الأكثر شيوعا . لم تخل من بينها المصطلح الأكثر شيوعا بسبب الأحداث أو المناسبات . وفي انتظار هذه السياسة نعدك بالتوضيح في ذكرى انعقاد مؤتمر بالتونسي ، وأصدقاء ، وصومالية ، في شهر مايو ، وتقدم في مجلة الشهر عن الفقرة

شخصياً في ضوء الأحداث التي تشهدها الأقطار في جنوب افريقيا ـ وهكذا . ونود أن يطمئن القارىء الكريم الى أن العربي سيأتي لشرح المصطلحات التي يقترحها علينا إن شاء الله .

الفيديو :

أداة تخريب أم تعليم

● لاشك أننا نعيش في عصر التنافس والتكتل بين الأمم ، والسبق الحضاري الذي يتخذ من العلم والتقنية أداة ووسيلة للفوز في هذا السباق ، ونحن ـ العرب ـ لا مكان لنا في هذا السباق مالم نأخذ بمناهج العلم وأساليب التقنية ، وما لم نتخل عن دورنا كمجرد مستهلكين لمنتجات العالم المتقدم ومستخدمين لأدوات الحضارة التي يصنعها ، ولب الموضوع الذي أريد الوصول اليه في هذه الرسالة هو ما لاحظته من الانتشار الخطير لوسيلة تقنية من أخطر الوسائل التي أنتجها هذا العصر وهي جهاز الفيديو ، ومن سوء استخدام هذه الوسيلة في الوقت ذاته ، فهي عندنا بشكل أسف تعمل كأداة تخريب وتدمير ، حيث تنشر الأفلام التجارية الهابطة ، والأشرطة التي تتنافى مع الأخلاق ، وتدمر الشخصية وتقتل الوقت ، وتدفع الشباب الى الضياع ، مع أن الفيديو يمكن أن يستخدم لأحداث ثورة علمية حقيقية ، وثورة تعليمية كذلك ، ويمكن أن يحقق معجزة في كثير من المجالات ، مثل محو الأمية ، وتنمية الوعي الصحي والاجتماعي والاقتصادي وغير ذلك . إننا ندعو جميع الجهات المختصة في جميع الدول العربية الى التنبه لهذا الأمر الخطير ، وعلى جميع وزارات الإعلام والثقافة والتربية في البلاد العربية أن تعمل على حسن استخدام هذا الجهاز الخطير ، وتخصيص أوقات محددة من خلال البث التلفزيوني كل يوم لتقديم البرامج التعليمية المناسبة للمستويات المختلفة بين جماهير الشعب ، والبرامج العلمية المعدة خصيصا للجمهور في مختلف مجالات المعرفة ، كل هذا الى جوار البرامج الترفيهية المختارة والراقية .

إن هذا هو الطريق الوحيد لاختصار الفجوة الحضارية بيننا وبين الشعوب المتقدمة .

إننا نأمل أن تولوا هذه القضية ما تستحقه من اهتمام في مجلة العربي وشكراً .

سلطان عبده سيف الشيباني
الجمهورية العربية السورية / حمص

لا نملك سوى أن نحيي القارىء الكريم على هذه الرسالة ، وأن نؤكد صدق وسلامة ما تحتوي عليه من تحليل ومقترحات بناءة ......

ونود أن نطمئن القارىء الكريم الى أن العديد من الحكومات العربية تتوجه بالفعل الى حسن استخدام التقنيات الحديثة في المجالات التربوية والإعلامية ، وأن العربي حريص في المجال الثقافي على تسليط الضوء على الجوانب التي تتضمنها رسالته ، سواء في أعدادها السابقة أو اللاحقة .

آراء ومقترحات لمجلة « العربي »

● نقترح أن تضيفوا الأبواب التالية الى مجلة العربي ـ باب ثابت تحت عنوان (على طريق الوحدة العربية) تتناولون فيه الخطوات التي تخطوها كل دولة عربية على طريق الوحدة ، والعوائق التي تظهر على هذا الطريق ، وآراء مفكرينا في قضية الوحدة ، والعمل

والوحدة العربية ، وتجارب شعوب العالم الوحدوية .... الخ .

- اضافة تقديم باب « أنت تسأل ونحن نجيب » حتى يتسنى للقراء تقديم أسئلتهم ، فكم من سؤال لدى الشباب العربي لايجد من يجيب عليه .

- اضافة تقديم باب « مسلمات خالدات » وتقديم باب جديد بعنوان « شخصيات من تاريخنا » ، حتى يتسنى لأبناء العروبة والاسلام معرفة أجدادهم الذين قدموا للبشرية - في عصر ازدهار الحضارة العربية والاسلامية - الطريق زادا على طريق التقدم الانساني .

أحمد محمد أحمد يعقوب

اليمن الديمقراطية / كريتر / عدن

أرجو أن تعملوا على تحقيق المقترحات التالية :

- أن تعطونا معلومات عن الأقطار العربية التي انضمت الى جامعة الدول العربية مثل موريتانيا والصومال .

- الاكثار من الموضوعات العلمية ، وخصوصا عن علوم الكون الخارجي .

- نشر مقالات أو دراسات عن تأثير اللغة العربية في اللغات التي جاورتها وتلاقحت معها ، مثل اللغة الفارسية والتركية والهندية وغيرها ..

أسامة حداد عريقات

محافظة البلقاء / السلط / الأردن

ان مجلة العربي بمثابة مائدة معرفية متجددة بلا شك ، ومع ذلك فالاحظ أنه ينقصها أن تهتم بناحية الابتكار وتنمية المواهب ، ومن هنا فانني أتقدم ببعض المقترحات لاستكمال هذا الجانب في المجلة ..

- ماذا لو خصصت المجلة كل شهر موضوعا لتوضيح فكرة جهاز أو آلة ما يستخدم في حياتنا اليومية ، وتوضيح كيفية تركيب وتشغيل وصيانة تلك الآلة أو الجهاز .

- تخصيص جائزة سنوية لكل مبتكر أو لكل مجموعة من المبتكرين بنشر اختراعاتهم ، والاستفادة من ابتكاراتهم على مستوى الوطن العربي .

أرجو أن تلقى هذه الفكرة اهتمامكم وشكرا .

عصام أحمد عبدالرحمن عصر

جامعة القاهرة / كلية التجارة

الإخوة ...

سعدنا كثيرا بمثل هذه الرسائل التي تتضمن مقترحات من القراء الأفاضل ، لتطوير الخدمة الثقافية التي تسعى مجلة العربي دائما لتقديمها للقراء . وسوف يمكن هذا التطوير عن طريق اضافة ابواب جديدة - أو تعديل أبواب قديمة ، أو ادخال بعض التعديلات الشكلية المفيدة .

فكل هذه المقترحات تعني أن قارىء العربي يشعر حقا بأنها مجلته ، وبأنه يشترك فيها مشاركة فعالة ، وليس مجرد مستقبل لما نقدمه له ، وهذا من أعز أهداف أي مجلة .

ولسوف ننظر كل هذه المقترحات بمعاني الأخوة لأصحاب الرسائل الى أننا نتذكر معهم ومن خلالهم ، ونأخذ بعين الاعتبار كل ما يتفضلون به من مشاركة جادة ومسؤولة .

وقد يكون من الملائم أن نضع أمامهم بعض الملاحظات تأكيدا للفكرة المشتركة والحوار البناء .

- ان فكرة الأبواب داخل المجلة سواء الثابتة أو المتغيرة تخضع دائما لقدر من التخطيط والتجريب معا ، يأخذ في اعتباره مدى الحاجة الملحة الى ضرورة استمرار الباب أو امكانية تغييره موضوعا أو شكلا ، في ضوء استجابة القارىء له ، ولهذا ليس من المناسب أن يحدث التغيير في أي وقت وبأي كيفية .

- ان عدم وجود باب في مجال معين في المجلة لا يعني اغفالها ما يستحقه من اهتمام ، فقضية الوحدة العربية مثلا بالنسبة لمجلة العربي هي قضيتها الأساسية ، وهي أكبر من أن تحتوى في باب واحد أو صفحات محدودة ، وهي مطروحة دائما ومستوعبة من خلال كل الأبواب ، مهما اختلف الشكل أو العنوان .

- من هنا فالأبواب المقترحة التي اقترحت كعناوين موجودة كمضامين في صفحات المجلة الأخرى .

- دائما ستبقى هناك أبواب لا يمكن تغطيتها ، وهذا يتحقق بشكل أفضل في مجلات أخرى أو مجلات أكثر التصاقا بهذه الأبواب .... كالدوريات العلمية والعملية .

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع
كل شهر:
وزارة الإعلام - الكويت

أول نوفمبر ١٩٨٥

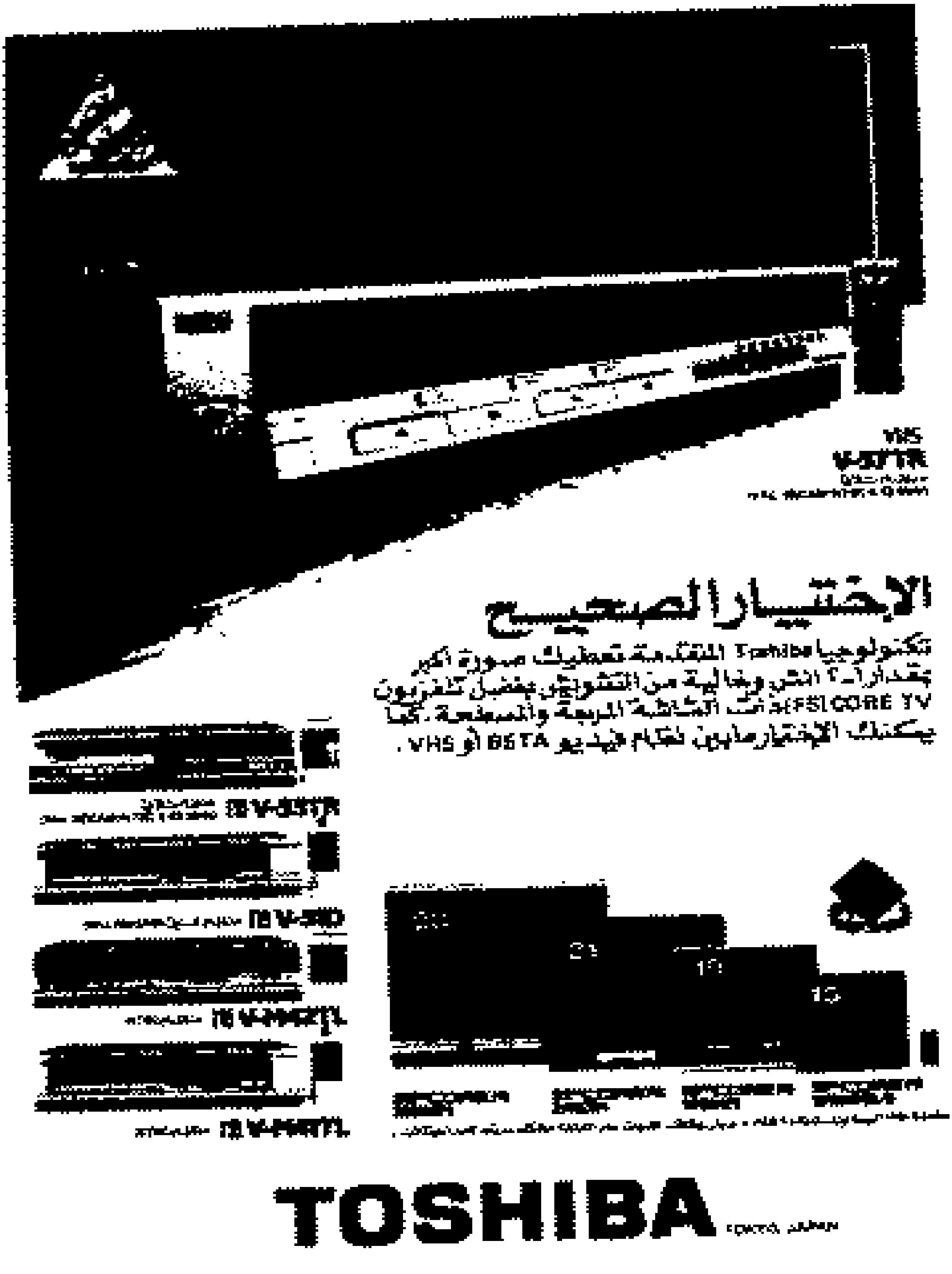
١٩٤

ما ثمن المجد؟

تأليف : ماكسويل أندرسون

ترجمة وتقديم : محمد الدريني

مراجعة : د. طه محمود طه.


الإختيار الصحيح
تكنولوجيا Toshiba المتقدمة تعطيك صورة أكبر
بقدر ٢ انش وخالية من التشويش بفضل تلفزيون
FSI CORE TV ذات الشاشة المربعة والمسطحة. كما
يمكنك الإختيار ما بين نظام فيديو BETA أو VHS.
TOSHIBA
TOKYO JAPAN



صباح الخير!
NESCAFE
نسكافه
نسكافه قهوة الشباب العصري الناجح